ومواقف.

**أولاً : مصادر التصوير بين الدال و المدلول :**

**وقد تنوعت مصادر التصوير فى شعر الفرزدق تنوعاً ساعدنا أن نصنفه صنفين :**

**أولهما : المصادر التجريبية .**

**ثانيهما : المصادر الثقافية .**

**أولاً: المصادر التجريبية :**

ونعنى بالمصادر التجريبية ما جربه الإنسان بحاسته بمقتضى ملازمته له ، ووجوده فى محيطه ، وما يحتمل أو يرجح أنه بمقتضى معاصرته له ووجوده فى بيئته وكذلك ما لم نتأكد من تجريب الشاعر إياه ،أو نشك في تجربته ، ونعتبره مع ذلك ممكن التجريب قابلا أن يقع فى طريقه وتشترك الصور المنتزعة من المصادر التجريبية فى شئ آخر هو حلولها فى ذهن الشاعر بفضل الطبيعة لا بفضل الثقافة ([1]) .

**والمصادر التجريبية** بهذا المفهوم تندرج تحتها الطبيعة ، ذلك العالم الذى يعيش فيه الإنسان ، والطبيعة إما جامدة تشمل كل ما ليس فيه شعور ، وإما متحركة وهى تشمل عالم الحيوان ذلك العالم الذى يعد من لبنات القصيدة العربية الأساسية والذى ساهم فى إبداعية النص إلى درجة أننا لا نستطيع الولوج إلى باطن النص إلا بالوقوف على طبيعة هذا العالم وخصوصياته وعلاقة الشاعر به ، كذلك يعد الإنسان من ضميمة هذا القسم باعتباره مظهرا من مظاهرها .

---

١- محمد الهادى الطرابلسى، خصائص الأسلوب فى الشوقيات ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

**١) الطبيعة الجامدة :**

**وقد استلهم الفرزدق من الطبيعة الجامدة هيئاتها الآتية :**

**أ) مصادر النور والظلام :**

**الوضاءة لا تنجلى إلا فى أشياء نصفها بأنها وضيئة وفى شعرنا العربى تفصح الوضاءة عن نفسها فى صور خيالية لكل منها نسقه ومعناه ، مما يسمح بالتعرف على معجم فنى خاص بالظاهرة لا يتيسر الوقوف على دلالته إلا بأن نقارن بين هذه الأشياء والصور والدلالات التى يضمها معجم واحد (١) ، ومن هذا المنطلق نتأمل هذه المصادر ونحلل معانيها فى سياقاتها المتنوعة ، وضاءة الشمس والكواكب ، والشهب ، والصبح والنهار ، والشيب .**

**وقد ألفينا المصادر النورانية فى ديوان الفرزدق تتمثل فى الظواهر التالية :**

**١ – مصادر النور ومظاهره .**

**٢ – مصادر ملازمة للنور وهى الحرارة والنار .**

**٣ – الصورة المظلمة .**

**١) مصادر النور :**

**وبالتأمل فى ديوان الفرزدق وجدنا أن المصادر النورانية تتنوع فيما يأتى :**

**الشمس :**

**يكاد يقتصر استخدام الشاعر للشمس على تصويره لقومه– بمجدهم وسيادتهم وللممدوح بسلطانه على مستوى الديوان ، فأما ما جاءت الشمس صورة لقومه ففى قوله :**

---

**١– عاطف جودة نصر، " الخيال " مفهومات ووظائفه " ص ٢١٧ .**

وَإذا نَظَرْتَ رأيتَ فَوْقَكَ دارِمـــاً ... فى الجَوّ حَيْثُ تُقَطَّعُ الأبْصَـــارُ (١)

قالوا عَلَيْكَ الشّمسَ فاقصدْ نحوَهَا ... والشّمْسُ نائِيَةٌ عَنْ السُّفَّـــارِ (٢)

بَنُو شَمْسِ النَهـــارِ وكُـــلّ بَـــــدْرٍ ... إذا انْجابَتْ دُجُنَتُهُ انْجيـــابَا (٣)

وَمَجدٌ أذُودُ النّـــاسَ أنْ يَلْحقتوا بِهِ ... وَمَا أحدٌ أوْ يبلُغَ الشّمسَ نَائِلُهْ (٤)

وأما ما جاءت الشمس فيه صورة للممدوح قوله :

لوْ كنتَ حيثُ انصَبّتِ الشمس لم تَزَلْ ... مَعَلَّـــقَةً هَامَـــاتُنَا بِرَجَـــائِكَا (٥)

وَمَنْ يَطْلبْ ما قَدْ سَعَـــى لكَ أوْ بَنى ... سُكَينٌ تُصَعَّدْهُ إلى الشمسِ نُورُها(٦)

والَقْومُ لَوْ بادَرُوكَ المَجْـــدَ لاعترَفـــوا ... علَيهِمْ فى يَدَيك الشّمسَ والقَمرَا(٧)

نَالت بِهِ الشمسَ لو كادَتْ تَناوَلَهَا ... بالمَجدِ إنْ كانَ مَجدٌ عِندَهَا كَانَا (٨)

والشمس هنا معادل " للهداية والعدل والكرم " ممثلة فى شخص الممدوح ، ليصبح هو الآخر رمزا للحياة والاستقرار ، وهى بغية الشاعر وغيره فى قائدهم ، فأى رجاء ذلك الذى تتعلق به أنظارهم فى البيت الأول ؟ إنه هذه المعانى جميعا .

---

١- الديوان ١ / ٦٠١، والضمير " لجرير " . يقول إن بنى قومه يعلونه فى الجو ولا قبل للبصر بهم.

٢- ١ / ٥٨٢ والضمير " لجرير " ، يقول إنه حين يطلب مجد دارم كمن يطلب الشمس التى لا ينالها المســـافرون وإن توهموا إنها دانية إليهم.

٣- ١ / ١٦٨، الدُجنة : الظلمة الحالكة . انجابت : انبقشعت.

٤- ٢ / ٢٠٠، يقول إنه يدافع عن مجده الذى لا يُدرك أو تُدرك النجوم.

٥- الديوان ٢ / ١٧١ والضمير لنصر بن سيار . يقول فى مدح نصر بن سيار إنهم لا يزالون مؤثرين له.

٦- ١ / ٥٤٣ والضمير لابن هبيرة الفزارى . سكين : هو عمرة بن هبيرة ، بن سكين . يقول إن سكيناً بنى لـــه المجد الشاهق بمساعيه ومآثره وإن من يبتغى مجازاته ، فكمن يسعى إلى إدراك الشمس حيث يشع نورها.

٧- ١ / ٥٥٧ . يقول إن من ينافسونه فى المجد يكسفون ؛ لأنه هو شمس المجد وقمره.

٨- ٢ / ٦٠٦ . يقول إنها نالت بنسبتها إليه النجم على. والضمير عائد على أم الممدوح حميل بن حمران الفزارى.

وقد يصور بها أم الممدوح :

وَنَمتْــكَ مِنْ غَطَفَــانَ مُنْجِبــةٌ  شَمْسُ النّهَارِ لكامِــلِ البَدْرِ (١)

والشمس صورة للحبيبة ، وهو قليل نادر ، ندرة وجود المــرأة فى الــديوان بوصفها معشوقة :

دَعَتنِى إلَيهَا الشمسُ تحتَ خِمارِهَا  وَجَعْدٌ تَثنى فى الكَثيبِ غَدائِرُهْ (٢)

والشمس صورة للمرثى :

بدْرُ النّهَارِ و شَمْسُ الأَرضِ نَدفنُهَ  وَفى الصّدُورِ حَزَازٌ حَزُّهُ يَقِــدْ (٣)

أو أنها تكسف بموته :

كَسَفتْ له شَمسُ النَهارِ فأصْبَحتْ  شَمْسُ النّهَارِ كَأنّهَا بِدُخَــانِ (٤)

أو يصور بها النساء تبكى على المرثى :

وَتَبْكِ علَيْهِ الشّمسُ و القمرُ الذى  به يَدَعُ السّارِينَ مِيلَ العَمَائمِ (٥)

وتستخدم الشمس دلالة على " العلو " لذاته مقابل " السفل " للمهجو :

تَصاغَرْتَ يا ابنَ الكَلْب لما رَأيْتَنِى  مَع الشَّمسِ فى صَعْبٍ عَزِيزٍ معاقِلُهْ(٦)

---

١- ١ / ٤٤١ والضمير لسليمان بن عبد الملك ، يمتحده بأمه الغطفانية.

٢- ١ / ٥٢١ . يقول إنها تبدو ذات وجه متألق كالشمس تحت الخمار أى الحجاب وبشعرها المجعــد المضــفور جدائل ، وهو يتثنى على كثيب ردفها.

٣- ١ / ٢٢٩ . الحزاز : وجع فى القلب من حزن وغيظ . يقد : يحرق . يقول إنهم دفنوا الشمس. وفى الضــلوع كمد يتوقد.

٤- ٢ / ٥٨٣ . يقول إن موته جعل الشمس تغيم.

٥- ٢ / ٤٥٠ . يستبكى عليه الشمس والقمر الذى كان السائرون ليلاً من دونه يميلون من النعاس على مطاياهم لأن الجراح كان يبثُّ الأمان فى كل مكان.

٦- ٢ / ٣٤٣ . يقول إنه يقيم عند الشمس فى أعلى جبل المجد ، وإن جريراً تصاغر دونه.

ومن المصادر التى استخدمها الفرزدق ولها نفس السعة من الانتشار " النجوم " وقد اتخذها فى تصوير مجد قومه ، وهو الغالب ، وذلك مثل قوله :

وَقَدْ يَنْبحُ الكَلْبُ النّجومَ وَدُونَهَا فَرَاسَخُ تُنْضِى العَيْنَ للمُتَأَمِّلِ (١)

وإنّ امرَأً يَرْجُو تَميماً وَعِزَّهَا كَبَاسِطِ كَفٍّ للنّجُومِ يُرِيدُهَا (٢)

تَرَى التّاجَ مَعْقُوداً عَلَيْهِ كأنّهُمْ نُجُومُ حَوَالَىْ بَدْرِ مُلْكٍ قُماقِمِ (٣)

إن استخدام النجوم لقوم الفرزدق بمجدهم وبطولاتهم ، إنما هو من قبيل كيمياء الكلمات التى تتميز بها داخل إطار العمل الفنى ، إن الشاعر يجعل من المجد والبطولات شيئا حسيا يظل ماثلا أثره ، يسطع ، تتأمله النواظر إعجابا ، وتهتدى به الهداة، وبذلك سيبقى هذا المجد ما بقى النجوم ، كما أن مجدهم يملأ الكون هدى ونورا مثلما تملأ النجوم السماء ضياء ونورا .

وقد يستخدم النجوم ظهرا تعبيرا عن مدى الهول والذل :

وَيَوْمٍ تُرَى فيه النّجُومُ شَهِدْتُهُ تَعَاوَرُ خيَلاهُ الأسِنّةَ والنَّبْلاَ (٤)

وَقَائِعُ أيّامٍ أرَيْنَ نِسَاءَهُمْ نَهَاراً صَغِيراتِ النّجومِ العَوَائِمِ (٥)

وتستخدمها فى وصف الممدوح :

وَجِدْتُمْ يا بَنِى زَيْدٌ نُجُوماً يَنُؤنَ مِنَ السّمَاءِ بِكُلّ قَطْرِ (٦)

---

١- ٢ / ٣٤٩ . يقول إنه إذ يهجوه فكأنما ينبح النجوم العالية.

٢- ١ / ٢٧١ . يقول إن من يطلب إذلال بنى تميم ، فكأنما يطلب أن أن يطول النجوم بيديه.

٣- ٢ / ٥٦٠ . يقول إنه يرتدى التاج وأهله حوله كالنجوم أى آباؤه الذين ورثهم فى الملك.

٤- ٢ / ٢٧٧ . يقول إنه شهد القتال الذى يطلع نجوم النهار بين الرماح والنبل.

٥- ٢ / ٥٧٠ . يقول إن نساء القيسيين رأين من التميميين النجوم ظهراً.

٦- ١ / ٥٤٩ . يَنُؤنَ : من النوء ، أى المطر . القطر : المطر. يقول إنهم كرام مثل نجوم المطر التى تنهمر بالغيث.

فقدم الممدوح نجوم مطر ينهمر منها الغيث ، وبذلك يحقق الشاعر لممدوحه العلو والسمو من ناحية تظل الأنظار تنضى من تأمله ، ومن ناحية أخرى جعله رمزا للخصب والنماء والحياة وهو أيضا رمز للهداية وهذا ما عبر عنه الفرزدق فى البيت التالى :

بِهِنَّ المدلِجُونَ بَدَوْا و سَارُوا وإياهُنَّ يَتْبَعُ كلُّ مَجْرِ

والنجوم بناء مجد الممدوح :

لَنِعْمَ مُناخُ القومِ حلّوا رِحَالَهُمْ إلى قُبْةٍ فَوقَ الوليدِ سَمَاؤُها (١)

بَنَاهَا أَبُو العاصِي وَمْرَوانُ فَوْقَهُ وَيُوسُفُ قَدْ مَسّ النّجُومَ بِناؤُها

والنجوم شعره :

يَصيحونَ يَستَسقونَهُ حينَ أنضَجَتْ عليهِمْ من الشِّعرى الترَابَ حَرُورُهَا(٢)

فشعره الهاجى قد أصابهم بمثل القيظ المبير القاتل ، واختيار الشاعر لمثل هذه الصورة فيها من الإبداع ما يولد تلك المتعة الجمالية التى تهز النفس وتسقى عطشها الفنى فشعره له من الانتشار ما يشبه انتشار أثر نجوم القيظ، وبالتالى ستصل إلى مهجوه أينما هو، والنجم هنا ليس هو ذلك الجرم السماوى، بل هو كيان الشاعر وقوة كلمته التى تتعقب الملتقى وتظله أينما حل، وقبر أبيه غالب " أسعد " يسعد بها :

إذَا مَا أتَى قَبْرَهُ غَارِمٌ أنَاخَ إلى القَبْرِ بالأسْعَدِ (٣)

---

١- ١ / ٢٣ – يقول إن القوم ارتحلوا ولم يحلو سيور رحالهم إلى قبة الممدوح حيث تعلو سماؤها فوقه.

– يعدد أجداد الممدوح الذين ابتنوا بمجدهم تلك الخيمة العالية القباب.

٢- ١ / ٥٩٤ . أنضجت : حمت بشدة . الشعرى : هى الشعرى العبور ، من نجوم القيظ . يقول إن القائظة اشتدت على قوم المهجو ، وحمت عليهم التراب ، وجف ماؤه ، فباتوا يطلبون منه أن يسقيهم ، ومؤدّى المعنى أن الفرزدق هجاهم ، فاصابهم هجاؤه بمثل القيظ المبير القاتل ، وباتوا يستنجدون عليه ويستغيثون.

٣- الديوان ١ / ٢٩٣. الغارم : المطلوب بجرم . يقول إن الملهوفين يلجأون إلى قبره ، فيحمون.

**والبؤس والمخاطر نجوم تطارده :**

**كَأنّ النّجْمَ والجَوْزَاءَ يَسْرِى عَلى أثــارِ صَــادِرَةٍ أوَامِ (١)**

**فالشاعر يصف النياق تعدو ، وكأن نجم الجوزاء يقتفى آثارها ، وهى لا تزال تشــرب وتصدر عن الماء ، وهى أوام ، والشاعر يبرع فنيا حينما يلتقط نجم الجوزاء يصور بــه همهم وبؤسهم الذى يطاردهم أينما ولوا ، وأينما وجدوا ، فالمخاطر تظلهم وتعلــوهم كما تظلهم وتعلوهم النجوم ، كما أنه ليس هناك نوق ، إنه الشاعر بأولاده ومن معــه كلما يقتربون إلى خير ، وإلى منتجع استقرار يطردون ، إن المعنى الشــعرى يــؤول فى النهاية إلى صراع بين أسباب الموت وبين أشعة أمل فى الحياة ، والنجــوم مجــاز عــن المصائب وأهوال الزمان :**

**أقُولُ لَمَغْلوُبٍ أمَاتَ عِظَامَهُ تَعــــاقُبُ أدْرَاجِ النّجُومِ العَوَائِمِ (٢)**

**فقد رثت عظامه من أثر أحداث الزمان " تعاقــب أدراج النجــوم العــوائم "والنجوم إبل هاجمة :**

**وَرَدْتُ وأعجَازُ النّجُومِ كَأنّهَا – وَقَدْ غَارَ تَالِيهَا – هَجَائنُ هاجِمِ (٣)**

**إن الشاعر يصور وروده على الماء الآجن فى الأبيات السابقة ، ومع أن الماء آجن " إلا أنه لم يجد الفرصة ليستقى ، بل يهاجمه الليل بنجومه كالإبل الهاجمة ، إن الشاعر يصــور أزمته تصويرا فنيا مؤثرا ، فالمخاطر والأزمات ، لا تجعله يحيا حتى مع أسوأ مظاهر الحياة**

---

**١– ٢ / ٥٣٤** . يقول إن تلك النياق كانت تعدو . وكأن نجم الجوزاء الحار كان يقتفى آثارها ، وهــى لا تــزال تشرب وتصدر عن الماء وهى أوامى : أى ظمأى.

**٢– ٢ / ٥٥٨** . المغلوب : بعله أحد صحبه. يقول إنه مغلوب رثت عظامه عبر الليل والنهار.

**٣– ٢ / ٥٥٩** . وردت : أقبلت عليه للاستقاء. الهجائن : الإبل. يقول إنه اقبل عليه ليستقى ، وكانت النجــوم تبدو وكأنها الإبل العادية الهاجمة.

وسوء حاله دائم ليل نهار ، إلا أن قوله " غار تاليها " أى أن آخر النجوم يغيب لينعش الصبح أو قل ليتنفس الأمل ويشرق ، تلك الهموم التى عبر عنها فى البيت التالى للبيت السابق :

نَواهِضَ يَحْمِلْنَ الهمومَ التى جَفَتْ  بِنا عن حَشايَا المُحصَناتِ الكرائِمِ

والأمل الذى ذكرناه هو عين قوله فى البيت التالى :

ليبْلُغْنَ ملءَ الأرضِ نُوراً ورحمــةً  وعدلاً وغَيْثَ المُغْبِراتِ القَواتِــم

إن الغيث والعدل والرحمة والنور هى الحياة والبقاء السعيد ، ومن المصادر التى تشارك الشمس والنجوم كثرة وانتشارا " البدر " متخذا إياه فى تصوير أفراد قومه :

منّا الرّسُولُ وكلُّ أزْهرَ بَعــــدَهُ  كالبَدرِ وَهوَ خليفَةٌ فى الموْكِبِ (١)

أو واصفا به نفسه :

أنا البَدرُ يُعشِى طرْفَ عينيك فالتمس

بكَفّيْكَ يا ابنَ الكلبِ هل أنتَ نائلُهْ (٢)

فالفرزدق عال ، وما دونه " جرير " أسفل ، وفيه من الوضوح والضياء ما فى البدر من ضياء وجمال ، وما دونه غامض ضائع مهمل ، إنه – أى الشاعر – صــعب المنال والأخذ مستحيل استحالة الاقتراب من البدر والنيل منه ، إن البيــت الشــعرى يظل يترف بالمعانى ، وتلك علامة على اللغة الشعرية ن والممدوح بدر :

---

١– ١ / ٦١ . يفخر بأن الرسول منهم ، وأن سائر من تحدر منه من الخلفاء الذين يسيرون فى مواكبــهم وكــأنهم البدور المتألقة.

٢– ٢ / ٣٤١ . يقول إنه البدر الذى لا ينال.

إلى بدْرِ ليْلٍ مِنْ أُمَيَّةَ ضَـــوْؤُهُ ،إذا ما بَدَا، يَعْشَى لَهُ كَلُّ كَوْكَب (١)

فانظر كم يكون سلطان الممدوح " سليمان بن عبد الملك " ذلك الذى ينمحى أمامه كل مظهر من مظاهر السلطان ، وانظر أيضا إضافة " الليل " إلى " بدر " مع أنه من المعروف أن البدر لا يسطع إلا ليلا ، إن هذا التجاور يؤكد مدى إشعاعية هذا البدر ومدى سطوعه ، وذلك ناتج من تجاور المتقابلين " الضياء " من البدر " و " الظلمة " من الليل ، فى النهاية يعادل " البدر " الهداية والاطمئنان ، وكذا قوله مادحا يزيد بن عبد الملك :

وَمَا ظَلَمَ الْمُلْكَ ابنُ عاتِكَةَ التّى لَهَا كُلُّ بَدْرٍ قَدْ أضَاءَ اللّيَالِيَا (٢)

إن الشاعر يصف أبناء عاتكة ( أم الممدوح ) بالبدور تضيئ الليالى ، إن البدور هنا تمثل العدل والرحمة ، وهذا العدل يبدد الظلم " يضيئ الليالى " فيعم الكون عموم الضوء وانتشاره ، إن حب الشاعر للعدل والرحمة يسوقه ليجعل منه جرما ثابتا ، لا يزول ، لا ينمحى ، تنظر إليه العيون فتقره كيفما تقر بالعدل والحق .

وهذا ما يؤكده قول الشاعر فى البيت التالى :

وأعطاهُ بالبرِّ الذى فى ضَمِيرِهِ وبالعَدْلِ امْرَئ كلّ شرقٍ ومَغرِبِ

والمرثى بدر يحمله عتم العلوم " الرجال الغلاظ السود " .

رَاحُوا بأبْيَضَ مثلِ البَدْرِ يَحْمِلُهُ غُتْمُ العُلُوجِ بأقْيَادٍ مُذِلاتِ (٣)

---

١– ١ / ٤١ . يقرن الممدوح ببدر ليل. أى إنه يضئ ظلمات الخطوب ، وإنه من بنى أمية ، وهو حسن يبدو ويتألق فإنه يكسف سائر الكواكب.

٢– ٢ / ٦٣١ ، يمتدحه بوالدته ، وهى ابنة يزيد وحفيدة معاوية.

٣– ١ / ١٨٠، الغتم : السود . والعلوج : جمع العلج " الرجل الغليظ " . يقول إنه حمله العلوج الغلاظ وهو أبيض متألق كالبدر وكانوا قد أوثقوه بقيود مذلة.

وبجانب "البدر" نجده يستخدم " القمر " أيضا مصدرا للتصدير، ومنه ما صور به والده:

كَمْ مِنْ أبٍ لى يا جـــريرُ كأنّهُ  قَمَرُ المَجَرّةِ أوْ سِرَاجُ نَهَارِ (١)

ولنتأمل " سراج النهار" أى سراج هذا الذى يضيئ بالنهار ، لابد أنه ســـراج كبير ضوؤه شديد قوى ،كذا والده يشد الأنظار إليه بمجده ، وبتاريخه البطولى وسيادته مثلما يعجب الناس من سراج له ضياء بالنهار ، فكيف يكون بالليل ، إنهـــا شـــجاعة والده وإقدامه فى وضح النهار ، لا يعرف الجبن والخيانة والمباغتـــة ، تلـــك أمـــارات الشجاعة والإقدام والثقة .

ويتخذ القمر لمجده ومجد قومه :

لَنا قَمَرُ السّمَاءِ عَلى الثّـــرَيّا  وَنَحـــنُ الأكثرُون حَصـــىً وَغَابَا (٢)

وَلسْتَ بِنَائلٍ قَمَـــرَ الثّـــرَيّا  ولا جَبَلـــــى الذى فَرَعَ الهِضَابَا

والمرثى قمر يدفن :

للهِ أرْضٌ أجَنّتْهُ ضَـــرِيحَتُهَـــا  وكَيْفَ يُدْفَنُ فى المَلحودَةِ القَمَرُ (٣)

والشهب : يستخدمها مصدرا للتصوير كثيرا لا يخص بها مسمى بعينه ، بـــل وجـــدنا الشاعر صور بها الإنسان ، كما شبه نفسه بالشهباء :

---

١- ١ / ٥٨١ ، يقرن أجداده بالنجود من دون أجداد جرير.

٢- الديوان ١ / ١٦٨ – الحصى : العدد . الغاب : الرماح والسيوف المشهورة. يقول إنهم أدركـــوا القمـــر فى علاهم وإنهم الأكثر عدداً وسلاحاً.

– فرع : علا. يقول إنك لن تنال قمر علانا ولا أن تسامى جيلنا الذى تخطى السحاب.

٣- ١ / ٣١٨ . يقول إنهم دفنوا القمر فى القبر ويفدّى قبره.

أنا ابنُ ضَبّةَ فَرْعٌ غيرُ مُؤتَشَبِ  يَعْلُو شِهَابِى لَدَى مُستَحمَدِ اللَّهَبِ (١)

أو لشعره :

قَصَايِدُ لا تُثْنى إذا هىَ أصْعَدَتْ  لِحَىٍّ ، وَلا يَخبُو علَيهَا شِهابُهَا (٢)

فَكَمْ مِنْ خَائِفٍ لى لَمْ أضِـــرْهُ  وآخَرَ قَدْ قَذَفْــتُ لَهُ شِهَــابَا (٣)

وتشبيه الكتيبة بالشهباء كثير فى الديوان ، منه قوله :

وَشَهْبَاءَ تُعشى النّاظرينَ إذا التَقّتْ  تَرَى بَينَهَا الأبطالَ تَهْفُو عُقابُهَا (٤)

والممدوح " الحجاج " شهاب يرمى به العدو (٥) والفرسان شهب :

يُقَحّمُهمْ فى السَند سيفُ ابن أحوَزٍ  وُفرْسَانُهُ شُهْبٌ يُشبّ وَقُودُهَا (٦)

والشهاب مصدر للقوة :

فتىً تَقْصُرُ الفِتْيَانُ دُونَ فَعــــالِهِ  وكانَ بِهِ للحَرْبِ يخْبو شِهابُهَا (٧)

والناقة شهاب فى سرعتها :

فَرَاحَتْ كالشِّهَــابِ رَمَى عَشَاءً  بِهِ الغِلْمــانُ تَقْتَحِــمُ الخَبَارَا (٨)

---

١- ١ / ٦٩ . ضبة : قبيلة كانت منها والدته . المؤتشب : المخلوط المريب.

٢- ١ / ٩٨ . يتهدد بأن يرسل شعره فى الهجاء. فتأتى قصائده على الدهناء تحملها الركبان عبر الفلاة.

٣- ١ / ١٧٣ . يقول إنه يُؤَمِّن من يخافه. ومن يقف له فإنه يقذفه من شعره بمثل الشهاب الصاعق.

٤- ١ / ٩٩ . الشهباء : الكتيبة المتلمعة من كثرة السلاح . العقاب : الراية. يقول إنه يقود الكتيبة التى تلتمع فيها الأسلحة بما يدع العيون تعشى والرايات تخفق فيها فوق الأبطال.

٥- ١ / ٥٦٥ .

٦- ١ / ٢٦٩. ابن أحوز : هو محارب آل المهلب وهو هلال المازنى وقد قتله بقندابيل. يقول إنه كان يقتحم عليهم وجنوده شاكو السلاح وسلاخهم يلتمع فى الشمس ، وكأنهم النجوم الساطعة.

٧- ١ / ٨٧ . يقول إنه يفوق سائر الفرسان وإنه يسعر الحرب إذا كانت نارها قد أوشكت أن تخمد.

٨- ١ / ٣٢٤ . الخبار : الأرض اللينة المسترخية. يقول إنها حين شاهدته عرفت ما ألَّم به ، فأدبرت مثل الشهاب الذى يرميه الغلمان مساء وهى تقتحم الأراضى الصلبة.

إن ناقة مثل الشهاب كيف يمكن تصورها ؟ ولكن الشعر بوصفه فنا يتميز بالمجاوزة يخرج لنا هذه الصورة لناقة سريعة قوية ، فهل يصور الشاعر ناقة حقيقية ؟ إن الشاعر يصور رغبته الشديدة وأمانيه السريعة سرعة الشهاب فى الوصول إلى الممدوح .

ولفظ " الكوكب " بوصفه مصدرا من مصادر النور يكثر دورانه أيضا فى ديوان الفرزدق، وذلك إما افتخارا بمجد قومه وحسبهم :

بَنَى بَيْتَهُ حتَى اسْتَقَلَّ مكَانَةً فَسامَى بهِ الجوزاءَ بَيْنَ الكَواكِبِ

أو لجيش الممدوح :

له كَوْكَبٌ تَعشَى به الشمسُ وَاضِحاً تَرَى فيهِ أبْنَاءَ المَنيّةِ رُوَّدَا (١)

أو للسيوف :

وَبيضٍ عَلاهُنّ الدِّجَالُ كأنّهَا كَوَاكِبُ يَجْلُوهَا لسارٍ ظَلامُهَا (٢)

والكواكب ترى ظهرا كناية عن شدة الهول :

أرَى أهْلَ نَجرَانَ الكَواكبَ بالضّحى وأدْرَكَ فِيهِمْ كُلَّ وِتْرٍ يُحَاوِلُهْ (٣)

ويستخدم المصابيح مصدرا لتصوير السيوف ، فى قوله :

وَحَتى عَلَوْهُمْ بالسّيُوفِ كَأنَّهَا مَصابيحُ تَعلُو مَرّةً وتَصَبَّبُ (٤)

والفرزدق فى البيت السابق يمدح الورد الجنفى ، ويذكر نصره على عبد الله بن صفار الخارجى ، ومن معه ، ويصف سيوف الممدوح بأنها مصابيح ، يهتدى بها ، فهى ليست

---

١- ١ / ٢٤٦ . يقول إنه يقود جيشاً حين تنطلق كتائبه ، فإنه يعرف الجن ويدعهم يسجدون له.

٢- ٢ / ٤٥٣ . الدجال : فرند السيف . يمتدح سيوف تلك الكتيبة ويقول إنها محددة وإنها تلتمع وكأنها النجوم التى تضئ للسارين فى الليل.

٣- ٢ / ٣٣٩ . يقول إنه أراهم من الهول النجوم ظهراً وأدرك كل وتر وتروه به.

٤- ١ / ١٢٧ . يقول إنهم فتكوا بهم بسيوفهم فبدت وكأنها ، حيناً ، مصابيح تضئ وحيناً أخرى تَتَصبَّبُ بالدماء.

سيوف ضلال ، إنها سيوف تستخدم فى الحق وسحق الظلم كما يمحو المصباح الظلام ويبدده ، إن الشاعر يخلع على سيوف الممدوح شرعية الهدف ونبل المقصد ، ورماح قوم الفرزدق – أيضا – مصابيح (١) واتخذ " المنار " لمكارم قومه رفعا لهم (٢) و " البرق " يهيج عليه الشوق (٣) .

أما عن مظاهر النور : فيندرج تحتها ما دل على مفهوم النور من خلال الألفاظ الدالة على النور " كالضياء " و " الشروق " و " الصبح " و " النهار " .... إلخ ، وقد يستخدم لفظ النور ذاته ، ومن ذلك قوله مادحا :

وأنْتَ للنّاسِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ  كَمَا أضَاء لَنَا فى الظلمةِ اللَّهَبُ (٤)

إمامُ الهُدى كَمْ مِنْ أبٍ أوْ أخ لَهُ  وَقَدْ كَانَ للأرْضِ العَرِيضةِ نُورُهَا (٥)

إن النور يمثل – لدى الفرزدق – خصوصية العدل والهداية ، فمع النور يتبدد الظلام كما يتبدد مع الحق الباطل ، ومع النور تستقر الحياة وتتقدم ، ومع النور يسود الحب ويتلاشى البغض ، عن الممدوح بهذه الصورة رمز لهذه المعانى كلها ، كما اتخذ " النور " رمزا للكرم وحب الخير (٦) والضياء ، من مظاهر النور الملحوظ فى الديوان ، فوجه الممدوح مضيئا فى ميدان القتال :

إذا التَقَتِ الأبْطالُ أبْصَرتَ وَ جهَهُ  مُضيئاً وأعناقُ الكُماةِ خُضُوعُ(٧)

---

١- ٢ / ٥٦٩ .

٢- ١ / ٦٠١ .

٣- ١ / ٣١١ .

٤- ١ / ٦٧ . يقول إنك النور الذى يستضئ به الناس وكأنك اللهب الذى يبدد الظلمات.

٥- ١ / ٥٩٤ . يقول إن الخليفة هو إمام الهدى والنور أنار الأرض ومنع عنها الجهل والظلام وإنه من نسل الأئمة فى آبائه وإخوته.

٦- الديوان ٢ / ٢٢٢ .

٧- ٢ / ٥٥ . يقول إن وجهه يتألق ويسطع فى القتال حين تجهم وجوه سائر الأبطال.

وفى مدح العباس بن الوليد :

لّما التَقَى الناسُ يَوْمَ البأسِ كنتَ لهمُ ضَوْءاً وَمِرْدى حُروبٍ يَهدِمُ الحجرَا(١)

إن الوضاءة من خلال المنهج التجريبى تتمثل فى شكل معادلات وعلاقات محكومة ومازال علم الفيزياء يصحح النتائج فى ضوء ما يستحدث من تشوف ونظريات ، وفى مجال العمل الفنى لا تكون البنية الرياضية هى التعبير النهائى مادمنا نمتلك بنية أخرى لها تراكيبها الرمزية فى عالم الفن والدين ، ولها بعدها النفسى الذى يسمح لنا عندما نتأمل الصورة الشعرية ... إن الضوء اشراق ونورانية وكشف وانكشاف وتفتح وافشاء .. إن الوضئ الذى صوره التخيل الشعرى يبدو بمثابة استضاءة واستنارة متفاوتة الدلالة والقيمة ، إنه تفاوت يؤول إلى تجلى الأشياء الوضيئة للتخيل المبدع والكيفية التى ينظر بواسطتها الشاعر إلى الأشياء (٢) إن الوضئ الذى يصف به الشاعر الممدوح فى الأبيات السابقة رمز للفرج ، إنه الفرج بعينه والانكشاف من غمة ، إن الوضاءة هى النصر ، وإلا فما دلالته أن يكون وجه القائد مضيئا وسط ميدان المعركة ؟ إنها الثقة التى تولد النصر، ويأتى الشاعر بالوضاءة رمزا لفضيلتين :

**الأولى : الحلم والكرم وإغاثة المكروب .**

**الأخرى : القوة فى مواجهة الباطل .**

وقد تمثل ذلك فى قوله مادحا خالدا بن عبد الله القسرى :

١- إنى وَجَدْتُ لِخالِدٍ فى قَوْمِهِ ضَوْءَينِ قَدْ ذَهَبَا بِكُلّ نَهَارِ (٣)

---

١- ١ / ٥٥٤ . المردى : صخرة تكسر سائر الحجارة.

٢- عاطف جودة نصر : الخيال " مفهوماته ووظائفه " ص ٢١٧ وما بعدها .

٣- ١ / ٤٤٥ .١- الضوءان : هنا : فضيلتان.

٢- يقول إنه اعتصم بذلك الحبل فأنقذ بنعمة ربه.

٣ - يجلى : يكشف . العشى : العمى ليلاً.

ويؤكد البيتان السابقان على البيت " الشاهد " دلالة الوضاءة ، وذلك حينما يقول :

٢- حَبْلاً أخذْتُ بِهِ ، فَنجَّانِى بِهِ ربِّى بنعمةِ مُدْرِكٍ غَفَّـــــــارِ

٣- أرجُو الخروجَ بخالدٍ وبخالدٍ يُجْلى العشَا لكواسفِ الأبصارِ

والوضاءة عدل :

أضَاء الأرضَ ، والأخْرَى عَلَيْهَا مِنَ السَّبْعِ الطِّبَاقِ بِكُلّ شَهْرِ (١)

رأيْتُكَ قَدْ مَلأتَ الأرضَ عَدْلاً وَضَوْءاً وِهْىَ مُلْبَسَةُ الظّلاَمِ (٢)

والوضاءة بيان ووضوح وحق ،وذلك فى وصف " عذره " بالوضاءة فى إطار اعتـــذاره لهشام بن عبد الملك من هجائه نهر المبارك الذى بناه :

فَلا تَترُكُوا عُذْرِى المُضئَ بَيَانُهُ وَلا تَجْعَلُونِى فى الرّكيةِ كالرّدى (٣)

والوضاءة رمز لكثرة الخير والدعوة إلى الضيافة :

إذا ما سَدَدْنَا بالهَشيمِ فُرُوجَهَا رَأى كَلُّ سَارٍ ضَوْءهَا غَيْرَ مُخمَدِ (٤)

ومن مظاهر النور أيضا " النهار " ففى " النهار " ضياء ونور، ومن ذلك وصفه مفاخره بالنهار:

---

١- ١ / ٥٥٠ . يقول إنه بدر أضاء الأرض والسماء.

٢- ٢ / ٥٣٧ . يقول إنه أعاد العدل للأرض وأنارها بعد أن أظلمت بالفوضى والفساد.

٣- ١ / ٢٣٩ . الركية : البئر : وهنا الحبس وكان فى ذلك العهد بعض السجون فى الآبار. الـــردى : المتـــردى الميت. يقول له لا تتجاهل عذرى البين الذى يتألق بيانه وتُلقِى بى فى السجن ميتاً.

٤- ١ / ٢٤٠ والضمير فى فروجها : عائد على النار . الهشيم : الحطب اليابس . الفروج : الأمكنة التى لم تمـــلأ حطباً . يقول حين يزاد لها الحطب فإنها لا تظل قدراً من دونها نار ، بل إنها تغدو ناراً أوقدت ليراها الســـارون والضالون فيهتدوا بها للضيافة.

لَقَدْ بانَ للغَاوِى مَفَاخِرُ أصْبَحَتْ عَلى النّاسِ منِى كالنّهارِ مُبِينُهَا (١)

فمجده كالنهار يراه الجميع ساطعا واضحا ، إنه مجد نقى بنى بأنبل الأهداف وأفضل الغايات،كل هذه المعانى تتفجر بها كلمة " النهار " ، و " النهار " هداية وفرج :

وَوَلىَّ أمْرِهِمُ وأعْدَلَهُمْ ونهارَهُمْ ، وَضياءَ مَنْ يَسرِى (٢)

والنهار طهارة ونقاء :

وَلَوْ لَبِسَ النّهارَ بَنُو كُلَيْبٍ لَدَنّسَ لُؤمُهُمْ وَضَحَ النّهَارِ (٣)

والصباح فرج وانتهاء كربة :

كأنّما مُوّتوا بالأمْسِ إذْ وَقَعُوا وقَدْ بَدَتْ جُدَدٌ ألوانُهَا شُهرٌ (٤)

فالشاعر فى إطار مدحه عمر بن عبد العزيز ( رضى الله عنه ) يصف مطاياه كأنها قد ماتت من شدة تعبها ، والآن فان تباشير الصباح تطل عليهم ، لها أشعة واضحة جلية . إن القراءة المبدعة – التى تكشف روغان الشاعر فى استعماله اللغوى ترى فى لفظ " الصبح " ، ليس هو تلك الظاهرة التى تعقب الليل نتيجة دوران الأرض حول الشمس ولكنها ترى اللفظ دالا على الأمل وتباشير الفرج ، إن أشعة الصباح إنما هى الخواطر الأولى للبشرى،بشرى الفرج وإزالة الغمة بلقاء الممدوح ، و " الفجر" يتخذه الفرزدق مصدرا لتصوير الإنسان ، كما فى مدح سليمان بن عبد الملك :

---

١– ٢ / ٦٠٨ . يقول إنه بين مجده بفخره.

٢– ١ / ٤٤٠ . يسرى : يمضى ليلاً.

٣– ١ / ٥٧٢ . يقول إن لؤمهم يدنس النهار الطاهر.

٤– ١ / ٣١١ ، والضمير فى " موتوا " عائد على النوق . وقعوا : نزلوا وأناخوا. الجدد : جمع الجدة : العلامة وهنا تباشير الصباح. الشُهُر : الواضحة البينة. يقول إنهم من شدة تعبهم كأنما مُوّتوا حين ناموا ، والآن فغن تباشير الصباح تطل عليهم ولها أشعة واضحة بينة.

وأَبَاكَ ، إذْ كَشَفَ الإلَــهُ بِهِ عَنّا العَمَى وأضَــاءَ كالفَجْــرِ (١)

فمع " الفجر " تبدأ الحياة الجديدة وينكشح الظلم " العمى " فكذا والد الممدوح حياة متجددة وإمحاء للظلم والجهل ، وأرومة الفرزدق كالفجر بيانا وصفاء وإشراقا :

ألا أيْهَاذَا السّائلى عَنْ أرُومَتِى أجدَّكَ لَمْ تَعْرِفْ فتُبصِرَهُ الفَجرَا (٢)

والسراب من المصادر التى اتخذها للدلالة على المخادعة " فالترقرق الوضئ يــرتبط فى صور السراب بدلالة المخادعة ومخاوف الموت لهاثا ، وتنكشف مخادعة هذه الوضاءة فى توهم ما يجرى فيما يبدو بسبب انعكاس ضوء الشمس ، فما إن يقترب منه الشــخص حتى يرى ما ظنه ماء يأخذ فى الابتعاد ، وربما أيقن لكثرة التجربة أنه خــداع بصــرى ولكنه برغم ذلك يمنى النفس بما يطفئ الأنوار (٣) فالسراب خيبة أمل وفشل وانتهاء .

وَإنّكَ إذْ تَهْجُو تَميماً وتَرْتَشِى تَبابِينَ قَيسٍ أوْ سُحوقَ العَمائِمِ (٤)

كَمُهْرِيقِ مَاءٍ بالفَلاةِ وَغَــــرَّهُ سَرَابٌ أثارَتْهُ رِيَاحُ السَّمَــائِمِ

وقوله أيضا :

غَداةَ اضْمحلّتْ قيسُ عَيلانَ إذْ دعا

كمَا يضمحلُّ الآلُ فَوقَ المَخارِمِ (٥)

---

١– ١ / ٤٣٨ . يطلب أن يقتدى بأبيه عبد الملك بن مروان.

٢– الديوان ٥٢٧/١ . الأرومة : الأصل. يقول إن أصله واضح متألق كالفجر.

٣– عاطف جودة نصر : الخيال ، ص ٢٢٦ .

٤– ٢ / ٥٦٦. – التبابين : جمع التبان : سروال البحار الصغير . السُحوق : البالية.

– يقول إنك حين تهجو تميماً وتدافع عن القيسيين الذين يرتدون ثياب البحارة الصغيرة وبقايا العمائم ، إنمــا تكون كمن غره السراب الذى تتغشاه به ريح السموم ويهرق الماء الذى معه فى سقائه.

٥– ٢ / ٥٦٥ . يقول إنه استنجد بالقيسيين فتبدّدوا وتوارَوْا عنه كما يتبدد السراب فوق المخارم أى الســبل فى الجبال.

فالشاعر يصف تلك المخادعة والفشل المر الذى أصاب " جريرا " حينما استنجد بالقيسيين فبددوا وتواروا عنه كما يتبدد السراب فى سبل الجبال .

**٢) المصادر اللازمة للنور :** ومنها " النار " (١) وحظها من صور الشاعر تأتى فى الدرجة الثانية من صور النور ، وهى مع ذلك منتشرة يلحظها المتلقى دون عناء ، فكيف اتخذها مصدرا للتصوير وما هى خصوصياتها فيما ارتآه الشاعر ؟ فالنار بوصفها عنصرا ملازما للنور وجدناه يكاد يقتصر على لفظ " النار " فى بناء صوره ، فمن خصوصيات النار فى شعر الفرزدق أنها تعادل الكرم والجود :

أخُو شتَوَاتٍ يَرْفَعُ النّارَ للقِرى  إذا كَعَمَ الكَلْبَ اللَئيمُ وأخْمَدَا (٢)

وَمُسْتَنْبِحٍ أوْقَدْتُ نارى لصَوْتِهِ  بِلاَ قَمَرٍ يَسرِى وَلا ضَوْءِ فَرْقَدِ (٣)

فالنار إعلام باشتعال المواقد ، وإعداد الموائد ، إن النار هنا لها خصوصية " النجدة والحياة " ، ليلازم النار إعادة الحياة وتوقدها ، وانتعاشها ، فمع الشتاء والظلام يتولد الجدب " الجوع – الموت " ومع النار " طهى – حياة " ، والنار صورة لاشتداد أوار الحرب :

وإنّا لَمِمّا تَضْرِبُ الكَبْشَ ضَرْبَةً  عَلى رأسِهِ والحَرْبُ قد لاحَ نارُهَا(٤)

---

١– لمزيد من التعرف على خصوصية النار من دلالات ومعان ، طالع : جاستون باشلار : النار فى التحليل النفسى ترجمة نهاد الخياط – دار الأندلس بيروت ١٩٨٤ م ، ففيه يتحدث عن رمزية النار للجنس وعلاقتها بالطهر...إلخ .

٢– ١ / ٢٤٤ . كعم الكلب : سد شدقه بعود فى فمه يوثقه بقفاه. يقول إنه يطعم فى الشتاء القاسى حين يعمد البخلاء إلى قفل أشداق كلابهم بالعيدان كى لا تنبح ويهتدى الضيفان إلى أصحابها بنباحها.

٣– ١ / ٢٤١ . المستنبح : السارى الذى ينبح مقلداً الكلاب كى تجيبه. فيتعرف على أهلها من صوتها، يقول: إنه يستجلب الضيف بنباح الكلاب فى الليلة الليلاء التى ليس فيها قمر ولا ضوء نجم.

٤– الديوان ١ / ٥٦٤ . الكبش : الفحل.

**وهى تعادل القوة والحياة :**

**وأنْتَ، والناسُ يَوْمَ البأسِ قد علموا كالنّار حينَ أطارَ الجماجِمُ الشَّرَرَا(١)**

**فالممدوح كالنار المتأججة ،وهى موت لحياة ، إن الممدوح بانتصاره يسمح للحيـــاة أن تأتى عزيزة كريمة . إن النار– هنا – حياة تحوطها القوة .إن هذا المعنى الذى يلازم النار عبر عنه الفرزدق فى مشهد آخر يقول فيه :**

**١– وَبَاشَرَ رَاعَيهَا الصِّـــــلا بِلِبَانــه وَكَفّيْهِ حَرَّ النّارِ مَا يَتَحَــرّفُ (٢)**

**٢– وأَوْقَدَتِ الشِّعْرَى معَ اللّيْل نارَهَا وأمْسَتْ مُحولاً جِلْدُهَا يَتَوسّفُ**

**٣– وأصْبَحَ مَوْضُوعُ الصّقيعِ كــأنَّهُ على سَرَوَاتِ النِّيبِ قُطْنٌ مُنَدَّفُ**

**٤– وَقاتَلَ كَلْبُ الحَيّ عَنْ نارِ أهْلِــهِ لِيَرْبِضَ فيها و الصِّلا مُتَكَنِّــفُ**

**هكذا يتضح أن النار يتحارب عليها الإنسان والحيوان " راعى القطيع وكلب الحى " حين تظهر أمارات الجدب والهلاك ، إنها الحياة ، فمنها تتولد الضـــياء ، وبهـــا تنصهر المعادن فيطرد خبيثها ، وبها يطهى قوت الانسان " استمرار الحياة " ، كما ألفينا " للنار " خصوصية العذاب بها ، ومن ذلك قوله هاجيا جريرا :**

**فإنّك مِنْ هَجَاءِ بَنى نُمَـــــــيرٍ كأهلِ النّارِ إذْ وَجَدوا العَــذابَا(٣)**

---

١– ١ / ٥٥٥ . يقول إنه يوم البأس والقتال يتوقد كالنار المتاججة.

٢– ٢ / ١٢٠ .١– الصِّلا : التدفؤ والاصطلاء . لبنانه : صدره . يتحرف : لا يميل ولا ينحرف عن النار . يقول إن الراعى من شدة البرد كأنه يباسر النار بصدره. وكفيه ولا يميل عنها ولا ينحرف.

٢– الشعرى : العرى العبور وهى كوكب يطلع فى نواسم البرد أول الليل. المحول : أى ناحلة من الغيم والسحاب. يتوسف : يتقشر.

٣– يقول :إنه إذا ما بدت الشعرى وأملق الفضاء من الغيم والسحاب وأشعلت النار ليلاً للدفء.

٤– المتكنف:المجتمع حوله.يقول إن الكلب يقتحم إلى النار، ويدافع الناس عنها ليدنو منها فيما يتحلق الناس حولها.

٣– ١ / ١٧٠ . يقول إنه سيلقى من هجاء النميريين عذاب النار كما فى الكتب.

وشعره كعذاب النار :

وإنْ تَبْعَثُونى، بَعْدَ سَبْعينَ حِـــجَةً ، أكُنْ كَعَذابِ النّارِ ذاتِ الجَحائِمِ (١)

جُعِلْتُ على سَعْدٍ عَذاباً فأصْبَحَتْ تَلاعَنْ سَعْدُ فى عَذابى و تُقْمَـــعُ (٢)

تَلاعُنَ أهْلِ النّارِ ، إذْ يَرْكَبُـــونَهَا وإذْ هىَ تَغْشَى المُجْرِمِينَ و تَسْفَعُ

إن النار هنا احتراق وألم وتعذيب ، وعلى هذا تكون قصائده الهجائية ذات أثر دامغ مؤلم ألم النار وحرقها ، يقول أيضا :

لَقَدْ هَتَكَ العَبْدُ الطِّرِمَاحُ سترَهُ وأصْلَى بِنَارٍ قَوْمَهُ فَتَصَلَّـــتِ (٣)

والنار إعلام بسطوع شعره وتفوقه :

فَوْقَ الحَواجِبِ والسِّبَالِ كَأنّهَا نَارٌ تَلُوحُ عَلى شَفِـــيرِ قُتَارِ (٤)

والضغائن والفتن تحرق :

كَمْ فَرّقَ اللهُ مِنْ كَيْدٍ وَجَمّعَهُ بِهِمْ ، وأطْفَأ مِنْ نَارٍ لها شَرَرُ (٥)

قُلُوبُ مُنافِقِينَ طَغَوْا وشبّـــوا بِكُـــلّ ثَنِيَـــةٍ بالأرضِ نَـــارَا(٦)

---

١– ٢ / ٤٦٣ . الجحائم : جمع الجحيم. يقول إنه لن يكفَّ عنهم قط ولو بعث من قبره بعد موته لعاد إلى هجائهم وأثار عليهم نيران الجحيم.

٢– ٢ / ٤٨ . – يقول إنه هجا بنى سعد وأصابهم بالعذاب الشديد فجعلوا يلعنون بهجائه ويقمعون ويزجرون.

– يقول إنهم يُلعنون كأهل الجحيم الذين تحرقهم نارها وتدع جلودهم سفعاء سوداء.

٣–١/ ١٩٠،يقول إن الطرماح حين هجاه إنما كان كمن هتك ستر ذاته بذاته وجعل قومه يصطلون نار هجائه لهم.

٤– الديوان ١ / ٥٨٢ ، ٢ /١٦٣ .السبال : اللحية. القتار : اللحم المشوى. يصف طعنته ويقول إنها تبدو كالنار فى حاجبيه ووجهه وأكنها بقايا الشواء.

٥– ١ / ٣١٧ ، ١ ، ١٩٤ . يقول إنهم ينعمون دون مقابل ، وهم لا يمنون ويكدرون العطاء.

٦– ١ / ٣٢٧ . يصف الفتن التى أثيرت على الأمويين ويقول لقد أثارها عليهم المنافقون الباغون الظالمون والذين أوقدوا نار الفتنة فى كل ثنية من مطارح الأرض.

وبجانب " النار " وجدنا السعير للحرب (١) والسعير لشعره الهجى (٢) ، وتاج الملك يلتهب التهابا (٣)

**٣) مصادر الصورة المظلمة :**

وبعد أن عرضنا للمصادر النورانية و خصوصياتها فى شعر الفرزدق ، نرى أن نعرض للمصادر التى تنبنى عليها الصور المظلمة ، ومدى إسهامها فى إبداعية فن الشعر خاصة وأن الباحث لا يجهد نفسه فى البحث عنها ، و أول ما يشد الانتباه استخدام الشاعر الظلمة تعبيراً عن الهموم و المصاعب التى تواجهه فى عصر متقلب الأحوال هذا إلى جانب شخصية الفرزدق التى تدفعه كثيراً إلى التجشم فى مواقف تجره إلى مصائب قد تصل إلى سجنه .

لذا فالليل بظلمته فى إطار الشعر يترع نزوعاً آخر غير طبيعته الفيزيقية ، إن الظلمة تتحول بفعل الإبداع و مراوغة لغة الشعر إلى هموم و مخاطر ، إن الليل يصير "كالمقبرة" شبحاً مخيفاً .

من ذلك قول الفرزدق :

يَقُولُونَ : إنّا قد كَفينَاكَ فارْتَحِل ! كَذَاكَ اللَيَالى ذَائراتُ النّوَائِبِ (٤)

وقوله مادحاً خالداً ابن عبد الله القسرى و هو محبوس :

بِهِ تُكشَفُ الظّلْمَاءُ من نُورِ وَجهِهِ بِضَوْءٍ شِهَابِ ضَوْؤهُ غَيرُ خامِدِ (٥)

---

١- ٢ / ٥٥٥ .

٢- ١ / ١٩٠ .

٣- ١ / ١٦٧ ، ١ / ١٣٩ ، ٢ / ٥٣١ .

٤- ١١٢/١ . يقول إنهم أعطوه وطلبوا منه أن يرتحل عائداً وقد مالت عنه مصائب الدهر والنوائب لاتزال تدور دوائرها.

٥- ١ / ٢٢٥ . يقول إنه يتجلى ، فيبدد الظلمة ولا يُكسف ضوؤه . وللمعنى معنيان فى تألق وجهه وصرفه للهموم والخطوب. ٢- يقول إنه يطلب من خالد أن يفك أسره ويحرره من القيود الحديدية التى تثقله.

٣- يقول إن قيده زاد همه ولكنه كان طالما ابتدع به الهموم على الذين يهجوهم وإن كانوا نائين عنه.

إن " الظلمة " هنا الهموم التى تكسو الشاعر ، فلا يكاد يجد فى الحياة بقية ويكون قوله فى البيت السابق على هذا البيت " الشاهد " .

٢- وإنِّى لأرْجُو خَالِداً أنْ يفكّنِى ويُطْلِقَ عنِّى مثقلاتِ الحَدائِدِ

والبيت التالى له :

٣- فانْ يَكُ قَيْدِى ردَّ هَمّى فَرُبَما تَرَامى بهِ رَامِى الهُمومِ الأباعدِ

خير شاهد على مدى ارتباط الظلمة لدى الشاعر بالهموم والرعب والخوف والقلق ، وكذا قوله :

كأنَّ قُطَامَيَّا عَلى الرَّحْلِ طَاوِياً إذا غَمْرَةُ الظَّلْمَاءِ عَنْهُ تَجلَّتِ (١)

إن الشاعر يصف نفسه خلال رحلته من الشام إلى " واسط " التى بلغت سبعة أيام إلى الحجاج بن يوسف " بالصقر " على رحله ، الصقر قوة لا تهاب شيئا ، إن الشاعر يود أن يخفف من وطأة الذل الواقع على نفسه ، يحاول أن يغطى انكساره بهذا الوصف ، وإلا ماذا يعنى قولة " غمرة الظلماء " إن " الظلماء " هنا هو ذلك الهم والمخاطر تحوطه ، ولكنها تتجلى بلقاء الحجاج ، إن وصف الشاعر نفسه " بالصقر " هنا يسلب هذا الطير خصوصية بالرمز إلى القوة المنهارة ، إلى العزيز الذى تطرحه الأيام فيذل ، وهنا يكون الاستعطاف أجدى وأوقع ، لأنه لا يمكن أن نفهم الشاعر يصف نفسه بالصقر فى حضرة الحجاج بن يوسف ، لذا نجد الشاعر يعقب قوله السابق بقوله:

وقَدْ علمَ الأقوامُ أن ابن يوسفَ قَطُوبٌ إذَا ما المَشْرَفِّيةِ سُلَّتِ

ومن خصوصيات " الظلمة " عند الفرزدق ، أنها رمز " للقوة الغاشمة " وذلك فى قوله مفتخرا بقوله :

---

١- ١٩٣/١، القطامي: الصقر،يقول إنه يبدو كالصقرعلى مطيتهحين تتبلج عنه الظلمة

مُتَغَطْرِفِينَ ، وَخِندفٌ، من حَوْلِهِمْ، كاللّيْل ، إذْ جَاءَتْ بعِزٍ قَسْوَرِ (١)

إن " الليل " هنا يتحول بفعل الابداع إلى قوة لا محدودة ، فإذا كان الليل بظلمته يخيف ويعم كل شئ ، كذا خندف – قوم الممدوح ، قوة ورعبا يستعصيان على الوصف يخشاهما الآخرون . " خندف " إذا قوة خرافية لا تقاوم ، والكنائب مثل الليل ، وذلك فى مثل قوله مفتخرا :

منّا كَتائِبُ مِثْلُ اللّيْلِ نَجْنُبُهَا بالجُرْدِ والبارقَاتِ البِيضِ واليَلَبِ (٢)

فأى كتائب هى تلك التى مثل الليل ، إن الليل لا محدود يغطى كل شئ ، إن كتائب الشاعر بهذا الوصف شبح مخيف تنمحى أمامها كل القوى، ويزيد الفرزدق من دلالة الليل حين يقول:

تَميمٌ – إذ تَمّتْ عَلَيكَ – رَأيتَهَا كَلَيْلٍ وَبَحْرٍ حينَ يَلْتَقِيانِ (٣)

إن الشاعر هنا يجمع بين الليل ( اتساع لا محدود + خوف ) والبحر ( اتساع لا محدود + صخب وموج عال + رهبة ) ليجعل الصورة تبلغ من التأثير مبلغا يظل يعمل فى المتلقى فتتولد لديه لذة جمالية لا تنتهى ، وإيحاءات لا تنضب . إن الشاعر المبدع فى إبداعه للكلمة يخصبها فتظل ولودا معطاء كما يقول آرنست فيشر " إن الشاعر تؤذيه الكلمة التى تنتقل من يد إلى يد كأنها قطعة النقد الصغيرة ، إلا أنها تسقط فجأة على الأرض محدثه رنينا ، فهى لم تعد قطعة عملة ، بل مجرد قطعة معدن ، رنينها يثير فى النفس انفعالات دفنت منذ أمد طويل تحت أعباء اللغة المتداولة فى حياة كل يوم إن الكلمة التى تستخدم فى قصيدة لا يكون لها معناها الموضوعى وحده بل يكون لها

---

١– ١ / ٥٤٧ . المتغطرف : المختال فى مشيه. القسور : الضرير . خندف : قوم الفرزدق.

٢– ١ / ٧١ . البارقات البيض : السيوف. اليَلَب : الترس والدروع اليمانية من الجلود. نجنبها : نسير بجنبها. يفخر بجيوشهم التى تزحف كالليل وما يسوقون فيها من الخيل الكريمة مُجْنبة والسيوف والدروع.

٣– ٢ / ٥٩٢ . يقول إن تميماً كالليل والبحر فى اتساعهما وتموجهما.

أيضا معنى أعمق ، معنى سحرى (١) كذا تكون الكلمة الشعرية بئر عميق لا تجف لـه مياه ، فكلمة الليالى فى قول الفرزدق :

وَلَوْ أنّ سَعْداً أقْبَلَتْ مِنْ بِلادِهَا  لجَاءَتْ بِبَبْرِينَ اللّيالى تَزَحَـفُ (٢)

فإذا كانت " الليالى " رمز القوة الغاشمة ، تزحف مع " بنى سـعد " ، وكمـا يفسر شارح الديوان الشطر الثانى بأنهم ( بنو سعد أسياد الدهر والقدر والطبيعة ) قلنا أن نتخيل كيف تكون هيبة وقوة " بنى سعد " تلك التى يوضحها الفرزدق فى البيـت السابق على هذا البيت حين يقول :

فهمْ يَعدِلونَ الأرْض لوْلاهمُ استوَتْ  عَلى النّاسِ أوْ كَادتْ تَسيرُ فتُنسَفُ (٣)

ومن خصوصيات **"الظلمة "** فى ديوان الفرزدق الرمز إلى " الظلم " يقـول الشـاعر مخاطبا مادحا هشام بن عبد الملك :

رَأيْتُكَ قَدْ مَلأتَ الأرضَ عَدْلاً  وَضَوْءاً وَهْىَ مُلْبَسَةُ الظَلَـامِ (٤)

وقوله :

أحادِيثَ مِنّا نَشْتَكيهَا إليْهِـمُ  وَمُظْلِمَةٌ يَغْشَى الوُجُوهَ ظَلامُهَا (٥)

والفرزدق يشير فى البيت الثانى إلى قتل " عمر بن يزيد الأسيدى " قتله " المنذر

---

١– آرنست فيشر : ضرورة الفن – ترجمة أسعد حليم – الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ م ، ص ٢٢٠ .

٢– الديوان ٢ / ١٢٨. يقول إن بنى سعد ، إذا زحفوا ، زحفت معهم الليالى ، فهم أسياد الدهر والقدر والطبيعة.

٣– نفسه : نفس الصفحة . تنسف : تقلع . يقول إنهم يوازون الأرض ، ولولاهم لكان الناس متمـاثلين ولـولا السعديون يقوب لَهَوَتْ الأرض ونُسفت ، فهم يعادلونها ويوازنونها.

٤– ٢ / ٥٣٧ . يقول إنه أعاد العدل للأرض وانارها بعد أن أظلمت بالفوضى والفساد.

٥– ٢ / ٤٥٢ ، ٤٥٣ . يقول إنه يشتكى لهم ما حل بهم من ظلم.

٢– يقول كيف تقتلوننا لأننا دافعنا عنكم بقتل عدوكم ودافعنا عن دينكم وأحقيتكم بالخلافة وكانت الحرب مسعرة يتخشاها الغبار الكالح.

بن الجارود " وهو ما ذكره فى نفس القصيدة حين قال :

٢- أنُقْتَلُ فيكُمْ إذْ قَتَلْنَا عَدّوكُم  على دينكُمْ والحَرْبُ بادٍ قَتَامُهَا

والفتن ظلمة :

إنّ ابنَ أحْوَزٍ قَدْ داَوتْ كَتَائِبُهُ  داءَ العِرَاقِ وَجَلّتْ ظُلْمَةَ الفِتَنِ [١]

مما سبق يتضح لنا أن المصادر النورانية فى ديوان الفرزدق تسهم بدور هام فى إبداعية فن الشعر عنده ، والوقوف على هذه المصادر وخصوصياتها تزيل هذه الأغلفة والأردية التى تكسو النص ، بالوقوف على هذه الخصوصيات نستنطق اللغة الشعرية لنتأمل هذا العالم المختفى وراء الدلالة المباشرة للغة المكتوبة ، بهذا يمكن أن يكون لكل شاعر معجم خاص للغته الفنية ، كما يمكننا الوقوف على مدى الاختلاف بين شاعر وآخر من ناحية ، ومدى علاقة الشاعر باللغة وتصرفه فى دلالاتهما من ناحية أخرى .

**ب) الصنف الثانى من عناصر الطبيعة الجامدة :**

ويضم ما اتصل بالسوائل ، الماء النازل من السماء والمتفجر من الأرض ، ومياه البحر والأنهار ، النبات ، والتضاريس كالجبال والسهول وغيرها .

أما ما اتصل " بالسوائل " فمتنوع – كما قلنا – واعتمد الفرزدق عليه اعتمادا ملحوظا فى بناء صوره ، وعلى هذه المصادر تنبنى رسالة النص وبها تفك رموزه وكثيرا ما اتجه الشعراء وهم يفتخرون أو يمدحون ، بهذا المعجم الفنى الذى يدور على الأنهار تجيش غواربها وكثف السحاب يهطل مطرها ، وهى فى مجملها صور مائية من حيث الأثر إلى الخصب والنماء ، ومن حيث الحركة إلى الصرامة وشدة الانصباب [٢]

---

١- ٢ / ٦٠٤ . يقول إنه بث الأمن.

٢- عاطف جودة نصر : الخيال مفهوماته ووظائفه " (مرجع سابق) ، ص ١٧١ .

والماء الذى يعتمد عليه الشاعر من خلال هذه المصادر يبتعد تماما عما تنطوى عليه من حركة فى سياق " ميكانيكا القوة " أو " التركيب الكيماوى " ليصبح هذا السائل نماء وخصبا ، وحياة راغدة ، وقوة غاشمة حيث يصبح طوفانا عارما ، فما هو إذن الـدور الذى ساهم به هذا النوع من المصادر فى كشف ماهية الابداع عند الفرزدق ؟ ومـا هى المعادلات التى اختصت بكل هيئة من هيئات وجود الماء ؟

وأول ما يطالعنا من هذه السوائل المطر ومرادفاته ، وعـالم البحـر ، ولهمـا النصيب الأوفر وعليهما اعتمد الفرزدق اعتمادا لا يألو الباحث جهدا فى الوقوف على شواهد تعينه على إثبات ميل الشاعر للمطر والبحر .

فأما المطر – بلفظه – فقد ورد معادلا للأفضال بصفة عامة

إنّ ابنَ يُوسُفَ مَحْمُودٌ خَلائِقُهُ  سِيئانِ مَعرُوفُهُ فى الناسِ والمَطَرُ [١]

وَيَوْمَاكَ يَوْمُ ما تُوَازَى نُجُومُهُ  كَرِيةٌ ويَوْمٌ مَاطِرٌ مِنْ عَطائِكَا [٢]

والدموع مطر ينهمر متتابعا :

وَمَا مِنْهُمَـا إلاَّ تَوَلَّى بِشِقّـةٍ  مِنَ القَلْبِ ، فالعَيْنَانِ تَبتدِرانِ [٣]

وجرى " الحمر " له أصوات وابل المطر :

فانْقَعَرَتْ فى سَوَادِ اللّيْلِ يَعْصِبُهَا  بِوَابلٍ من عَمُودِ الشّدَ مشهومِ [٤]

---

١– الديوان ١ / ٥٦٥. يقول إن فضله ينهمر كالمطر.

٢– ٢ /١٧١ . يقول فى مدح نصر بن يسار إنه ذو يوم قتال تبين نجموه فى النهار ويوم عطاء يمطر الخير مطراً.

٣– ٢ / ٥٩١ . يقول إن كل من ارتحل حمل معه شقة من قلبه.

٤– ٢ / ٣٦٣ . انقعرت : انقلعت . يغصبها : يقهرها. المشهوم : المذعور. يقول إن تلك الحمر حين مر بها السهم انقلعت من مكانها وجعلت تعدو ، والحمار يُزْجى بها ويقسرها على العدو السريع الذى له مثل أصوات وابل المطر وهى تتنحى أمامه مذعورة.

فأخذ الشاعر من خصوصية "**المطر**" صوت القطر المتتابع ، لتصبح النوق سلسلة سريعة متتابعة فى سيرها ، كثيرة فى عددها، و " المطر " معادل للإملاق وضيق الحياة والبؤس ، وذلك حينما يرشف لقلته :

ثَنَتْ رُكَبَ الأيْدى كَأنّ رَشِيفَهَا  تَرَشُّفُ مَمْطُورٍ وَقيعـــاً يُناهِبُهْ [١]

وهو يعبر عن هذا البؤس فى البيت السابق بقوله :

قَطَعْتُ لأَلْحِيهِنَّ أعْضَادَ حَوْضِهِ  ونَشَّ نَدى الدَلْوِ المُحيلِ جوَانُبه [٢]

وأما ما ورد من مرادفاته ، فمتنوع كثير ينم على مدى ملكية الفرزدق للغة واتساع معجمه،وأكثر مرادفات المطر دورانا الغيث، فرحاب الممدوح كمنتجع الغيث:

إنْ تَبْلُغوهُ تكونُوا مِثلَ مَنْتَجعٍ  غَيْثاً يَمُجّ ثَآهُ المَاءَ والزَّهَرَا [٣]

فالغيث فى البيت السابق معادل للحياة الراغدة ، البعيدة عن الاملاق ، ويكون الزهر والماء دليلين على المعادل، والممدوح ( عمر بن عبد العزيز ) غيث يتحرى عنه :

أرَى النّاسَ إذْ خَلّى ابنُ لَيلَى مكانهُ  يَطُوفونَ للغَيْثِ الذى ماتَ وَابِلُهْ [٤]

ولنتأمل هذا التجاور الذى صنعته شعرية الإبداع " الإنسان / الغيث " إن العلاقة بينهما علاقة وثيقة ، إذا ما علمنا أن الإنسان " القائد " هو فى الحقيقة رمز للبقاء والحياة لمن يعولهم ، والغيث إذا فى هذا السياق يعادل البحث عن الحياة والاستقرار وهو غيث، فى مدحه لسليمان بن عبد الملك :

---

١– ١ / ١٤٣ . الوقيع : الماء المستنقع فى نقرة الصخر. الممطور : من انهمر عليه المطر. يقول إن المطايا ثنت ركب أيديها وهمّت أن ترتشفه وكأنما ترتشف منه ماءً مستنقعاً حائلاً ، لا قِبَلَ لها به.

٢– الديوان ١ / ١٤٣ . الألحى : جمع الحى : وهو عظم الحنك الذى يلى الأسنان. أعضاد حوضه : نواحيه . نَشّ صوَّت، يقول إنه أراد أن يسقى إبله من جوانب حوضه ، فصوت الماء من يبسه .

٣– ١ / ٥٥٣ . الثأى : الجرح يبث الدم. يقول إنه كالغيث الذى يبث الزهر والماء والخصب.

٤– ٢ / ٢٠١ . يقول إنهم يتحرون عن الغيث أثره.

سَلَيْمَانُ غَيْثُ المُمْحِلِينَ ومَن بِهِ عن البائسِ المسكينِ حُلّتْ سَلاسلُهْ [1]

والجود والأفضال منه كغيث ربيع:

بَلِ الجُودُ والأفضَالُ مِنْهُ عَلَيهِمُ كَغَيْثِ رَبيعٍ كَـدّرَ الغَيثَ وَابِلُـهْ [2]

والغيث فرجة لكربه :

هُمُ الغُيُوثُ إذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْ والأُسدُ أُسدُ الشّرَى والبأسُ محتدمُ [3]

واليدان غيث لا ينضب :

كِلْتا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفعُهُـمَا يُسْتَوْكَفانِ ، وَلا يَعرُوهُمَا عَـدَمُ [4]

والغيث إخصاب وحياة وكرم واطمئنان :

بِهِ يطْمَئِـن الخَائِفُونَ ، وَغَيْثُـهُ بِهِ مِنْ بلادِ المَحْلِ يَحْيَـا تُرَابُها (٥)

أبى أحَدُ الغَيْثَين صَعْصَعَةُ الذى متى تُخلِفِ الجَوْزَاءُ والنّجْمُ يُمْطِرِ (٦)

وَكُنْتَ لَنا غَيْثَ السّمَاءِ الذى بِهِ حَيينا ، وأحْيَا النّاسَ بَعدَ البَهائِـمِ [7]

فالغيث فى البيت الأخير ، حياةٍ وفرار من الموت ، وتزداد دلالة اللفظ إذا ما علمنا أن الفرزدق يمدح هشاما " وهو محبوس، والغيث عشب ترعاه الإبل :

---

١- ٢ / ٢١٣ . يقول يغيث من حل بهم المحل وفك القيود عن الأسرى العناة .

٢- ٢ / ٢٢٢ والضمير فى " منه " عائد على إبراهيم بن عبد الرحمن بن نافع . يقول بل إنه يفيض على صحبه بالعطاء كالمطر الشديد الذى يكدر المراعى من شدته ومن فيضانه.

٣- ٢ / ٣٥٦ . و " هم " زين العابدين وقومه . يقول إنهم غيوث الكرم وآساد القتال.

٤- ٢ / ٣٥٤ . الغياث : الكرم . يستوكفان : يطلب مطرهما أى عطتؤهما.

٥- ١ / ٨٨ . يقول إنه يُطمئنُ الخائفين ، وإنه ينجد بكرمه كالمطر الذى يزيل المحل.

٦- الديوان ١ / ٦١٠ . يقول إن جده كان يمطر عطاؤه الناس حين يُحبس المطر ، فهو أحد الغيثين ، غيث المطر وغيث الكرم.

٧- ٢ / ٥٤٦ . يقول إنه كالمطر أحيا الناس فضلاً عن البهائم.

فَرُبّ رَبيعٍ بالبَلالِيقِ قَدْ رَعَتْ  بمُسْتَنّ أغْياثٍ بُعَاقٍ ذُكُورُهَا (١)

فإذا كانت الإبل تمثل فعلا متناص الرزق ، فإنها كذلك وسيلة انتقال وطعام وشراب وتوفير العشب لها حياة للإنسان ، فالغيث كذلك معادل لأسباب الحياة والسحاب الممطر سبب فى كثرة مائية ،في قوله :

لَيَبْلُغَنَ مِلءَ الأرضِ نُوراً وَرَحمةً  وَعَدْلاً ، وَغَيثَ المُغْبِراتِ القَواتِمِ (٢)

أَنَاخَتْ بِهِ كُلُّ رَجَاسَةٍ  وَسَاكِبَةِ المَاءِ لَمْ تُرْعِدِ (٣)

والسحاب خائن لعدم إدراره الماء :

وَكَانَتْ تَنْظُرُ العَوّا تُرَجّى  لأعْزَلَهَا لَهَا مَطَراً ، فَخَانَا (٤)

والسحاب هموم :

لَئنْ أصْبَحَتْ نَفسى تُجيبُ لطال ما  أقَرَتْ بعَيْنِى أنْ يُغيمَ سَحابُهَا (٥)

وإذا كان الغيث فى الأمثلة السابقة رمزا الحياة أو رمزا للإملاق حين يبخل بالعطاء فالسحاب هنا هموم وغيوم تحجب عن الشاعر الرؤية ، أو قل إنه اليأس الذى أفقد الشاعر الحركة كما ألفينا السحاب يعادل الأعلى مقابل الأسفل ليتولد العز والسيادة :

---

١- ١ / ٤٠٨ . البلاليق : جمع البولقة : الأرض فيها سعة. المستن : المنهمر. الأغياث : الأمطار . البعاق : الشديد التدفق . ذكورها : المطر القوى. يقول إنما كانت فد رتعت فى ربيع تدفق مطره وانهال انهيالاً عظيماً.

٢- ٢ / ٥٦٠ . المغبرات القواتم : السحب المتراكمة السواد والكثيرة الماء.

٣- ١ / ٢٩٢. الرجاسة : السحابة المُرْعدةز

٤- ٢ / ٦٠٣ . العواء : نجم. الأعزل : السحاب لا مطر فيه . يقول إن المطر خانها وبدت نجومه غير مجدبة.

٥- ١ / ٨٦ . يقول إنه إذا كانت نفسه تستثار بالجمال وتتوق إليه ولا قِبَلَ لها به ، فغنها كانت قد طالما قرّت عينها ونالت غايتها ولم تدع سحاب الهموم يغيم عليها.

وَلَوْ رَفَعَ السَّحابُ إلَيْهِ قَوْماً علَوْنَا فى السَّمَاءِ إلى السَّحَابِ (١)

وقوم الممدوح نجوم تفيض بالغيث :

وُجِدْتُمْ يا بَنى زَيْدٍ نُجُوماً يَنُؤنَ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلّ قَطْرِ (٢)

تعادل – إذن – " النجوم " تنوء بالقطر – الكرم المتتابع ، أو قل إنها تعادل الخصب والنماء ، ويكون الإنسان " المتلقى / الممدوح " رمزاً للسمو والخير والنماء .

وكذا قوله :

إنّ أبا الحَارثِ العَبّاسَ نَائِلُهُ مِثْلُ السِّمَاكِ لا يُخلِفُ المَطَرَا (٣)

**ومن مرادفات المطر** " القطر " للحياة (٤) والقطر سم منهمر على جرير وقومه(٥) ليعادل القطر فى ذلك " الهلاك الموت " ، والمنبعث الثعاب ( المطر الجارى بقوة)لجيش الفرزدق وقومه ليعادل قوة مدمرة ، و "الملث"( المطر الدائم )،والغبية(المطر ينهمر ساعة ويكف ساعة (٦) رمزا لمعاول التدمير والتغيير ، والعارض المتدافع (٧) (المطر الشديد الانهمار يتلمع فيه ويتخطفه البرق ) للسيوف تلمع حين تستل من أغمادها ، ليعادل الرعب والقوة والمضى ، " والغمام " المحمل بالمطر الغزير لمجد قومه المتدافع المتنامى الذى يغمرهم بالخير والخصب (٨) ، " والوسمى " (٩) ( المطر الأول

---

١– ١ / ١٦٥ . يقول لو أنه قُدِّر للسحاب أن يرفع الناس إليه فى الأعلى لكنا نحن أولئك الناس.

٢– ١ / ٥٤٩ .يُنؤن:من النوء،أى المطر. القطر : المطر . يقول إنهم كرام كرماء مثل نجوم المطر التى تنهمر بالغيث.

٣– ١ / ٥٥٤ . السماك : من نجوم المطر. يقول إن عطاءه ينهمر كالسماك الذى لا يخطئ مطره ولا يخلف.

٤– ١ / ٤٤٠ .

٥– ٢ / ٣٤٥ .

٦– ١ / ٥٩٨ .

٧– ٢ / ٦١ .

٨– ٢ / ٥٢٨ ، ٣٦ .

٩– ٢ / ٥٣٢ .

الذى يسم الطبيعة بالعشب والزهر وهو مطر أول الربيع ) حيـاة الـبلاد ونضـارتها و " الرهام " (١) ( المطر الخفيف ) تعرفه ناقته ، و " الجيد " (٢) ( المطر المنجد ) .

**وأما "البحر"** الذى يشارك المطر والغيث كثرة دورانهما ، فيستخدمه الفرزدق للإنسان ومعادلا للمعانى الآتية :

البحر معادل للكرم :

لا شَئَ مِثْلُ يَدَيْكَ خَيْرٌ مِنْهُمَا حَيْثُ التقَتْ بيَدَيكَ فَيضُ الأبحُرِ (٣)

رأيْتُ بُحُورَ أقْوامٍ نُضَـــوباً وَبَحْرُكَ يا أبَانُ يَفيـضُ يَجْـرِى (٤)

فالممدوح فى الأبيات السابقة " بحر " ليصبح المتلقى " الممدوح " فيض كرم لا تحده حدود ولا ينقص من فيض عطائه عطاء . إن هذه الصورة المثالية للممدوح يجعـل منها رمزا لاستبقاء الحياة والاطمئنان ، وتلك سمات الشخصية العربية وشيمها فى فترة من فترات وجودها ، عطاء بلا حدود ، وكرم لا ينضب معينه . و" البحـر " لقومـه معادل للاتساع والقوة والرعب المخيف :

تَميمٌ ، – إذا تَمَتْ عَليكَ ،– رأيتَهَا كَلَيْلٍ وَبَحْرٍ حينَ يَلْتَقيـانِ (٥)

ستَعلَمُ أىُّ الوَادَيينِ لـَهُ الثَّـرى قَديماً وَأوْلَى بالبُحُورِ الخَضَارِمِ (٦)

ولاحظنا أن أكثر استخدامه " البحر " بهذا المعادل ، كان لقومه فى إطار افتخاره علـى

---

١– ٢ / ٥٣٢ .

٢– ١ / ٥٧٠ .

٣– ١ / ٥٤٦ . يقرن كرمه بفيض البحور.

٤– ١ / ٥٥٠ . يقول إنه يبذل الكرم من دون الآخرين.

٥– ٢ / ٥٩٢ . يقول إن تميماً كالليل والبحر فى اتساعهما وتموجهما.

٦– ٢ / ٥٦٤ . يقول إنهم الأكثر عدداً منذ القدم وإنهم يزخرون كالبحور.

جرير ، ولنا أن نتأمل البيت الأول ، لنعلم كيف يكون حال جرير وقومه أمام تميم تلك التى كليل مخيف وبحر صخب متسع مرعب لا تحده حدود ، إنها القوة الخرافية التى لا توجد إلا فى الخيال الابداعى، ومن ذلك استخدامه " البحور الزواخر " لجدود الممدوح معادلا بها القوة والسيادة " يقول الفرزدق :

١– هُمُ خَيْرُ بَطحاوَى لُؤىّ بنِ غالبٍ سَمَا بِهِمُ مِنها البُحُورُ الزَّواخِرُ (١)

والذى يدلنا على ذلك قوله فى البيت السابق :

٢– ملوكٌ وأبناءُ المُلُوكِ وسادةٌ لَهُمْ سؤْدُدٌ عَوْدٌ علي الناسِ قَاهِرُ

وهذا دليل على عراقة أصل وأرومة الفرزدق من ناحية ،وأن هذا الأصل ،وهو العراقة فى النسب – لاينتهى كما لا تنتهى هذه البحور، وهي قوة غاشمة :

مَا ضَرّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أهَجَوْتَهَا أمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَانِ (٢)

والبحور مجد وتاريخ بطولى :

فى حَوْمةٍ غَمَرَتْ أباكَ بُحُورُهَا فى الجَاهِلِيةِ كانَ وَالإسْلامِ (٣)

والبحر القماقم وقوة مدمرة :

وَيوْمٌ لَهُمْ مِنّا بحَوْمانَةَ التَقَتْ عَلَيْهِمْ ذُرَى حُوْماتِ بحرٍ قُماقِمِ (٤)

تَخَلّى عَنِ الدّنْيَا قُتَيْبَةُ إذْ رَأى تَميماً عَلَيهَا البِيْضُ تحتَ العَمائمِ

---

١– ١ / ٥٢٠ . البطحاء : فى مكة. ٢– العود : القديم. السؤدد : المجد.

٢– ٢ / ٦١٤ . بُلْتَ : من بال أخرج بوله.

٣– ٢ / ٥٥٥ . يقول إنه نزل فى حومة قديمة فغرق أبوك فى غمرة البحر.

٤– ٢ / ٥٦٥ . – يقول إنهم التقوا بهم فى ذلك الموضع وزخروا عليهم ببحرهم المتلاطم ، وأغرقوهم.

– يقول إن قتيبة ارتاع وتخلى عن الدنيا وتمنى الموت حين شاهد بنى تميم وعليخم الخوذ تحت عمائمهم.

ويد الممدوح تدفقان (١) وكفه يجرى عبابها (٢) و" النيل والنهر " استخدما مصدرا للتصوير، ورمز بهما الفرزدق إلى معان خلفية منها :

الكرم غير المحدود

أعْطى خَلِيفَتُنَا بِقُــوّةِ خَالِــدٍ نَهْراً يَفيضُ لَهُ عَلى الأنْهَارِ (٣)

٢- إنّ الْمُبَارَكَ كاسْمِهِ يُسْقَــى بِهِ حَرْثُ الطّعَامِ وَلاحِقُ الجَبّارِ

٣- أسْقَاهُ مِنْ سَيْحِ الفُرَاتِ وَغَيْرِهِ كُــدْراً غَوَارِبُهُ مِــنَ التّيّارِ

٤- لَمّــا تدَارَكَ لِلْمَبَارَكِ مَــدَّهُ رَخُصَ الطّعَامُ لِمَايِحٍ وَتجــَارِ

والممدوح " نيل " يفيض على أيدى المساكين :

- لَدُنْ جَاوَرَ النّيلَ ابنُ لَيْلَى فإنّــهُ يَفيضُ عَلى أيْدى المَسَاكِينِ نايِلُه (٤)

- فأصْبَحَ أهْلُ النّيلِ قَدْ سَاءَ ظَنُهُم بِهِ واطمأنّتْ بَعدَ فَيضٍ سَوَاحِلُهْ

كأنّ الفرَاتَ الجَوْنَ يَجْرِى حُبَابُــه مُفَجَّرَةً بَينَ البُيُوتِ جَداوِلُــــهْ (٥)

إن " النيل والفرات ، والنهر " فى الأبيات السابقة تتحول من طبيعتها الكونية ، لتصبح

---

١- ٢ / ٦١٠ .

٢- ١ / ١٠٠ .

٣- الديوان ١ / ٤٤٣ ، ٤٤٤. ١- يقرن خالداً بالنهر المتدفق بما يفوق الأنهار الأخرى كرماً وعطاءً.

٢- المبارك : نهر أجراه خالد بن عبد الله القسرى. الجبار : النخلة الطويلة. يقول إن الممدوح أجــرى ذلــك النهر وأجرى به الرزق وأنمى النخيل.

٣- سيح الفرات : فيضانه. الغوارب : الأمواج العالية. يقول إن ذلك النهر استمد من الفرات ومــن أنهــر أخرى وله أمواج عالية كدراء من الصخب وشدة التدفق.

٤ - المليح : المغترف الماء بكفه.

٤- ٢ / ٢٠١ . – يقول إنه جاور النيل واتخذ طباعه فى البذل والفيض.

– يقول إنه حين ارتحل عن مصر ظن أهلها أن النيل سكن وأنه لن يفيض بعد ذاك.

٥- ٢ / ٢١٣ . يقرن كرمه بالفرات الجون أى المسود من الفيضان والذى طافت مياهه بين المنازل.

هذه المصادر معادلة للكرم والعطاء والجود ، أو قل معادلة للأمل يلوح للإنسان العربى والفرجة تجاه الكربة . إنها الحياة الجديدة السعيدة . إن الشاعر يتصارع مع أحداث الزمان ، والحياة سجال بين شقاء وسعادة ،ولكى يطمئن الشاعر فى الإستمتاع بحياة رغده ،ونراه بفعل الخيال المبدع ومجاوزة لغة الشعر يجعل من هذا الكرم والجود أنهاراً تفيض ، إنها رغبة الشاعر فى حياه أفضل ،أمله فى دمار كل مظاهر الإملاق و القحط ان هذه المعانى غير الحسيه "الكرم ،الجود ،العطاء " تتحول إلى أشياء ملموسة يطمئن الإنسان بوجودها وحسيتها ،وعلى المتلقى أن يتحاور مع النص ليصل إلى مراده الحقيقى ،كما يقول ريفاتير ( مايكل ) *Micheal Kiffaterre* " إن العملية السيميوطيقية تتم فى الواقع فى عقل القارئ ، وهى حصيلة قراءة ثانية ، و إذا أردنا فهم سيميوطيقا الشعر فعلينا أن نميز بين مستويين أو مرحلتين فى القراءة ، فعلى القارئ قبل الوصول إلى الدلالة أن يتجاوز المحاكاة ، حيث يبدأ حل شفرة القصيدة بالقراءة الأولى التى تستمر من بداية النص إلى نهايته ، ومن أعلى الصفحة إلى أسفلها متبعاً فى ذلك المسيرة السياقية *Suntagmatic* ، ففى هذه القراءة الاستكشافية *Heuristic* الأولى يتم تفسير أولى لأن المعنى يتم فهمه فى هذه القراءة ..... ، كما تعتمد هذه القراءة على قدرة القارئ على إدراك التضارب بين الكلمات ... والمرحلة الثانية من القراءة هى مرحلة القراءة الاسترجاعية **Retroactive** حيث يحين الوقت لتفسير ثان أى لقراءة تأويلية حقيقية ([1])

---

١- سيموطيقا الشعر : دلالة القصيدة . ترجمة : فريال جبورى غزول ضمن كتاب " انظمة العلاقات فى اللغة والأدب والثقافة : مدخل إلى السيميوطيقا ، إشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد ، دار إلياس العصرية – القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

فـ " النيل " خصب وانتعاش حياة (١) ونهر " دجله " يخاف ويخشى :

١- وَلَوْ أنّ دِجْلَةَ أُنْبِئَتْ عِنْ خَالِدٍ بَاتَتْ مَخَافَتُهُ عَلى الأَقْتَارِ (٢)

٢- يا دِجْلَ إنْكَ لَوْ عَصَيتِ لِخَالِدٍ أمْراً سُقيتِ بأْملَحِ الأمْرَارِ

٣- إنْ كَانَ أتْخَنَ مَدَّ دِجْلَةَ خالِدُ فَلَطالَمَا غَلَبَتْ بَنِى الأحْرَارِ

٤- يا دِجْلَ كُنتِ عَزِيزَةً فيمَا مَضَى فَلَقدْ أصَابَكِ خَالدٌ بصَغَارِ

إن النهر هنا معادل للضعف والخوف ، والقارئ قراءة مبدعة ، تلك القراءة التى أشار إليها " ريفاتير " فى قوله السابق ، يجد أن دجلة المذكور يمثل شخصية الشاعر فهو يمدح خالد ابن عبد الله القسرى ، وهو محبوس ، ويرجو عفو خالد فيما قد نسب إليه من هجائه نهره " المبارك " وقد هدد الفرزدق بالقتل ، لذا كانت التراكيب مخافته على الأقتار ، لو عصيت ، أملح الأمرار ، أتخن مد دجلة ، أصابك بصغار دالة على ما أصاب الفرزدق من خوف ورعب ، إن الشاعر لم ينس أن يعتد بذاته حتى وهو فى أحرج المواقف ، فيختار لنفسه نهرا ، مع ما يتصف به من عطاء وكثرة وقوة ، وإن كانت الصورة سلبية إلا أنها تعبر عن مكنون الشاعر ونزعته نحو الاعتداد بالذات حتى فى حضرة الممدوح معتذرا ، لذا كان قوله فى نفس القصيدة وبعد بيتين :

---

١- ١/ ٤٤٠ ، ٢٢٥ .

٢- الديوان ١/٤٤٤ . ١- أقتار : جمع القتر : الناحية والجانب. يقول إن دجلة بات يخشاه ويزوره خوفاً من أن يجره ويجذبه عن مقره.

٢ - يخاطب الفرات ويقول إنك لو عصيت خالداً لأصبت بالمرارة وصار ماؤك مالحاً.

٣- أتخن : أصاب بالجراح. بنو الأحرار : الفرس والأكاسرة. يقول إن خالداً روض دجلة ، وكان طالما تعصى على الفرس والأكاسرة.

٤- يقول إن خالداً ضاءل من قدر دجلة لأنه روضه.

أنْتَ المُجـــــيرُ وَمنْ تُجِرْ تَعْقِدْ لَهُ عِنْدَ الجِوَارِ أشَدّ عَقْدِ جِوَارِ (١)

ونهرى " فرات " مجد وبطولات لآل حرب ، وذلك فى مدح يزيد بن عبد الملك وأمـــه عاتكة بنت يزيد بن معاوية :

يَقُودُ أبو العاصى وَحَزْبٌ لحَوْضَهَ فُراتَينِ قَدْ غَمّا البُحُورَ الجَوَارِيَا (٢)

و " الموج " يستخدمه الفرزدق استخداما يتماشى مع طبيعة الموج من قـــوة وانـــدفاع فالأمواج جبال " قوة مدمرة وهيبة مفزعة " فى قوله مخاطبا جريرا :

بِأَيةِ زَنْمَتَيْكِ تَنَالُ قَوْمـــى إذا بَحْرِى رَأَيْتَ لَـــهُ عُبَابَا (٣)

تَرَى أمْوَاجَهُ كَجِبَالِ لبْنَى وَطَوْدِ الخَيْفِ إذْ مَلأَ الجَنَايَا

وكذا قوله :

وَهَلْ كانَ إلاّ ثَعْلَباً رَاضَ نَفْسَهُ بمَوْجٍ تَسامَى كالجِبالِ مَجاوِلُهْ (٤)

ضَغَا ضَغَوةٌ فى البَحرِ لّما تَغَطْمَطَتْ عَلَيْهِ أعَالى مَوْجِهِ وأسَافِلُـــــهْ

إن المتلقى ( المهجو ) يصبح شيئا هيناً تتقاذفه الأمواج دلالة علـــى الضـــعف والذلـــة مقابل القوة إن المتلقى ( المهجو ) يصبح صورة للغثاء ، تدفعه الأمواج على الساحل .

فأصْبحَ مَطْرُوحـــــاً وَرَاءَ غُثَائِهِ بحَيثُ التَقى من ناجِحِ البَحرِ ساحلُهْ (٥)

ولا حظنا أن " الأمواج " معادلة للقوة المدمرة الجارفة ، اقتصرت على قوم الفـــرزدق

---

١- ١/ ٤٤٥ .يقول إنه يستجير به ومن يجيره يعقد له أمكن عهود الأمان.

٢- ٢/ ٦٣١. يقول إنه جمع فى حوضه مجد آل حرب الذى يصب كنهرى فرات.

٣- ١/ ١٧٠ . – زنمتاك : هنتان تكونان فى حلق العنزة . العباب : الاصطخاب.

– الطود : الجبل . لبنى : موضع . الخيف : هبوط وارتفاع فى بطن الجبل.

٤- ٢/ ٣٤٤ . – المجال : من جال تحرك فى كل مكان. – ضغا : صاح. تغطمطت الأمواج : جاشت وثارت.

٥- ٢/ ٣٤٥ . وناجح البحر ماؤه الذى يضرب الساحل.

فى إطار نقائضه مع جرير ، واستخدام الفرزدق الأمواج تعادل السيادة والمجد والتاريخ المشرف :

أَلَسْنَا الَذينَ تميمُ بِهِـــــمْ تَسامَى وتَفخَرُ فى المَشْهَدِ (١)

وَقَدْ مَدّ حَوْلى مِنْ المَالِكَيْــ نِ أوَاذِيٌّ ذِى حَدَبٍ مُزْيِدِ

كما أنها تعادل المخاطر والأزمات ، ومن ذلك قوله :

قَدْ بَلَغْنَا عَلى مَخْشَاةِ أنْفُسِنَا شَطَّ الصَّرَاةِ إلى أرْضِ ابنِ مِرْوَانِ (٢)

طَيّارَةٌ كَانَ للحَجّاجِ مَرْكَبُهَا تَرَى لَهَا مِنْ أذَاةِ المَوْجِ أعْـــوَانَا

فأذى الأمواج المذكورة فى البيت الثانى هى المخاطر والأزمات الحياتيــة الــتى تحيط به ، أو قل إنها رمز إلى الإنسان الذى يسعى فى ضرر الغير ، يتربص بهم ، وطبيعة الحياة العربية الأولى كانت تحفل كثيرا بمثل هذه الأنماط من البشر ، و " الماء " مصدر للتصوير استخدمه الفرزدق للتعبير عن الفقر والبؤس المر :

وَمَاءٍ كَأَنَّ الغِسْــلَ خِيضَ صَبِيبُهُ عَلى لَوْنِهِ، والطّعْمُ يّعبِسُ شارِبُهْ (٣)

الشاعر يصف الماء الذى اضطر لاحتسائه فى تلك القفار الــتى اجتازهــا إلى

---

١- الديوان ١/ ٢٩٤ . – يقول إنه باعث فخر تميم.

– مدَّ : النهر أو البحر : ارتفع ماؤه. الأواذى : الأمواج المرتفعة . ذو حدب : المرتفــع الوسط. المزيد : الكثير الغثاء والزبد.

٢- ٢/٥٩٩ . – يمدح أسد بن عبد الله ويقول إنه بلغ إلى شط الصراة وهو نهر بالعراق وهو يسير فى ذلك النهر خائفاً وهنا يظهر عصر السفر فى البحر. وكان طالما عبر عن السفر فى القفر وأوفى إلى غايته منه.

– يقول إنها سفينة طيارة تعدو بسرعة وكأنها للحجاج وفيها ملاحون يمنعون عنها أذى الأمواج العاتية.

٣- ١/١٤٣ . الغسل : الماء الوسخ الذى اغتسل به. الصبيب : العصفر. يصف الماء الذى اضطر لاحتســائه فى تلك القفار ، ويقول إنه مغشى بالقذارة ، كأنما اغتسل به ، وله لون متغير ومن يذقه يتعبس من نتنــه ومــن مرارته.

المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى ، فهذا الماء مغشى القذارة ، ولونه متغير من يذقه يتعبس من نتنه ومن مرارته . إن الماء هنا يعادل البؤس وضيق العيش، وهو نفس " الماء الذى اهتدت إليه نوقه خلال رحلته إلى يزيد بن المهلب :

وَماءُ سَدىً من آخرِ الليلِ أرْزَمَتْ  لِعرْفَانِهِ مِنْ آجِنٍ وَدِفَانِ (١)

– والماء رحمة مهداه :

أرَى اللهَ فى كَفَّيْكَ أرْسَلَ رَحْمَةً  على الناسِ ملءَ الأرضِ ماءً مُفجَّرَا (٢)

ولنتأمل كيف جمع الشاعر بين الرحمة والماء المفجر ؟ إن الشاعر بهذا الاختيار والتوزيع للكلمات يدفع القصيدة إلى أن تتولد من جملة حرفية صغرى إلى إسهاب *Periphrase* مطول ، ومعقد وغير حرفى (٣) . إن الرحمة تظل تتفجر ، تسيل لتعم كل شئ ، وهو مطلب الشاعر ، وكما يجد فى الماء الحياة ، يجد فى الرحمة الحياة بأفضل معانيها ، إن الشاعر يريد أن ينعم بالرحمة كما ينعم بالرحمة كما بالماء يتفجر ، فأخرج المعنوى مخرج المحسوس لتظل ماثلة أمام عينيه يلمسها ويبقى عليها لا تنتهى و لا تنمحى والماء خصب وحياة .

وأنْتَ سَماءُ اللهِ فيهَا التى لَهُمْ  من الأرضِ يُحيى ميّتَ الأرْضِ ماؤها (٤)

– والماء قوة مدمرة .

---

١– ٥٩٣/٢ السدى : ندى الليل . أرزمت : حنت. الآجن : الماء المستنقع. الدفان : الماء المدفون فى بطن الأرض يقول إن تلك النياق أصيبت بالظمأ الشديد حتها إلها كانت تهتدى إليه بهديها وكانت تصوت عندما تعرفه أكان مستنقعاً آجناً أم أنه مستبطن مدفون فى قلب الأرض.

٢– ٥٦٢/١ . يكرر المعنى ذاته.

٣– سيميوطيقا الشعر : دلالة القصيدة – مايكل ريفاتير – ترجمة : فريال جيورى غزول ، ص ٢٣٢ .

٤– الديوان ٢٢/١ . يقول إنه فى انهماره بالعطاء كسماء الله التى تحيى الأرض الموات.

فكَانَ كَما قَالَ ابنُ نُوحٍ سَأرْتَقِي  إلى جَبَلٍ مِنْ خشيَةِ المَاءِ عاصِمِ (١)

– ودمع العين ماء يتفجر :

تَفَجّرَ مَاءُ العَينِ كُلَّ عَشِيّةٍ  وَللشّوْقِ ساعاتٌ تَهِيجُ ذُكُورُهَا (٢)

إن عنصر " الماء " علامة التخصيب الفيزيقى والفسيولوجى ، تتحول دلالتــه كما فى البيت السابق ليصبح شيئا مهدرا كدمع العين البشرية ، ويكون حينئذ إشارة إلى الحزن والضياع، وهو معادل للحزن والهم في قوله أيضا :

فَعَيْنَيّ ، ما المَوْتَى سَواءً بُكَاهُمُ  فَالبدّمِ إنْ أنْزَفْتُمَا المَاءَ فادْمَعا (٣)

كما استخدم الفرزدق " الندى " مصدرا للتصوير معادلا للكرم والجــود (٤) والرعد الممطر للجيش قوة مدمرة (٥) ، كما استخدم " الثلج " للدروع تلمع مصــقلة بيضاء (٦) ، وريق الحبيب " برد " (٧) ، والموت " منهل " يشرب منه (٨) واســتخدم "الحوض " إشارة إلى المجد والقبيلة (٩) ، واستخدم " الدلو " – وقد أدرجناها ضــمن السوائل باعتبار اقترانها دائما بالمطر – معادلا للكرم والامــتلاء بــالخير ، والكــدر والاملاق ، المجد ، واستخدم " الذئاب " ( الدلو الكبيرة ) إشارة الذل والضعف، فدلو

---

١– الديوان ٥٦١/٢ . يقول إنه كان يريد أن يرتقى إلى مكان يعصمه كما ارتقى نوح سفينة الماء.

٢– ٥٨٥/١. يقول إن المساء يثير فيه الذكرى وللذكرى ساعات تستثار بها.

٣– ٣٧/٢. يطلب من عينيه أن تسكب عليهما الدم بدلاً من الدمع.

٤– ٥٢٢/١ ، ٥٥٣ ، ٥٤٩ ، ٢٠١/٢.

٥– ٥٧٨/١ .

٦– ١/ ٧١ .

٧– ٢٦٧/٢ .

٨– ٥٥/٢ .

٩– ٤٨/٢ ، ٤٣ .

قوم جرير ذليل عند استقاء الماء :

فقُبّحَ شَـرٌّ حَيّيْنـا قديمـاً، وأصْغَـرُهُ إذا اغتَرَفُـوا ذِنَابَا (١)

و " السيل " استخدمه للخيول ، فالخيل سيل منهمر :

وَقد رأى مُصْعَبُ فى ساطعٍ سَبْطٍ مِنْهَا سَوابِقَ غـارَاتٍ أطانِيبِ (٢)

والخيل كالغيث :

أغَرُّ يُعْرَفُ دُونَ الخَيْلِ مُشْتـرِفاً كالغَيْثِ يَخْفِشُ أطْرَافَ الشآبيبِ(٣)

إن هذه الصورة المائية لها بنيتها المادية والسيكلوجية والرمزية فى آن واحد ، ويمثل ذلك فى حركة السيل ينساب بعضه فى بعض بحيث تتولد الموجة مـن الأخـرى فى رشـاقة وسيولة مرنة ، لا توحى إلا بالصيرورة والحركة ، يقول عاطف جودة نصر فى أمثـال هذه الصور ، هذا وأشباهه يندرج تحت جملة من الاستعارات ، والصور التى تعتمد على الحركة وتقرن فى تصويرها القوة بالتدفق ، وربما قيل على مذهب القدماء ، إن الشعراء إنما يبنون هذه الصور تجريد وجه الشبه الواقع فى الحركة والهيئة ، ويركبون الاسـتعارة فى تصوير حركة الحيوان على مفهوم نقل الألفاظ عن أصوله ودلالاتها الأوائل ، لـولا أن مذهبهم لا ينور براعة الأداء وعبقرية التخييل والتصوير .. إنما يقع التنوير وتفـتح أبعاد هذه الصور وأمثالها بالكشف عن المستويات الفزيائيـة والنفسـية والاسـتطيقية

---

١- ١/ ١٦٨. الناب : الدلو الكبيرة. يقول إنهم شر الناس قديماً وأذلهم دلواً عند استقاء الماء.

٢- ١/ ٤٧ ، الأطانيب : الخيل المتتابعة . مصعب : شقيق عبد الله بن الزبير. السبط : الشعر المنبسـط والمطـر المنهمر. الأطانيب : الخيل يتبع بعضها بعضاً. يقول إن خيل الممدوح أقبلت على مصعب وكأنها السيل المنهمر وشاهد سوابقها المتقدمة المتزاحمة.

٣- ١/ ٤٨ . مشترفاً : منتصباً . يخفش أطراف . الشآبيب : يرسل دفعات كثيرة من المطر. يقول إنـه يجلـى فى مقدمة الخيل وينهمر منها بمثل المطر السيّال ، الكثير التهطال.

والرمزية ، تلك التى تدخل فى بنية الحركة بوصفها الحد النهائى لهذه الصور ، وربما التبس الأمر فظن أن تحليل الحركة يخص بنيتها الميكانية ، وهى بنية أبعد ما تكون عن الصور والتخيل الشعرى الذى يضعها فى نسق متميز .. إن هذه الصور فى هذه المساقات الشعرية يحيل على الماء الذى تتنوع حركته فى العيان الحسى بين هدوء الغدران ورخاوة الجداول وصخب البحار وقوة المساقط التى تولد الشرارة المضيئة .. إن الماء سواء كان كان هو المشبه به أو المستعار منه تتنوع صوره فى الشعر تنوعا يهدف إلى الفرق بين مستويين ، مستوى التركيب الهيدروليكى الذى يدرس قوى الموائع ، غير متجاوز البنية التجريبية التى يفيد منها فى التطبيق العلمى ، ومستوى البناء الشعرى ، وما يتفتح فيه من صور الخيال ، تلك التى تتيح لنا ضربا من تكثير الواقع وتنويع منظورات الموضوع ، فإذا الماء رى يبل العروق ، وعطش يورد الإنسان موارد الهلكة ، هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج ، وإذا هو يتجلى رمزا للحياة والموت فى علاقته بالأرض تهتز خضرة رابية ، اجتث نباتها عرامة السيول وشدة الطوفان ، وإذا هو رمز لنضارة الشباب وورقه وريحانه . ([1])

**متفرقات تعود فى إطارها العام إلى السوائل :**

ومن المصادر التى تعود فى إطارها العام إلى " السوائل " " السم " وكان له خصوصية واحدة هى الموت والانتهاء ، فشعره يقطر كالسم الممزوج بالحنظل :

وَلَقدْ وَرِثْتُ لآلِ أوْسٍ مِنْطِقاً  كالسّمّ خالَطَ جانِبَيْهِ الحَنْظَلُ ([2])

---

١- الخيال " مفهوماته ووظائفه " ص ١٩٥ وما بعدها .

٢- الديوان ٣٢٤/٢ . أوس : هو أوس بن حجر وكان على رأس المذهب الزهيرى وعليه تخرج زهير وابنه كعب والنابغة والحطيئة من بعد.

وشعره هو السم الزعاف :

وَلَوْلاَ ارْتِفاعى عَنْ سُلَيمٍ سَقَيْتُهَا كِئَاسَ سِمـــامٍ مُرّةً، وَعَلاقِـــمِ (١)

واستخدم الفرزدق المطر يقطر السم وابله تعبيرا عن مدى البـــؤس والامـــلاق الذى يعانيه :

وَقَالُوا لِعَبّـــادٍ أغِثْنَا وَقَـــدْ رَأوْا شآبِيبَ مَوْت يُقْطِرُ السَمَّ وَابِلُهْ (٢)

و " الرماح " يسيل منها السم كما يسيل الدم :

وكنَّا إذَا ما اسْتَكره الضَيفُ بالقِرَى أَتْتهُ العَوالِى وَهْىَ بالسُّمِ تَرْعَفُ

والمصادر الأخرى التى تعود فى صيغتها إلى سوائل " الزفت " واســـتخدمه فى هجاء خصمه (٣) ، و " دموع الحبيبة " سلافة لها رائحة الذكى المسوف (٤) ، وحديث العاشقات كأنه " جنى نحل " عذوبة وشفاء (٥) .

ومن أهم مظاهر الطبيعة الجامدة **"الجبـال "** ،واستخدمها الفرزدق اســـتخداماً واضحا وبه تتشكل الرؤى الإبداعية لديه ، وتمثل – أيضاً– احدى المفاتيح الـــتى بهـــا تتضح رسالة النص لدى شاعر "ما" .

استخدم الفرزدق من خصوصية الجبال "الرسوخ و الشموخ و الثبات و الثقة والعراقة والهيبة و الجلال ، فبنى قومه جبال ، مثل :

---

١– ٢/٥٧١ ، ٤٧ ، ١/ ٢١٦. يقول إنه يترفع عن بنى سليم ، ولولا ذلك لسقاهم بشعره السمّ الزعاف.

٢– ٢/٣٤٥ . الوابل : المطر الشديد.

٣– ١/٥٧٥ .

٤– ٢/١١٦ .

٥– ٢/١١٤ .

يَلِجُونَ بَيتَ مُجاشعٍ ، وَإذا احتبوْا  برَزُوا كَأنّهُـمُ الجِبَـالُ المُثّلُ (١)
إذا مَـا وُزِنّا بالجِبَـالِ رَأيْتَنَـا  نَميلُ بِأنْضَادٍ الجِبالِ الأضَاخِمِ (٢)

وقوله مخاطبا جريرا :

فادْفَعْ بكَفّكَ ، إنْ أرَدْتَ بنـاءَنَا ،  ثَهلاَن ذا الهَضَباتِ هل يتَحَلحَلُ (٣)

ويكون " ثملان " هنا معادلا للمجد الراسخ المتأصل ، فمد قومه وتـاريخهم لا ينال منهم غارم حتى ينال من ثملان ذى الهضبات الذى لا يتحرك ولا يتزحزح .

وجيش الممدوح جبل الطراه :

فى جَحْفلٍ لَجِبٍ كأَنّ شَعَاعَهُ  جَبَلُ الطِّرَاةِ مَضعَضَعُ الأمْيَالِ (٤)

ويكون جبل الطراة معادلا – هنا – للثقة والانتصار ، وقبيلة " سعد " جبال العز :

فَسَعْدُ جِبَالُ العِزّ والبَحْرُ مالِكٌ  فَلا حَضَنٌ يَبْلى ولا البَحْرُ يُترَفُ (٥)

إن الشاعر يريد الدوام لقبيلة " سعد " (٦) فيصورها بالجبال ، والجبال باقية راسخة ، إنها رغبة الإنسان فى البقاء والدوام ،وقومه جبال تمنع الأرض أن تميل :

فهمْ يَعدِلونَ الأرْض لولاهمُ استَوَتْ  عَلى النّاسِ أوْ كادَتْ تَسيرُ فتُنسَفُ (٧)

---

١– الديوان ٣١٨/٢ . المثل : المائلة الشاخصة.

٢– ٥٧٠/٢ . يقول إنهم أرجح من الجبال.

٣– ٣٢١/٢ . ثهلان : جبل يتحلحل : يتزحزح .

٤– ٣٣٦/٢ . شعاعه : ما تفرق منه. الأميال : جمع الميل : منتهى مد البصر ومضعضع الأميال من قوة السراب.

٥– ٢/ ١٢٥ . سعد ومالك : من بنى تميم. يفخر بهم ويقول إن بنى سعد هم جبال وبنو مالك هم البحر ، والجبل لا يفنى والبحر لا يسترف ولا ينتهى ماؤه.

٦– " سعد " من تميم .

٧– ٢/ ١٢٨ . تنسف : تقلع. يقول إنهم يوازنون الأرض ولولاهم لكان الناس متماثلين ولا السـعديون يقـول لهَوَت الأرضُ ونسفت ، فهم يعادلونها ويوازنزها.

لتعادل الجبال هنا قوة توازن ، ليصبح قوم الشاعر بعد ذلك رمزا للعدالة والاستواء واستمرار الحياة . وحلوم قومه جبال .

إنّا لَتُوزَنُ بالجِبَالِ حُلُومُنَا وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلى الجُهّالِ (١)

وتكون"الجبال هنا معادلة للرزانة والتعقل لا يفزعهم فزع، ذوو حكمة، وتدبر وهذه السمات التى يخلعها الشاعر على قومه ليست مؤقتة ، ولكنها دائمة دوام هذه الجبال الراسية . والجبال مجد وتاريخ بطولى لا يستطيع جرير أن ينال منه :

فَرُمْ بيَدَيْكَ هَلْ تَسطيعُ نَقْلاً جبالاً مِنْ تِهامَةَ رَاسيَاتِ (٢)

" والجبال " معادلة للضعف والذلة ، وهى صورة سلبية لها ، وقد استخدمها الفرزدق فى بيان " بحر " مجده الذى تغمر مياهه الجبال وتلتهمها ، ويدعها تقصر، ذلك فى مدار فخره على جرير:

تَقاصَرَتِ الجِبَالُ لَهُ وَطَمّتْ بِهِ حَوْمَاتٌ آخَرُ قَدْ أَنَابَا (٣)

و الجبال رمز للمصاعب تواجه الشاعر فى الوصول إلى الخير و العطاء و الحياة "الممدوح "

مُلْقَوْنَ باللَّبَب الأقْصَى ، مُقابِلُهُمْ عِطْفاً قَساً ، و بَراقٌ سَهلَةُ عُفَرُ (٤)

و قد يورد الفرزدق صفات الجبال مصدراً للتصوير ، فقومه " أطواد طوال المخارج "

---

١- ٢/ ٣٣٢. يقول إنهم يحلمون ويجهلون فى مواضع الحلم والجهل.

٢- ١/ ١٨٢ . يقول إنه حين يتصدى لبنى قومه ، كأنما يحاول أن ينقل الجبال الثابتة الراسية.

٣- الديوان ١ / ١٧٠ . طَمَّ : غمر. يقول إنه يلتهم الجبال ويجعها تقصر كما أنه يطم على ذرى الجبال الأخرى.

٤- ١/ ٣١٤ ، اللبب : الرمل و ما استرق منه ، قسا جبر . العفر : جمع العفرة : الأرض البيضاء. يقول إنهم يختارون الجبال وأمامهم الأرض الرملية العسيرة والمواقع البيضاء.

رمزاً للسيادة ([1]) والمجد لقومه " شوامخ بازخات " ([2]) ، والعيش فى كنف الممدوح كمن اعتصم " بذرى مشمرة " معادلة للأمان والاطمئنان ([3]) والعز والجاه والسيادة " شماريخ " ([4]) والمجد " شماريخ فى عيطاء صعب جبالها " ([5]) وآباء الفرزدق " شم كرام خضارم"([6])

**واستخدام الفرزدق بعض التضاريس الأخرى مصدراً للتصوير ، فاستخدام الحجارة والحصى والرمل والسماء والأرض .**

فالحجارة إنسان شاهد على مخازى جرير وقومه :

إنّ الحِجَارةَ – لَوْ تَكَلّمُ – خَبّرَتْ عَنْكـــمُ بألأمِ دِقّةٍ وَسِفَـــالِ ([7])

إن التأمل فى البيت السابق يجعلنا نتخيل مدى انتشار فضيحة هـــؤلاء القـــوم ومخازيهم فأينما تذهب تجد عيونهم ومخازيهم ، واختيار الشاعر هنا للحجارة دال علـــى الاختيار والانتقاء الذى يميز إبداع الشعر عن غيره ، فالحجارة تلك الأجسام العديمـــة الحس والشعور حينما تشهد هذه المخازى وتخبر عنها ، وتعانيها ، يكون الشـــاعر قـــد أبدع فى وصف هؤلاء القوم ومدى جرمهم وذلتهم ، ولنا أن نتخيل كم شاهد– حينئذ الإنسان من هذه المخازى وكم عانى منها ونفر من أصحابها ن والممـــدوح " حجـــر " يرمى به الفساد :

---

١– ٢/ ٥٧٠.

٢– ١/ ١٨٣ . براق : المرتفع من الرمل أو لعله اسهكار .

٣– ١/ ٤٤١ .

٤– ١/ ٥٢٣ . العفرة : جمع العفرة ، الأرض البيضاء .

٥– ٢/ ٢٢٩ .

٦– ٢/ ٥٢٣ .

٧– ٢/ ٣٣٢. يقول إن الحجارة شاهدت مخازيهم وهى خربة أن تفضحهم لو تكلمت.

هُوَ الحَجَرُ الرَامِي بِهِ اللهُ مَنْ رَمَى  إذا الأرضُ بالناس اقشعّرتْ ظهورُهَا (١)

إن الحجارة هنا لها خصوصية التطهير والرحمة والعدل ، كما يرمى إبليس بالحجارة فى مناسك الحج ، رمزا للشر والظلم .

والأحجار تقبل :

وَإذا ذَكَرْتَ أَبَاكَ أوْ أيّامَهُ  أخْزَاكَ حَيْثُ تُقَبَّلُ الأحْجَارُ (٢)

والبيت كناية " تقبل الأحجار " بالإشارة إلى مكة حيث مناسك الحج ، هكذا أشار شارح الديوان ، فجرير وقومه سيخزون ويذلون يوم الاحتكام أمام الناس جميعا فى مناسك الحج ، ولكن البيت فيه إشارة أخرى إلى قول الفرزدق ، فهم – إن جاز التعبير – لهم حرمة المناسك وهيبتها ، وشرف للناس جميعا أن يتحدثوا عن قومه بمجدهم وبطولاتهم ، كما هو شرف للناس الحديث عن الحج ومناسكه ، كما أن البيت الشعرى فيه دال أخر وهو شرعية قصد هؤلاء القوم والتمثيل بهم ، هكذا يظل المعنى الشعرى المبدع لا ينضب معينه .

واستعان الفرزدق " بالحصى " رامزا به لكثرة العدد :

إنّى غَمَمْتُكَ بالهِجَاءِ وَبالحَصَى،  وَمَكَارِمٍ لِفعالِهِنّ مَنَارُ (٣)

ويكون الحصى معادلا للخوف والرعب .

أنا ابنُ الجِبالِ الشُّمّ فى عددِ الحصَى  وَعِرْقُ الثَرَى عِرْقى ، فمن ذا يحاسبُهْ (٤)

---

١– ١/ ٤٢٧ . يقول إنه حجر الله يرمى به من يشاء من العباد حين يعم القحط والفساد.

٢– ١/ ٦٠١ . حيث تقيل الأحجار : فى مكة ومناسك الحج.

٣– الديوان ١/ ٦٠١ والضمير فى غمتك عائد على " جرير " يقول إنه علا عليه كما يعلو الماء ، وذلك فى التهاجى وبالعديد والمكارم التى تتوقد وتنير.

٤ – ١/ ٩١. يفخر غاية الفخر ويقول إنه ابن الجبال الشم مناية عن مجده. وإن قومه عديدون كالحصى ، وإنه عريق قديم ولا قبل لأى امرئ بمحاسبته.

إن قومه فى عدد الحصى ، ولا شك إذن أن لهم الغلبة ، فهم قوم ذوو مجد شامخ عريق قديم ، هنا يصبح الرعب والقوة من دلالات الحصى .

– وَجدْنا أعَزَّ النّاسِ أكْثَرَهُمْ حصًى وأكْرَمَهُمْ مَنْ بالمَكارِمِ يُعرَفُ (١)

و " الأرض والسماء " استخدمها مصدرا للتصوير ، فاستخدم الأرض " فاسدة للتعبير عن الجهل والظلم .

أرْضٌ رَمَيْتَ إليهَا وَ هْيَ فاسدةٌ بصَـــارِمٍ مِنْ سيُوفِ اللهِ مَشبُوبِ(٢)

والأرض ترتعد لقومه هيبة وسيادة :

حَسِبْتَ بأنّ الأرضَ يُرْعَدُ مَتْنُهَا وَصُمُّ الجبالِ الحُمُر مِنها وَسودُهَا (٣)

إذا مَا رأَتْهُ الأرضُ ظَلَّتْ كأنَّهَا تَزَعْزَعُ تَستَحِي الإمامَ من الرّعبِ (٤)

وحرة اللوب " الأرض والسوداء الكثيرة الحصى " للجيش لتعـــادل " القـــوة اللامحدودة . (٥)

والوعث " الطريق العسير " للأمل المفقود والهم الجاثم (٦) ، والسماء والأرض تطيعان وتنقادان:

---

١– ٢/ ١٢٤ . يقول إن أكرم الناس هم الأكثر عدداً ومن شَهُرَ منهم بالكرم

٢– ١/ ٤٤ . يقول إنك رميت تلك البلاد بسيفك الذى هو سيف الله والحق ، ومنعتها عن ارتياد الفساد.

٣– ١/ ٢٧٠. يقول إن الخندفيين والقيسيين حين يغضبون ويحملون سلاحهم ، فـإن الأرض تميـد مـن دونهـم وتتزعزع الجبال ما كان منها أحمر ومكان أسود. والسواد والاحمرار ليس لها ثمة دلالة خاصة.

٤– ١/ ١٣١ الضمير عائد على الوليد بن يزيد بن عبد الملك . يقول إن الأرض ذاتها ترتعب منه وتخجل من عظم هيبته.

٥– ٤٦/١ .

٦ – ١/ ٥٨٦ .

رَأيْتُ سَمَاءَ اللهِ والأرضَ ألْقَتَا بِأيْدِيهمَا لابْنِ المُلُوكِ القَمَاقِمِ (١)

تعبيرا عن التسليم الشامل والعام بخلافة هشام ، والانقياد لحكمه ، و "الصخر" من المصادر التى استخدمها الفرزدق معادلا للقوة والتحدى :

١- والحَارِثِيُّ ، أخُو الحِماسِ وَرِثْتُهُ صَدْعاً كما صَدَعَ الصَّفاةَ المِعْوَلِ(٢)

٢- يَصْدَعنَ ضَاحيَةَ الصَّفا عن مَتْنِهَا وَلَهُنّ مِنْ جَبَلَىْ عَمـــايَةَ أثْقَـــلُ

٣- دَفَعُـــوا إلىّ كِتَابَهُـــنّ وَصيّـــةً فَـــوَرِثْتُهُـــنّ كأنّهُـــنّ الجَنْـــدَلُ

و " الجندل المتلاحم " معادلا للاتحاد والتضام و "الوادى " استخدمه الشـــاعر معادلا لقبيلته ذات العز والسيادة والمجد مقارنا به وادى جرير ذلك الـــوداى الـــذليل الضعيف " أواد به من الوبار كواد به البيت العتيق .

*** متفرقات تعود فى إطارها العام إلى التضاريس :**

ومنها " الرياح " فهى رسول يحمل ذكريات طيبة الرائحة :

كَأنّ خُزَامَى حَرّكَتْ ريحَهَا الصَّبَا ، وَحَنوَةَ رَوْضٍ حِينَ أقلَعَ ماطِرُهْ (٣)

لَنَا إذ أتَتْنَا الرّيحُ مِنْ نحوِ أرْضِهَا وَدارِىَّ مِسْكٍ غَارَ فى البَحرِ تاجِرُهْ

---

١- ٢/٥٤٦ . يقول إن الأرض والسماء تطيعان هشاماً ابن الخلفاء .

٢- ٢/ ٣٢٤ . ١- الحارثى : أراد به النجاشى، ضدعاً : قسماً . يقول يحطم كما يحطم الصخرة المعول.

٢- الصفا : الصخرة.

٣- يقول إن هؤلاء يقرون له بالتقدم فى الشعر وكأنهم كتبوه له بكتاب وهو يقارع به كالجنـــادل أى كالصخور.

٣ – الديوان ١/ ٥٢١ – يقول إنه اشتم مثل طيب الخزامى تبثه ريح الصبا أو كأنه طيب يتضوع من روضة كان المطر قد انسكب فيها.

– بكمل المعنى ويقول إن مثل ذلك الطيب تحمله الريح حيث هّب من نحو أرضها ، أو كأنه المسك الـــدارى الذى غار تاجره من أجله فى البحر ليقتنصه.

وريح الجنوب تذكره ذكرياته الجميلة (١) والرياح هموم نفسية تحجب الأمـــل والحياة عن عينيه :

وَمَاءٍ كانَ الدِّمْنَ فَـــوقَ جِمَامِهِ عَباءٌ كَسَتْهُ من فُرُوجِ المَخارِمِ (٢)

رِيَاحٌ عَلى أعْطَانِهِ حَيْثُ تَلْتَقِى عَفا ، وَخَلا من عَهْدِهِ المُتَقَادِمِ

إن الشاعر يصف مشهدا فى رحلته إلى ممدوحه ، فالماء آجن قد غشيه الطحلب والرياح مرت على أعطانه ، ونوقه تشرب هذا الماء ، إن المشهد يصور الهموم والمآسى تحجب الأمل فى حياة أفضل " الطحلب يغشى الماء يغطيه " والماء يمثل الحياة ولكنه ماء آجن عطن ، وعلى ذلك يكون النص الشعرى عالما يجب قراءته قراءة تترك الظاهرة إلى ما وراء الألفاظ المكتوبة إلى معادن متوارية يجنبها المتلقى المبدع للعمل الفنى إبداعا يحيى إبداعيته مرة أخرى .

والرياح لها خصوصية التخريب والتدمير(٣)و" الغبار"يدرعه جرير لتخلفه عن السباق (٤) ، و " الخراب " ميراث يتركه جرير أينما حل (٥) .

**أما حظ النباتات فى التصوير** ، فنراه قليلا ، لم نره يركز على نوع خاص مـــن النباتات فشعر الفرزدق الهجائى " سلع " " شجر مر خبيث " يتذوقه جرير وقومه :

---

١ – ١/ ٤٣٢ .

٢– ٢/ ٥٥٩ . – الدمن : العشب. الجمام : الماء الطافى. المخارم : طرق الجبال. يصف ماء آجنا وقـــد غشـــيه الطجلب بمثل لون العشب تجمع واستنقع من الجبال.

– الأعطان : جمع العطن : مبرك الغنم والإبل. يقول إن الرياح مرت حول أعطانه حيث كانت الإبل تبرك بعد الشرب والرياح جعلته يعفو وتمحى معالمه وزال عنه القديم.

٣– ١/ ٥٩٨ .

٤– ١/٥٧٥ .

٥– ١/ ١٧٢ .

هَجَوْنِى حَائِنينَ وَكانَ شَمْـــتى ، عَلى أكْبَادِهِمْ ، سَلَعاً وقَارَا (١)

فَما بكَ مِنْ هذا وَقَدْ كُنتَ تَجتَنِى جَنى شَجَرٍ مُر العَواقِــبِ مُمْقِرِ (٢)

و " الأسنة الصلب " كجزوع خيبر :

وَهَزَزْنَ مِنْ جَزَعٍ أسِنَةَ صَلَّـــبٍ كَجُزُوعِ خيْبَرَ أو جُزُوعِ أوَالِ (٣)

تعبيرا عن إصابة الهدف ، وقد يستخدم الشاعر مــن " النخــل " خصوصــية الطول فى تشبيه أعناق الخيل بالمجرومة السحق :

علَقَتْ أعنّتُهُنّ فى مَجْرُومةٍ سُحُقٍ مَشَذَّبَةِ الجُذُوعِ طِوَالِ (٤)

كما يستخدم خصوصية العلو والشموخ والثبات والكرم فى النخيل لممدوحه :

فَهَلْ أنتِ إلاَّ نَخْلَةٌ غَيرَ أنّنى أرَاهَا لغَيرى ظِلُّهَا وَصِرامُهَا (٥)

ويستخدم " الضغابيث " للرجل الضعيف .

أَتَصْبِرُ لِلعَادى ضَغَابيثُ جَعْفَرٍ وَثَوْرَةِ ذى الأشْبالِ حِينَ يَثُورُهَا (٦)

ليصبح لهذا النوع من النباتات خصوصية " الضعف وقلة الشأن " ليتحول بنو جعفر قوما لا شأن لهم تدوسهم القبائل ، لاشأن لهم شأن هذا النبات الضعيف تدوســه

---

١- ١/ ٥٧٥ . الحائن : الحاقد. السلع : شجر خبيث مر. القار : الزفت.

٢- ١/ ٦٠٩ . المقر : المرّ . يقول إنه كان يستدر الهزيمة أو الهجاء.

٣- ٢/٣٣٥ . يقول إنهم يهزون الرماح الصلبة الشهبة بجذوع النخيل فى خيبر أو فى أوال.

٤- ٢/ ٣٣٥ . المجرومة من النخيل التى قطفت ثمرها ، وهى أبسق وأشهق. السحق : العالية الشامخة. يقــول إن أعنة تلك الخيل ربطت بأعناقها الطويلة الشامخة الشبيهة بالنخل العالى والذى قطف ثمره وسذي فبدا أعلى.

٥- ٢/ ٤٣٦ . الصرام:ما يقطع منها من تمر. يقول إنها نخلة عالية ، لا قبل له بنيلها وإن سواه يســتقر فى ظلــها وينال ثمرها.

٦- الديوان ١/ ٥٩٣ الضغابيس : جمع الضغبوس : الرجل الضعيف. يقول إنهم قوم ضعاف لا يصبرون للأعــداء وللشجاع من القوم ، وهو كأسد حوله أشبال يثيرها عليهم.

الحيوانات .

واستخدم نبات " البشامة " كناية عن طيب رائحة الفم (١)وقوم الممدوح"أثلة" ليس لها ظل ، تعادل الهبوط والاخفاق ، وقد جاء هذا الممدوح فأعاد إليها الورق والثمار (٢) وهو وأولاده " كزرع مات " تعبيرا عن اقتراب النهاية والموت (٣)،وجرير " دمن أرض " ضعيف لا شأن له ولا فائدة (٤) وحربه الهجائية " حنظل وصبور " (٥) " ثغام اللهازم " لبنى عامر تعبيرا عن الكبر والهرم ولزوم الضعف والخوف (٦) وهوادج النساء " كشجر الدوم " واستخدام شجر الدوم مصدرا لتصوير هوادج النساء تشبيه درج عليه القدماء ، دون أن يفقد التكرار هذه الصورة جديتها ، بل وجدنا فروقا فنية دقيقة فيما بينها (٧) جمالا وعلوا (٨)،و" العصا"استخدمها الشاعر ملازمة للدين الإسلامى لها خصوصية القوة والتماسك .

يُقيمُ عَصَا الإسلامِ مِنّا ابنُ أحوَزٍ  إذا ما عَصَا الإسلام لانَتْ كُعُوبُهَا (٩)

عَصَا الدّينِ والعُودَينِ والخاتمَ الذى  بِهِ اللهُ يُعطى مُلْكَهُ كُلَّ قَائِمِ (١٠)

وقد استخدمها للتعبير عن الضعف والاختلاف حين تنشق " انشقت العصا "

---

١- ٢٦٧/٢ .

٢- ١/ ٣١٥ والأثلة : شجرة ليس لها ظل .

٣- ٤٣٦/١ .

٤- ٥٦٦/٢ ودمن الأرض : عشبها .

٥- النقائض : ٩١٦/٢.

٦- ٥٦٨/٢ وثغام اللهازم : شجر إذا يبس أبيض .

٧- محمد مصطفى هدارة : الشعر العربى فى العصر الجاهلى ، ص١٥٧ .

٨- ٥٩٩/١ .

٩- ١/ ٩٧ .يقول إنه يدافع عن الإسلام كلما مالت به الفتن ووهنت عصاه.

١٠- ٥٤٨/٢ . العودان : منبر النبى.

"شقت عصا الإسلام" (١)

**٢- الطبيعة المتحركة : عالم الحيوان .**

وعالم الحيوان ذلك العالم الرحب الذى يستمد منه الشعراء قدماء ومحدثين مصادر متنوعة الشكل والدلالة لصورهم الإبداعية ، والحيوان كائن ذو شعور شارك الإنسان العربى الأول حياة الشقاء والسعادة ، وقد شكل الحيوان بذلك جانبا كبيرا من تأملات الشاعر العربى تجاه الوجود ، وأخذ يتأمله ضعفا وقوة ونفعاً وضراً ، حتى إن المتأمل للشعر العربى فى عصوره الأولى لا يستطيع أن يستقرئ النص الشعرى قراءة تكشف بواطنه وأعماقه إلا بالوقوف على طبيعة هذه العلاقة بين المنشئ وبين هذا النوع من المصادر ، فهو – أى الشاعر – يجعلها نماذج لأنواع من البشر ، كما أنها تفسر كثيرا من دوافعه ورغباته المكنونة .

إن " عالم الحيوان " لا يجب النظر إليه فى الشعر العربى فى فترة من فترات وجوده باعتبار ذلك العالم الحيوانى ذى الصفات والهيئات الخارجية التى تخص عالم الحيوان ومربيه ، بل يجب تأمل هذا العالم تأملا فلسفيا لتصبح رسالة النص أكثر تفجرا ووضوحا ، لا تضيع غاياته وأهدافه المختبئة خلف الأردية الخارجية ، والشاعر وهو يرسم هيئات الحيوان وصفاته كان مشغولا برسم حدود أفعاله ، وتوجيه هذه الأفعال والخصوصيات نحو حاجيات الإنسان بصفة عامة ، وحاجياته بصفة خاصة ، وعلى هذا اكتسبت صور الحيوان الشعرية صفات وأحوالا بشرية حتى ليشعر المتلقى المحلل لهذا الشعر أن عالم الإنسان بأحواله ودوافعه وراء العالم الحيوانى.

---

١- ٢/ ٥٤٧ ، ١/ ٣٢٧ .

**فما هى الخصوصيات التى ارتآها شاعرنا الفرزدق لهذا العالم الحيوانى المتنوع ؟ وبالتالى ما هى المثل التى يتغياها الشاعر وتمثل مدخلا لفهم إبداعه وإسهامه فى إثراء لغة الشعر ؟** وقد تنوعت المصادر التى استقاها الفرزدق من عالم الحيوان على النحو التالى :

**( أ ) الحيوانات المفترسة :**

من استقرائنا للمصادر التى تنتمى لهذا النوع من الحيوانات ، وجدنا الأسد – من بين هذا الصنف – يحوز اهتمام الفرزدق ، ولعل " الأسد " ذلك الحيوان الذى يتسم بخصوصية القوة والإقدام لم يستحوذ على اهتمام الفرزدق وحده بل على كل الشعراء – قدامى ومحدثين – مع اختلاف نسبة دورانه فى دواوينهم .

وقد ألفينا صورة " الأسد " لم تكن مقصورة على الإنسان فقط ، بل استخدمها للحرب،واستخدمها تعبيرا عن الخطوب والأزمات،أو لشعره الهاجى، وتجرى هذه الصور إما يلفظ الأسد ذاته أو بمرادفاته كثيرا .

أما استخدامه " صورة الأسد "للإنسان،فقد لا حظنا أن الفرزدق لم يستخدمها لممدوحه بقدر ما استخدامه لذاته ولقومه ، وهذا يدلنا على مدى تغنى الشاعر بقومه وبتاريخهم .

فالتميمى يولد أسدا ضرغاما :

كأنّ أكُفّ القَابلاتِ لأمّهِ رَمَينَ بعَادِيّ الأسُودِ الضّرَاغِمِ (١)

وَدّ جَرِيرُ اللّؤمِ لَوْ كَانَ عَانِياً وَلَمْ يَدنُ مِنْ زِأرِ الأسودِ الضَّرَاغمِ (٢)

---

١– الديوان ٢/ ٥٦٥.يقول إن القابلة حين أخرجت التميمى من بطن أمه ألقت بين يديها الأسد الضرغام، القوى.

٢– ٢/ ٥٧٣ . العانى : الأسير.

والفرسان منهم :

أسُودُ لِقَاءٍ مِنْ تَميمٍ سَمَتْ لهمْ سَرِيعُ إلى وَلْغِ الدّمَاءِ وَرُودُهَا (١)

عَلِمْتَ بأنّ العِزّ فِيهِمْ وَمِنْهُـــمُ إذا ما التَقَى الأقرَانُ ثارَ أُسُودُهَا (٢)

ويكون استفهام هذه الصورة مقصورا على السياق الحربى ، وتكون الأســـود هنا لها خصوصية القوة والانقضاض أو قل الثقة بالنصر .

والفرزدق " ليث " بأولاده :

وَكنْتُ بِهِمْ كاللّيثِ فى خِيسِ غابةٍ أبَى ضَارِعَاتٍ كانَ يرْجَى نُشابُهَا (٣)

وهو " أغلب ضيغما " وجرير كلب عوى فأثاره :

عَوَى فَأثَارَ أغْلَـــــبَ ضَيْغَمِيـــــاً فَوَيْلَ ابنِ المَرَاغَـــةِ ما اسْتَثَـــــارَا (٤)

ولنا أن نتأمل هذا التقابل بين صورة الأسد " الغليظ الرقبة " القـــوى شـــديد العض وبين كلب ضعيف ، إنه تقابل بين السيادة والذلة ، بين القوة والضعف ، أو قل فى نهاية الأمر بين الفرزدق وسيادته لإمارة الشعر وتفوقه ، وبين جرير قليل الشـــأن فى هذا المضمار ، وليس لجرير ولقومه إلا ما يخلقه شعر الفرزدق فيهم مثلما يخلف الأغلب الضيغمى فى فريسته ، وهو نفس قوله :

– قالُوا لهَا : احْتَسبى جَريراً إنّهُ أوْدىَ الهِزَبْرُ بِهِ أبُو الأشْبَالِ

– ألْقَى علَيْهِ يَدَيْهِ ذُو قَوْمِيّـــــةٍ وَرْدٌ فَدَقّ مَجَامِعَ الأوْصَالِ (٥)

---

١– ١/ ٢٧٠ . يقول إنهم أسود فى القتال وإنهم من بنى تميم وهم يطربون لشرب الدماء.

٢– ١/ ٢٧١ . الأقران : جمع القرين : هنا العدو المقاتل.

٣– الديون ٢/ ٦٢٤ . الخيس : مربض الأسد.

٤– ١/ ٥٧٤ . الأغلب : الأسد. الضيغمى : الأسد القوى.

٥– ٢/ ٣٣١ . يقول أنهم طلبوا منها أن تسجن ابنها حماية له لأن الفرزدق الأسد الهزبر أودى به.

– ذو قومية : ذو قومة. يقول إنه شد عليه الأسد القوى ففكك أوصاله.

وجرير ذباب طار فى لهوات ليث :

ذُبَابٌ طَارَ فى لَهَوَاتِ لَيْثٍ كَذَاكَ اللّيْثُ يَلْتَهِمُ الذُّبَابَا (١)

هِزَبْرُ يَرْفِتُ القَصَراتِ رَفْتاً أَبَى لعُدَاتِـــه إلاّ اغْتِصَـــابَا

وأما صورة " الأسد " للممدوح فلم نرها منتشرة – كما قلنا – قدر استحواذ الفرزدق وقومه لهذه الصورة ، فالحجاج أسد غاضب :

أخَافُ مِنَ الحَجّاجِ سَوْرَةَ مُخدرٍ ضَوَارِبَ بالأعْنَاقِ مِنْهُ خَوَادِرُهْ (٢)

بنو مروان أسود :

رَأَيْتُ بَنى مَرْوَانَ يَرْفَعُ مُلْكَهُمْ مُلُوكٌ شبابٌ كالأسودِ وَشِيبُهَا (٣)

وأسد بن عبد الله القسرى " عاد " :

إنى رَأَيْتُ أَبَا الأشْبَـــــالِ مُعْتَصِماً بِهِ الجِبَالُ كَعَـــادٍ عِندَ خَفّـــــانَا (٤)

وللكتائب زئير وصياح الأسود :

وَيَوْمَ تَلاقَتْ خَيْـــــلُ بابِلَ بالقَنَا كتائِبَ قَد أبدى الضُّرُوسَ هَرِيرُهَا (٥)

واتخذ صورة " الأسد أو السبع " للحرب يشتعل أوارها :

إذا الحُرُوبُ بَدَتْ أنيابُهَا خَرَجَتْ ساقَا شِهابٍ،على الأعداءِ،مَصْبُوبِ (٦)

---

١– ١٦٩/١ اللهوات : جمه اللهوة :لحمة الحلق. يقول إنهم ذباب فى شدق أسد ، والذباب قوم جرير، وألسد هم قوم الفرزدق.

– الهزبر : الأسد. يرفت : يكسر.

٢– ١/ ٤١٨ .المُخدر:الأسد.السورة: هنا الغضب. يقول إنه يخاف منه صولة الأسد الذى يضرب الأعناق ويبيرها.

٣– ١٠٢/١. يقول إنهم يدعمون ملكهم بأمراء شجعان كالأسود شيباً وشباناً.

٤– ٦٠١/٢ . العادى : الأسد . خفان : مأسدة معروفة.

٥– ١/ ٤٢٧ . الضروس : الأضراس . الهرير : الزئير والصياح.

٦– ١/ ٤٥ .يقول إن الحرب إذا أبدت أنيابها ، وقد قرنها بالوحش ، فإن الممدوح يتصدى لها وكأنه شهاب ينقض انقضاضاً على الأعداء وينصب عليهم انصباباً.

وصورة " السبع " فى البيت الثالث صورة سلبية،تعادل الضعف والهزيمة فالشاعر يقول إنه يذل الحرب ، وأنها إن نالته فإنه يحطم نابها . إن الشاعر يعرض صراعا بين الإنسان والحياة ، فالحياة حرب بين قدرة الإنسان على امتلاكها وبين تقلب قوى الطبيعة وتدميرها إياه،والشاعر يصور الحياة –حينئذ –بمصاعبها وآلامها الدامغة "بسبع " لها أنياب ، إلا أن الشاعر لا يستسلم ، وتظل محاولاته –بصفته إنسانا –فى مقاومة مصاعب الحياة وهمومها .

واتخاذ صورة " الأسد " معادلة للخطوب والأزمات وجدناها فى أكثر مواضع الديوان ، منها قوله :

تُسَاقُ وَتُمْسى بالجَريض وَلم تكُنْ مِنُ اللّيْثِ أن يَعدو عَليهَا لتُذْعَرَا (١)

إن تعامل الشاعر مع اللغة يكسبها دلالة مخصوصة ، أو قل إنها لغة داخل لغة ، أو كما يقول شكرى عياد " إن الفنان ينبش فى ركام اللغة بحثا عن جوهرها ... فعالم الفنان عالم حى ، دائم التغيير ، ذو أهواء لا تنقضى عجائبه ولا تؤمن بوادره (٢) وعلى ذلك نعاود التأمل فى البيت السابق . ، إن وصف الشاعر نوقه وما تواجهه في رحلتها إلى ممدوحه ، إنما هى فى الحقيقة رحلة الشاعر فى الحياة وما يواجهه فيها ، أو هى لحظة ضعف يعيشها المبدع يثير بها عواطف المتلقى تجاهه ، فإما معينا له على حل مشاكله وتلبية حاجاته أو اكتساب مناصرته له فيما يعرضه ، إذن فما هو " الليث " المذكور ؟ ذلك الذى يذعر نياقه ؟

---

١– الديوان ١/ ٥٦٠ . الجريض : الريق الغاص. يقول إنها تكاد تغص بريقها من عجزها عن ابتلاعه ، وإنه قد يلم بها الأسد ، فلا تهرب منه عمن شدة تعبها.

٢– شكرى محمد عياد : دائرة الإبداع " مقدمة فى أصول النقد " دار إلياس العصرية ١٩٨٧ ، ص ١١٢ .

إنه فى الحقيقة ذلك الرعب ، وتلك المخاطر والأزمات التى تحيط بالشاعر مهددة بقاءه ، واستقراره ، خاصة إذا علمنا أن النياق تعادل وتمثل " فعلا لاقتناص الرزق ، إنها تسلك بصاحبها مسالك صعبة قاسية ، لكنها فى النهاية تقوده إلى باب الخير الذى ينتهى عنده إملاقه (١) ، وبانتهاء الاملاق ومجئ الخير تزهو الحياة وتعود مرة أخرى ، ومن ذلك أيضا قوله :

كَمْ أدْلَجَتْ بِى سَخْوَةٌ مِن لَيْلَةٍ شَهبَاءَ ، أو سَمِعَتْ زَئِير المُخْدِرِ (٢)

وللأيام " أنياب " فى إطار شكواه :

عَلى قُريشٍ إذا احتَلّتْ وَعَضّ بِهَا دَهْرٌ وأنْيَابُ أيَامٍ لَهَا أثَرُ (٣)

وقد يتخذ الفرزدق بعض هيئات " الأسد" كهيئة هجومه ، فى تشبيه إقدام السنة المجدبة القاتله :

تَكَرُّمَهُ عَمّا يُعَيَّرُ ، والقِرَى إذا السّنَةُ الحَمْرَاءُ جَلّحَ عَامُهَا (٤)

أو " مشيته " لذاته " :

نَبَحَتْ كلابُ الجنِّ لَمّا أحْجَرتْ فَرقاً لَدَى مُتَبَهْنِسٍ مَضْبُورِ (٥)

---

١- عبد القادر الرباعى : الطير وعالمه الحيوانى فى الشعر الجاهلى مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى – العدد ٣١ ، ١٩٨٦ م ، ص ٨١ .

٢- ١/ ٥٤٥ . أدلجت : سارت ليلاً . السخوة : العرج. المخدر : الأسد. يقول إنه عدا بها وهى تطلع عرجاً عبر الليالى ، وهو يسمع زئير الأسود حوله.

٣- ١/ ٣١٦ ، ٢/ ٥٧٣. عض بها دهر : أى إنه أنزل بها الخطوب وأملقها. أنياب أيام : أى أن اليام آذتها أذى منكراً.

٤- ٢/ ٣٧٣ . جلح : هجم وأصلها فى الأسد. السنة الحمراء : السنة المجدبة القاتلة.

٥- النقائص:٢/ ٩١٤والمضبور:الموثق الخلق مجتمعه،والبهنسة:مشية الأسد،وتبهنس الرجل إذا مشى يتبختر فى مشيته

ويتخذ صورة " الأسد " للحراس على نسائه :

يَغْشَى الإكَامَ بِهِنّ كُلُّ مُخَيَّـــس قَـــدْ شَـــاكَ مُخْتَلفَاتُهُ مـــوّارُ (١)

واتخذ " أنثى الأسد " لوصف المرأة :

كِلْتَاهُـــمَا أسَـــدٌ إذا حَرّبْتَـــهَا وَرِضَاهُمَا – وَأبِيكَ– خَيرُ مَعاشِ (٢)

والشاعر يشير إلى زوجته وامرأة الخشخاش العنبرى " الجعيـــدة " فى البيـــت السابق ، ويقول إنهما حريتان إن غضبتا أن تغدوا كلبؤتين وهو – أى الشاعر – يقرن الضرر والفتك بالمرأة إذا غضبت ، لذا يجب رضاهما ليطيب العيش معهما ، كما قـــال الفرزدق .

وزوجته نوار كفرثى ( لبؤة ) جروها قد يتفقا :

نَوَارُ لَهَا يَوْمَـــانِ : يَـــوْمٌ غَرِيـــرَةٌ وَيَوْمٌ كَغَرْثَىَ جِرْوُهَا قَدْ تَيَفّعَـــا (٣)

ومع ما تتميز به صورة الأسد من قوة وإقدام نرى الفرزدق ، يستخدم "الأسد " فى صورة سلبية يفقد فيها خصوصيته وما يتحلى به ، وذلك فى قوله :

سُيْرهَبُ من حَيَّىْ قضَاعةَ مَن عَوَى إلِيهِمْ من الأُسدِ العَوَادى زَئِيرُهَا (٤)

فأعداء قضاعة من الأسود العوادى تتحول من رهبتها وقوتها إلى كلاب تعوى وتكون الصورة بهذا البناء أشد تنكيلا وألما فى نفس المتلقى"المهجو " فأشد الأسى والألم

---

١– ١/ ٦٠٠ . المخبّس : الأسد فى خيسه ، أى فى غابه. شاك : شوّك. مختلفاته : أنيابه ، الموار : المتحرك الأعضاد.

٢– ٢/ ١٦ . حربتها : أغضبتها. يقول إنهما جميعاً اى زوجته نوار وزجة الخشخاش حربتان إذاغ غضبتا أن تغدوا كاللبؤتين وأفضل السبل أن ينال زوجاهما رضاهما ليطيب لهما العيش.

٣– ٢/٧٧ . يقول إن ذينك المرأتين هما زوجتاه ، نوار وحدراء وإن نوراً إما أن تكون عريرة مدلة ، وإما أن تكون كاللبؤة أى الغرثى وابنها قد نما عنها.

٤– ١/ ٤٢٩ . يقول إن الأعداء الأشداء كالأسود ، فإنهم حين يلمون بقضاعة يغدو زئيرهم عواء من رهبتها.

أسى وألم الأسياد الأبطال حين يهزمون، وأبو الأشبال يتحول إلى " جعل " ينجحر من رهبة وقوة العباس بن الوليد بن عبد الملك وكان يكفى بأبى الأشبال :

وَلَوْ لَقِيتَ الذّى تُكْنِى بكُنْيَتِهِ فاسطاعَ مِنكَ أبا الأشبالِ لا نَحَجَرا [1]

وعلى هذا يخلع الفرزدق على صورة الأسد استسلاما وضعفا ، ليبالغ فى مدح ممدوحه وبيان ما عليه من شجاعة واقدام، ومن مرادفات الأسد مما وجدناه فى الديوان "الأغلب الضيغم " [2] و"الهزبر" [3] و"أبو الأشبال" [4]،و"الهزير هريت الشدق " [5] و"الرئبال" [6]و"الشداقم" [7]و" القساور" [8] و " الفرثى " [9] ، و " المخـــيس " [10] و " المتبهنس " [11] ، و " العادى " [12] ، و " المخدر " [13] ، و " الضراغم " [14] كما استخدم اسم الجنس"السباع" [15] لقومه،كما استخدمها لشعره وأثره الدامغ [16]

---

١- ١/٥٥٥ . كنيته : أى أبو الأشبال أى أنه إذا لقى الأسد أبا الأشبال لانحجر واختبأ فى مكمنه.

٢- ١/ ٥٧٤ ، ١٦٩ .

٣- ٢/٣٣١ .

٤- ١/ ٥٨٧ .

٥- ٢/ ٣٣١ .

٦- ٢/ ٣٤٣ .

٧- ٢/ ٥٧٣ .

٨- ١/ ٢٩٤ .

٩- ٢/ ٧٧ .

١٠- ١/ ٦٠٠ .

١١- النقائض ٢/ ٩١٤ .

١٢- ٢/ ٦٠١ .

١٣- ١/٥٤٥ .

١٤- ٢/٥٧٣ .

١٥- ١/ ٦٠٥ ، ٦١٥ .

١٦- ١/ ٥٧ .

وهى فى جميعها خاصة بالإنسان .

ومن هذا الصنف – ويأتى فى الدرجة الثانية – " الذئب " واستخدمه الفرزدق للإنسان ولغيره ، فأما استخدامه مصدرا لتصوير الإنسان ، فكان استلهاما لبعض خصوصياته ، فجرير " ثعلب " يصيح خوفا من الموت المتمثل فى الموج الأتى عليه (الفرزدق وقومه ) :

– وَهَلْ كانَ إلا ثَعْلَبَاً رَاضَ نَفْسَهُ بَمَوْجٍ تَسَامَى كالجِبالِ مَجاوِلُهْ

– ضَغَا ضَغوَةٌ فى البَحرِ لّما تَغَطْمَطَتْ عَلَيْه أعَالى مَوْجِهِ و أسَافِلُهْ (١)

واستخدم خصوصية " الجبن والضعف " ونفس الصورة يركبها الشاعر فى قوله :

وَجَدَتْكَ أمُّكَ والّذى مَنَّيْتَهَا كالبَحرِ أقْبَلَ زَاخِراً والثّعْلَبِ (٢)

أقْعَى لِيَحْبِسَ باسْتِهِ تَيّارَهُ فهَوَى على حَدَبٍ لهُ مُنْتَصِّبِ

واستخدم خصوصية " القوة والفتك " لذاته فى مخاطبته جريرا :

قَدْ كُنْتُ–لَوْ نَفَعَ النّذِيرُ– نَهَيْتُهُ ألاّ يَكُونَ فَرِيسَةَ الرّئْبَالِ (٣)

وقد يستخدم الذئب معادلا " للبؤس والمخاطر " :

يَبِيتُ يُرَامى الذّئْبَ دُونَ عِيَالِهِ وَلوْ مَاتَ لم يشبعْ عن العظمِ طَائِرُهْ (٤)

إن الشاعر يعرض مدى البؤس الذى يحيط به ، والإملاق الذى يحاول الافتراس به فنراه

---

١– الديوان ٢/ ٣٤٤ .– المجال:من جال:تحرك فى كل مكان – ضغا : صاح. تغطمطت الأمواج : جاشت وثارت.

٢–١/٦١،الحدب:الموج. المتنصب:المنصب،يقول إنه كالثعلب الذى أراد أن يوقف البحر بأسته فدفعه الموج وأهلكه.

٣– ٢/ ٣٣١ . الرئبال : الذئب.

٤– ١/ ٤١٣ . يقول إن ذلك القفر تفد فيه الذئاب وتدنو من العيال لمحله ، ويبيت رب العائلة يرمى لها العظام ليشاغلها عن عياله ، وإذا ما الطائر ألمَّ بهذا المنادى ووقع عليه لَلَقِى فيه العظم وحسب ، من دون أى لحم يفترسه.

يصور وجوده فى قفر حل الخراب به ، وتلاشت مظاهر الحياة فيه ، وحلت به الذئاب الجياع هى الأخرى ، فأخذ يشاغل هذه الذئاب بالعظام – رمز الجفاف والقحط – ليأمن عاليه . إن " " الذئاب " هنا تعادل " الغدر الغاشم " ، كما تعادل المخاطر والمصاعب تواجه الشاعر فى طريقه إلى ممدوحه " الوليد بن عبد الملك " ونفس الدلالة يرددها الفرزدق فى قوله :

فَقُلْتَ لَهُمْ : إنْ يُبْلِغْ اللهُ نَاقَتِى وَإيّاىَ أُنْبِى بالّذى أنَا خَابِرُهْ(١)
بحَيْثُ رَأيْتُ الذّئْبَ كُلَّ عَشِيةٍ يَرُوحُ عَلى مَهزُولِكُمْ وَيُبَاكِرُهْ

ودالا بذلك على مدى الاملاق الذى حل به، واستخدم " السيد "من أسماء الذئب للخيول:

مِنْ كُلّ سابحَةٍ وأجْرَدَ سَابِحٍ كالسِّيدِ يَوْمَ تَغَيّمٍ وَدُخَانِ (٢)

والفرزدق يستلهم خصوصية العدو السريع والحيوية والنشاط للخيول فى ميدان المعركة ، فالذئب يتميز فى عدوه بالمرونة والانسيابية ، وهذا ما يسقطه الشاعر على خيوله رمز " القوة المنتصرة " ، كما استخدم " الذئب " فى صورة هزيلة ضعيفة لمطاياه فى طريقها إلى ممدوحه " خالد بن عبد الله القسرى ":

---

١– ١/ ٤١٤ . – يقول إذا ما قدر له الله أن يوفى إليه سليماً وناقته فإنه سيخبره بما علمه واختبره.
– يقول إن الذئب يرود حول ابنهم الهزيل ، يفد إليه بكرة وعشياً وبهم بافتراسه. ووفود الذئب إليهم ومراودة الناس على أطفالهم إنما ذلك كله تدليل على حالة الإملاق.

٢– ٢/ ٥٨٤ . السيد : الذئب.

يا ليْتَ شِعرى هَلْ أُسَيِّبُ ضُمَّراً أُكِلَتْ عَرَائكُهُنّ بالأكْــوَارِ (١)
مِثْلَ الذّئَابِ إذَا غَدَتْ رَكبانُهَا يَعْسِفْنَ بَينَ صَرَايِمٍ وَصَحارى

فإذا كانت " الذئاب " فيما سبق رمز للنشاط والحركة فهى هنا رمز للضــعف والانكسار .

كما يستخدم هيئة " مشى الذئب " المترجحة للرماح دالا على لينها :

وَعَواسِلٍ عسْلَ الذّئَابِ كأنّهَا أشْطَــانُ بَائِنَــةٍ مِنَ الآبَارِ (٢)

كما نراه يستخدم " الثعالب الميتة " بهيئاتها المنتفخة المتكورة لجماجم أعداء الممدوح محمولة على البغال (٣) و " الذئب والغدر " أخوان (٤) ، ونراه يستخدم الــذئب فى بنــاء لوحتين مركبتين يتحاور فيهما مع الذئب خلال رحلاته إلى ممدوحه (٥) ، وإذا كان شــارح الديوان يقدم لكل من المقطعة والقصيدة اللتين وردتا فيهما اللوحتين بمناسبة يكون فيها ذئب حقيقى خرج على الفرزدق ومن معه نيام فى الليل والشاعر يصف الحدث ، إلا أننــا نــرى الأمر غير ذلك كما هو الشأن فى كثير من حالات ورود الحيوان فى الشعر ، وكما قلنــا لم يكن الوصف الواقعى التجريدى هو غاية المبدع إلا أن هناك الإنســان والشــاعر بحاجاتــه

---

١- ١/ ٤٤٣ . – أسيب : أهمل. العرائك : جمع العريكة : السنام . الأكوار : جمع الكور : رحل البعير . يقول متسائلاً إذا كان يهمل مطاياه التى ذابت أسنمتها تحت الرحال.

– الركبان : الراكبون ، الممتطون. يعسفن : يقطعن ويسرن. الصرايم : جمع الصريمة : القطعة من الرمل. يقرن المطايا بالذئاب المهزولة حين يضرب الركبان بين الرمال والصحارى النائية.

٢- ١/ ٤٩٩. العواسل : الرماح. عسل الذئب : إذا سار مترجحاً فى مشيته. وهنا قرنه بالرمح من لينه. الأشطان الحبال. يصف الرماح ويقرنها فى لينها بالذئاب المتعسلة فى سيرها ، ويقول إنها تبدو كحبال البئر البينة.

٣- ٢/٥١ .

٤- ٢/ ٥٩٠ .

٥- ٢/ ٥٩٠ ، ٢/ ١١ .

ودوافعه وراء رسم هذه اللوحات بخطوط وألوان وظلال معينه مقصودة ، وعلى هذا التصوير يمكننا أن نرى أن الفرزدق إنما يريد التعبير عن مدى إقدامه وشجاعته وكرمه الذى يتغنى به والذى يفيض على الحيوان بعد أن أفاض على الإنسان ، وهذا هو ما تطرحه كلتا اللوحتين"ضافنا على الزاد،فقاسمته وهذا قوله :

فَقاسَمْتُهُ نِصْفَيْنِ بَيْنِي وبَيْنَهُ بَقِيّةَ زَادِي والرّكايبُ نُعَّسُ (١)

وكَانَ ابنُ ليلى إذ قرَى الذّئْبَ زَادَهُ عَلى طارِقِ الظّلْمَاء لايتَعَبّسُ

فتأمل " لا يتعبس " ودلالتها على تعوده الكرم وفطرته عليه ، وقوله من القصيدة الأخرى :

وَلَوْ غَيْرَنَا نَبّهتَ- تَلتَمِسُ- القِرَى أَتَاكَ بِسَهْمٍ أوْ شَبَاةٍ سِنَانِ (٢)

وهذا خير دليل على مدى رغبة الشاعر فى إظهار ما يتحلى به من كرم وسخاء حتى مع عالم حيوانى وفى هذا أيضا دال على ما يتحلى به الشاعر من " الحلم والسماحة " فالذئب كما قلنا يمثل فى حياة العرب صورة للإنسان الغادر الغشوم ، ويكون تصرف الشاعر بهذه الصورة بيانا لما عليه الشاعر من كبرياء وحلم قد تغنى به فى كثير من قصائده .

وبجانب الأسد والذئب وجدنا " الغول " هذا الحيوان الخرافى المخيف يستخدمه لأم جرير (٣)،و" السعالى " أنثى الغيلان للفرسان ضمورا وهزالا من شدة القتال(٤)

---

١- ٢/ ١١. – الركايب : الإبل. يقول إنه اقتسم بينه وبينه والمطايا نائمة.

– يقول مفاخراً إنه ألف ضيافة من يطرأ عليه ليلاً ، ولو كان ذئباً ، وهو لا يتعيس ولا يتكلح عليه.

٢- ٢/ ٥٩٠ . يقول إن سواه كان أطلق عليه سهماً أو نحره بسنان الرمح.

٣- ٢/ ٤٨ .

٤- ١/ ١٢٦ .

والسعالى"مقربات" وهى الخيول تقترب من أصحابها استعدادا للحرب " قوة ورهبة"([1]) و " الضبع " من الحيوانات المفترسة التى اتخذها الفرزدق مصدرا للتصوير ، واستلهم منه خصوصية واحدة " القوة والغلبة والافتراس " فاتخذ " العرفاء " لذاته :

– قالوا : عَلَيْكَ الشّمسَ فاِقصدْ نحوَهَا والشّمْسُ نَائِيَةٌ عَنِ السُّفَّارِ ([2])

– لّما تَكَسَّعَ فى الرّمَالِ هَدَتْ لَهُ عَرْفَاءُ هَادِيَةٌ بِكُلّ وِجَارِ

إن الشاعر يمثل مجده ومجد قومه وتاريخهم بالشمس لا ينالها المسافرون ، وإن توهموا أنها دانية لهم ، وعلى جرير حينئذ أن يقنع بقلة شأنه قومه ولا سبيل له بأهل المجد والسيادة ، ثم يذكر بأن جريرا فى طلبه الشمس " المجد " تاه فى الرمال فهدته "الضبع " أى افترسته ، إن الضبع " هنا " هو " الفرزدق " ذاته بمجده وتفوقه ، لا سبيل لجرير بمجاراته ، بل عليه أن يولى مدبرا . وكذا قوله .

هلا سألتَ بنى الهجيْمِ مَن الذِّى تركوه مُلحَمَ أَضْبُعٍ ونُسُورِ ([3])

فاتخذ الأضبع والنسور للفرسان من قومه .

واستخدم– الفرزدق لفظ اسم الجنس " الوحش " كناية عن هيبة يزيد بن عبد الملك :

تَرَى الوَحْشَ يَستَجينَهُ إذْ عَرَفنَه لَهُ فَوْقَ أرْكانِ الجَرَاثيم سَجّدَا ([4])

---

١– ٢/ ٣٣٣

٢– ١/ ٥٨٢.– يقول إنه حين يطلب مجد دارم كمن يطلب الشمس التى لا ينالها المسافرون وإن توهموا أنها دانية إليهم.

– تكسع : ضل وتاه . العرفاء : الضبع. والوجار : حجر الصبع . يقول إنه طلب الشمس فتاه فى الرمال وهدته الضبع أى أنها افترسته.

٣– الديوان ٢/ ٥٤٠ ، النقائض ٢/ ٩١٦ وبنو الهجيم من الضباب و الضباب بنو معاوية بن كلاب والشا ويشير إلى " يوم هراميت " وكان للضباب على بنى جعفر ، وطالع أيضا : النقائض ١/ ٣٧٨ ،

٤– الديوان ١/ ٢٤٤ . يقول إن الوحش تهابه ويعرفه من هيبته ، وهى تسجد له فى أعلى أعالى الهضاب. والجرثومة أصلهاى التراب المجتمع وهنا الهضبة.

وأخيرا استخدم " القرد " ليصف به ابنى جديله :

نُكِسْتَ عنِ التّشبيبِ قرْداً وَلم تكنْ لتُشْبِهَ عِنْدَ السِّنّ حَزْناً وتَغْلِبَا (١)

تعبيرا عن الشأن والازدراء به .

**(ب) الطيور :**

وعالم الطيور وما انتمى منها الى الكواسر أو الأهلى موضوع جدير أن يدرس فى الشعر العربى ، فهذا العالم المختلف الصفات والأنواع والأشكال ، تتنوع الخصوصيات فيه من نوع الى آخر ، واستلهام الشاعر لخصوصيات من هذا العلم دون غيرها يفسر كثيرا من نوازع الأنسان تجاه الوجود من ناحية ، ويفسر حركة الحياة من ناحية أخرى ، كما أن هذا يساعدنا – إن أمكن – أن يكون لكل شاعر معجم خاص بهذه الإضافات والمثل الذى يتغياها كل على حدة ، وما هى طبيعة العلاقة بين الطيور وبين ما اتخذت له ، من انسان وحيوان أو جماد أو ما اتخذت بعضها لبعض ؟ ...وقد يساعدنا الطير بطبائعه وصفاته على بيان أعماق الانسان – بصفة عامة – والشاعر بصفة خاصة ، وكشف هذة الأغوار يساعدنا على الولوج فى أعماق العمل الابداعى وحل رموزه ومعدلاته، فاستخدام الفرزدق اسم الجنس " الطيور " لنوقه قائلا :

طَيْر تُبَادِرُ رَائِحـاً ذات غَيْبَةٍ بَرْداً وتَسْحَقُهُ خَرِيقَ شَمَالِ (٢)

والطير خص فى بعض أنواعه بالسرعة ، وقد تهيأ للشاعر مواقف تستلزم هذه الخصوصية. إن الناقة التى يصغها الفرزدق هنا ناقة مغايرة لأبناء جنسها ، إنها تمثل الرغبة فى الوصول الى الحياة السعيدة بجوار الممدوح ، إنها إذن فعل لإقتناص الرزق

---

١- ٦٦/١ . نُكِسْتَ : عجزت. عند السن : الهرم. حزن وتغلب : ابنا الزبرقان.

٢- الديوان ٢ / ٣٣٥ .

وبذلك يكون تشبيهها بالطيور رغبة قوية فى سرعة لقائه بالخير ، والابتعاد عن الاملاق والشقاء . إن الطير فى هذه المواقف يمثل لدى الشاعر والانسان العربى الخلاص ولحظة الفرج من مأزق يقابله، ونفس خصوصية السرعة استخدمها لناقة " رقاش جناب بن شريك " يهرب بها مخافة الفرزدق وقومه :

عَشِيّةَ خَلّى عَن رَقاشٍ وَجَلّحَتْ  بِهِ سَوْحَقٌ كالطّائِرِ المُتَمَطِّرِ (١)

والطائر هنا بسرعته رمز للنجاة ، وإذا كان الشاعر قد اتخذ قوة وسرعة "الطير" للناقة فى الشواهد السابقة ، فإنه يتخذ هيئة الطير حين سقوطه ووقوعه شيئا "مهدرا " مأسويا لنياقه المجهدة المعدمة من مشاق الرحلة :

– إذْ وَقَعَتْ كوُقُوعِ الطّيرِ وانْجَدَلَتْ  رُكبانُهَاحِينَ لاقَى الأزْرُعُ القَصَرَا (٢)

– مِثْلَ الجَرَاثيمِ مَوْتَى حينَ حَلّ بَهِم  طول السُّرَى ركبوا أعضادَهَا اليُسُرَا

إن النياق هنا ، وهى تمثل الفعل للوصول الى الرزق والحياة المطمئنة فى كنف الممدوح ، يمثل الأمل المحطم الهامد الساكن ، إنها تمثل البؤس الواقع النازل ، فالطير حين يقع ويسقط يفقد طبيعة الطيران والتحليق ، يفقد العلو والوصول إلى المراد ، يفقد أسباب الحياة ، إنه يتحول الى شئ مهدر جامد ، كذا حال الشاعر ومعنوياته ، إنها تمثل الجراثيم – على حد قوله – تلك الأتربة حول الأشجار شئ لا استقرار له ولا فائدة

---

١– ١/ ٦٠٨ . جلح : ركب رأسه . السوحق : الناقة الطويلة. المتمطر : المسرع فى وقوعه وهويه. يقول إنه هرب على ناقة كانت تعدو كالطائر المسرع فى انقضاضه.

٢– ١/ ٥٥٤ . – وقع الطير : حط وغطّ. انجدلت : سقطت صرعى على الأرض. يقول إنهم سقطوا كالطير حين تقع وكأنهم صرعى مجدلون على الأرض حين كانت الزروع قصيرة الظلال ، أى عند اشتداد الهاجرة.

– الجراثيم : جمع الجرثومة : التراب يجتمع حول سوق الأشجار. يقول إنهم وقعوا من التعب حول المطايا ، وكأنهم التراب حول الأشجار ، وتوسدوا أعضاد النياق ، لينامو.

كما يتخذ الطير تكِلُّ طول الرحلة تعبيرا عن قوة تحمله ورغبته فى اتمام لقائه بـــالمتلقى الممدوح رغم صعوبة الرحلة ومخاطرها :

لَوْ أنَّ طَيراً كُلِّفَتْ مِثْلَ سَيْرِهِ  الى وَاسِطٍ – منْ إيلياءَ – لَكَلّتِ (١)

وعتيق الطير لعبد الملك بن مروان :

فانقَضّ مِثلَ عَتِيقِ الطّيْرِ تَتْبَعُهُ  مَساعِرُ الحَرْبِ مِنْ مُرْدٍ ومن شيبِ (٢)

إن المتأمل فى تركيب الصورة السابقة يرى أن عتيق الطير الطيور المفترســـة والنســـور خصت بالقوة الخاطفة التى تذهل الفريسة فلا فكاك ولا حركة،ويكون الضياع والموت أمرا لا مفر منه . إن الشاعر يسقط هذه الصورة على الخليفة مصورا مـــدى ســـرعة انقضاض القضاء على المارقين الفاسدين حتى كأنهم فريسة أذهلها سرعة الانقضـــاض سكنت مستسلمة .

ويدق الفرزدق فى اخراج الصورة مستمدا من الطير هيئة تجمعه ، فكانت قرينة الكثرة الهيبة والقوة ، وذلك فى تشبيه الرايات وكثرتها فوق جيش عبد الملك بن مروان بالطير :

كَأنّ طَيراً مِنَ الرّايَاتِ فَوْقَهُمُ  فى قَاتِمٍ ، لَيْطُهَا حُمْرُ الأنابيبِ (٣)

فالرايات بارتفاعها وعلوها رمز للنصر والغلبة ، واتخذ لها صورة الطير تعـــبيرا عن كثرتها وتتابعها وهيبتها ، واتخذ من الطير خصوصية الانقضـــاض علـــى الفريســـة والقضاء عليها تعبيرا عن حلول النصر ، أو قل الثقة بالغلبة ، يصور الفرزدق مشهدا

---

١– ١/ ١٩٣ . يقول إن الخيل تكل دون ما قام به من عدو طوال أيام سبعة.

٢–١ / ٤٦ . عتيق الطير : الطيور المفترسة والنسور. مساعر الحرب : جمع المسعر : من يذكى الحرب بيسر. يقول إن الخليفة انقض على أولئك الفاسدين بمن إليه من جند ، فتيانٍ ، مرد ، ومن شيوخ شيب.

٣– ١ / ٤٧. ليطها : لونها . يقول إن الرايات كانت فوق تلك الجيوش وكأنها الطير ذات اللون الأحمر.

قتاليا يقول فيه :

١– وَيَوْمَ تُرَى جَوْزَاؤهُ مِنْ ظَلامِهِ  تَرَى طَيْرَهُ قَبْلَ الوَقِيعَةِ وُقّــعَا (١)
٢– لِيَنْظُرْنَ ما تَقضى الأسِنّةُ بَيْنهمْ  وَكُلُّ حُسامٍ غِمدُهُ قَدْ تَسَعْسَعا
٣– جَعَلْتَ لعافيهَا بِكُلّ كَرِيهَــةٍ  جُمُوعاً الى القَتْلَى مَعافاً ومَشْبَعَا
٤– وَحَائمَةٍ فَوْقَ الرّمَاحِ نُسُورُهَا  صَرَعْتَ لعافيهَا الكَــمىّ المُقَنَّعَا

إن الطير هنا تعادل فى وجودها أعلى الجيوش فى الشعر العربى أو الثقة بالنصر أو قل تحققه ، ووجدنا الفرزدق يتخذ من الطير خصوصية الافتراس الغاشم لنوعية من البشر تفترس لحوم الناس ودمائهم ، وبهذه الخصوصية صور الفرزدق زياد بن أبيه مرثى مسكين الدارمى الشاعر الأموى :

ألا إنّ مكسيناً بكَى وَهْوَ ضَارِعٌ  لفَقْدِ امرئٍ ما كانَ يَشبَعُ طائِرُهْ (٢)

واستخدم الى جانب ذلك الطير كسير الجناح للحرب فينهيها لصالحه (٣) كما استخدم من مرادفات الطير الحوائم للرماح والمنسر تأكل قتلى بنى نهشل، ويستخدم الفرزدق النسر من الكواسر استخداما يجعله فى صدارة هذا النوع الحيوانى، واستلهم منه خصوصية القوة، لنتأمل قوله :

---

١– ٢ / ٣٨ . ١– يصف يوم قتال كانا يشنّانه ، ويقول أنه كان يرى النجوم فى النهار وكذلك الظلام والطير تقع فيه قبل أن يقع الموت من معرفتها بموت الضحايا.

٢– المعاث : من أنجد على طلبه الرفد. يقول إن الطير تكون جماعات عند قتالهما ترفد وتشبع.

٣– تسعسع : رث وفنى. الأسنة : الرماح.

٤– يقول إن الطير كانت تحوم طلباً للفراش ، وقد أطعمتها من لحم الكمى المقنع.

٢– ١ / ٥٤١ . يهجو مسكيناَ الدارمى ، وهو شاعر أموى ، كان قد رثا زياد بن أبيه. يقول إن مسكيناً بكى وهو ضارع مستذل ، لفقد من كان دائم الافتراس والانقباض وطائره لا يشبع من لحوم الناس ودمائهم.

٣– ٢ / ٦٢٥ .

ونَحْنُ تَرَكْنَا مِنْ هِلالِ بنِ عامرٍ ثَمانينَ كَهْلاً للنّسورِ القَشاعِمِ (١)
وأيْقَنَ أنّ الخَيْلَ إنْ تلْتَبِسْ بِهِ يَقِظْ عانياً أو جيفةً بَينَ أنْسُرِ (٢)
بطِخْفَةَ والرَّيّانِ حَيْثُ تَصَوّبَتْ عَلى جَعْفَرٍ عِقْبانُهَا ونُسُورُهَا (٣)

ففى البيتين الأول والثانى يأتى الشاعر بالنسور بوصفها طيورا جارحة راسما لوحة يقرر فيها ما حل بالآخرين من تقتيل ودمار ، وعليها النسور بأظفارها تمزقها طعاما سائغا ، إن النسور فى اللوحة السابقة – وفى مثلها مما نجده فى تراثنا الشعرى تمثل ذلك الجزاء الوخيم الذى يحل بالخصم فيصير قطعا ممزقة ، وأما فى البيت الثالث فيستلهم الشاعر تلك القوة المدمرة للنسور حين يستخدمها لجنوده وفرسانه ، فلهم ما للنسور من قوه وانطلاق وسرعة انقضاض ، إن الشاعر يريد بعداً آخر إنه يريد صنفا آخر من الفرسان ، فرسان لهم خصوصية الطيران والتحليق ، لها أظافر قوية تدمر دون أن تصاب ، ليكون أمرا لا مراء فيه ، وهذا ما لا يمكن صنعه إلا فى دائرة الابداع الشعرى .

واستخدم النسر الكثير الجناح لذاته تعبيرا عن مدى ما حل به من بؤس وبأس

وأصْبَحَتْ مِثْلَ النّسرِ أصْبَحَ واقِعاً وأفْنَاهُ مِنْ كَرّ اللّيَالى ذَهابُهَا (٤)

إن الشاعر يقيم موازنة بين النسر الكسير الجناح وبين ذاته المحطمة ، ليحصل

---

١– ٢ / ٥٦٩ . للنسور القشاعم : اى تركو جثثهم تفترسها النسور.

٢– الديوان ١ / ٦٠٩ . يقظ : يشتد حره. العانى : الأسير. يقول إنه أدرك أنه إذا ما أحدقت به الخيل ، يؤسر أو يُقتل وتخلف جثته للنسور.

٣–١ / ٥٩٥ .تصوبت : انصبت ونزلت. يقول إن العقبان والنسور نزلت عليهم هناك ، لتأكل من جثثهم. وقد يكون العقبان والنسور مقتلى بنى جعفر ، والشاعر يفخر بهم فى ذلك.

٤– ١ / ٨٦. يقول إنه أصبح كالنسر الكسير الجناح ، وقد مرت عليه أليام وأفنته.

من خلالها مدى المرارة والذلة التى يتجرعها ، كما نلمح ذات الشاعر التى جبلت على التفاخر والاعتلاء ، وحتى فى أشد الأزمات لا يترلها إلا مترلا يحافظ فيه على ما تتسم به من شموخ وكبرياء ، فالنسر حين يجرح وتكسر جناحيه لا يفقده خصيصته ولا يخرجه من عائلة النسور ، بل سيحظى بإحترام الآخرين وتقديرهم له ، هذا هو ما تكشف عن بنية اللوحة الشعرية فى نهاية استقرائها ، وتلك هى اللغة داخل اللغة ، داخل إطار العمل الابداعى لا تعرف محدودية الدلالة ولا ثبات الايحاء .

والصقر أيضا له خصوصية القوة والهيبة واتخذه الفرزدق لفرسان قومه ، كما اتخذ صورة الخربان الطيور الهزيلة لبنى جعفر بن كلاب ، لنتأمل قوله :

عَشِيّةَ لاقَتْهُمْ بآجَالِ جَعْفَرٍ صَوَارِمُ فى أيدى الضِّبَاب ذُكُورُهَا (١)

كأنَّهُمُ للخَيْلِ يَوْمَ لَقيتَهُمُ بطِخَفَةَ ، خِرْبَانٌ عَلَتْهَا صُقُورُهَا

إن احساس الفرزدق بقوة قومه ، هو الذى جلب إليه هذه المقارنة من عالم الطيور بين الصقر ممثل القوة ، تلك القوة المثالية ، فهو القادر على الفتك وهو المهاب دوما ، وقد قدر هذه القوة فيها الانسان الجاهلى الذى كان يعيش فى عصر للقوة فيه شأن ، وأى شأن ؟!

إن من إعجاب الشاعر الجاهلى من قوة الصقر تعلقه بإنقضاض هذا الصقر على فريسته (٢) ، والطرف الآخر من طرفى الصورة المقارنة الخرب وهو الجبارى ممثل الجبن ورمز الضعف ، يصطاد دون أدنى جهد ، إنها صورة تطرح الذلة على المتلقى

---

١- ١ / ٥٩٢، ٢/ ١١٧ – الصوارم : السيوف. يقول إن بنى ضبة تصدوا لهم بسيوفهم الذكور أى الصلبة وأهلكوهم.

– الخربان : طيور هزيلة. يقول إنهم بدوا دونهم كالطيور الهزيلة التى انقضت عليها الصقور وافترستها.

٢- عبد القادر الرباعى : الطير وعالمه الحيوانى فى الشعر الجاهلى ، ص ٩٥ .

"المهجو "ولا شك أن ذلك سيولد لدى المتلقى إحساسات إضافية ، حتى يستقرئ تلك اللوحات استقراء حقيقيا يترك ما يدعو للتأمل والاستبطان.

وإعجاب القدماء بالصقر جعله يقارنونه بالملوك العظام ، وأن صورة الصقر والنسر فى خيال الشاعر الجاهلى والانسان الجاهلى هو صورة الملك بكل ما فى هذه الصورة من قوة وحزم وعظمة ([1]) ، وعلى هذا يمكننا استقراء قول الفرزدق متخذا صورة القطامى – وهو الصقر – لذاته :

كَأنّ قُطامِيّاً عَلى الرّحْلِ طاوِياً  إذا غَمرَةُ الظَّلْمَاءِ عَنْهُ تَجَلّتِ ([2])

فالشاعر يقرر أنه يبدو كالصقر على مطيته حين تتبلج عنه الظلمة ، إنه يبدو قويا منتعشا ، نشطا ، أو قل أنه يبدو كالملك ، ولنا أن نتصور شخصية الفرزدق التى أوضحناها فى أكثر من موقف – المتعالية المتفاخرة – إذا ما علمنا أن هذا المشهد الذى يرسمه لذاته فى إطار مدحه للحجاج بن يوسف الذى مدحه فى بيت واحد فى مقطعة بلغت خمسة أبيات .

واستخدم الفرزدق " الشياهين " وسيلة للقنص واكتساب الرزق ([3]) ، كما استخدم العقاب وهو طائر من العتاق ، يتسم بالقسوة والقوة ، استخدمه للخيل مرة فى قوله :

---

١– السابق ص ٩٥ ، ويذكرنا المؤلف بأن هذا يذكرنا بتسمية النبى سليمان له بملك الطير من القرطبى فى تفسيرة المسمى بالجامع لاحكام القرآن ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧ ، ج١٠ / ٨٣ ، كما يذكرنا باتخاذه صنما على هيئة النسر : طالع كتاب الاصنام لابن الكلبى ( ٢٠٤ هـ ) نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ١٩٣٤ م ، وقد ذكره القرآن فى سورة نوح / ٢٣ .

٢– ١ / ١٩٣. القطامى : الصقر. يقول إنه كان يبدجو كالصقر على مطيته حين تتبلج عنه الظلمة.

٣– ١ / ٥٣٠ .

قُوداً ضَوَامِرَ فى الركُوبِ كأنّهَا عقْبَــانُ يَوْمِ تَغَيُّــمٍ وَطِــلالِ (١)

فالخيل المقيدة الضامرة القوية ، بمثل هذه الصورة التى عليها العقبان بالسـرعة الفائقة لن نراها إلا فى الشعر ، إن هذا النوع من الخيول لا تحد حركتها عـائق فـلا التغيم ولا الطلال يمنعها إنطلاقها ، فهى قد كلفت بأداء مهمة ، وهى تكلف نفسـها هذا الدين باصرار وعزيمة ، إن هذا المثال الذى يتغياه الشاعر لفرسـه وحيلـه ، لأن الشاعر الجاهلى كان بحاجة الى الفرس ليفرج عنه كربته ، وإذا ما قرنا الى هذا الخيـال ما كانت تؤديه الخيول فى الواقع لأصحابها وقت حاجتـهم إلى الخـلاص فى العصـر الجاهلى ، وما تلاه ، فاننا نحكم أن " الخيل معقود بنواصيها الخير " أو الحياة ، وحـين نجد أن الفرس استثار فى خيال الشاعر الجاهلى صورة " العقاب " بما تمثله من قوة فاننا نحكم على أن الانسان الجاهلى كان بحاجة الى قوة حتى ينقذ نفسه من المآزق الكـثيرة التى كانت توشك أن تقوده الى الهلاك ، إذن كانت العقاب والفرس .... تمثلان القوة التى تهب الحياة فى المواقف الصعبة التى تجتاحها " (٢) . ورايات الهزيل فوق الخمـيس "كواسر العقاب " سرعة وثقة بالنصر (٣)، وجنود قوم الفـرزدق " عقبـان " قـوة وانقضاضا ورعبا " (٤) .

و" الهام والصدى والبوم " تطلق كما قال الجاحظ على كل طائر مـن طيـور الليل يخرج من بيته ليلا (٥) " والهام " و" الصدى " كما هو مأثور طائر يخرج من روح

---

١- ٢ / ٣٣٤. القود : الخيل المقادة. يقرن الخيل التى تفد منقضة بالعقبان التى تفد فى يوم غائم مندّى.

٢- عبد القادر الرباعى – الطير وعالم الحيوان فى الشعر الجاهلى ، ص ١٠٨ .

٣- ٢ / ٦١٥

٤- ١/ ٥٩٥

٥- حياة الحيوان الكبرى للدميرى ( ت ٨٠٨ ) دار التحرير للطبع والنشر – القاهرة ١٩٦٥ م ، ١ / ٢٦٥ .

المقتول تحوم وتصرخ طالبة الثأر ، وقد استخدم الفرزدق هذا الطائر الخرافى تعبيرا عن عجز الخصوم عن استرداد حقوقهم :

وَنَحْنُ تَركْنَـا بالّدفِينَةِ حاضِـراً  لآلِ سُلَيْـمٍ هامُهُـمْ غَيرُ نَائِـمِ (١)

ونفس الدلالة يخاطب بها بنى سعد ، وقد قتل بنو نهشل رجلا منهم ، فقتلوا به رجلين ، فقال مزدريا هذه العادة السيئة وقد دعا عليهم متمنيا لهم الهلاك :

إذا راحَ رُكْبَانُ الصّليبِ دَعَاهُمُ  بِبُرْقَةِ مَهْزُولٍ ، صَدىً غيرُ هَامِدِ (٢)

واتخذ صورة " الهام الصدى " اشارة الى عدم ارتوائه من قينة :

نَعِمْتُ بِهَا لَيْلَ التّمامِ فَلمْ يكَـدْ  يُرَوّى استِقائى هَامَةَ الحائمِ الصّدِى (٣)

كما استخدم " الصدى " لطيفه وذكراه الهائمة التى لم تكل تدعوه الحبيبة (٤) تعبيرا عن بقاء عهده واستمرار حبه الذى لا يفنى ، ويستخدمه وسيلة لاثارة الحمية للأخذ بالثأر " أجيبوا صدى جلد " (٥) و " أظفار مغرب " للحجاج بن يوسف يهلك أعدائه (٦) .

أما صورة " القطا " فقد استخدمها لذاته معبرا بها عن مدى المخاطر والمصاعب التى تواجهه ، ولنتأمل قوله :

---

١- ٢/٥٧١. الهام : روح الميت التى تطلب الثأر.

٢- الديوان ١ / ٢٥٨ . الركبان : المسافرون. برقة : موضع. الصدى : طير يخرج من رأس الميت.

٣- ١ / ٢٦٠ . ليل التمام : ليلاً كاملاً . الهامة : الرأس وأصلها فى روح الميت التى تحوم تطلب شرب دم القاتل. الصدى : الظمآن. يقول إنه نعم بتلك القينة ليلاً كاملاً . ولكنه ظب ظمآن بم يرتو منها ، وكأنه حوم حولها ولم يرتشفها.

٤- ١ / ٥٥٨.

٥- ٢ / ٢٦٦.

٦- ١ / ٤٠ .

بَعِيدُ نِيَاطِ المَاءِ ، يَسْتَسلِمُ القطا بِـــهِ وأدِلاّءُ الفَـــلاةِ حَيَائِـــرُهْ (١)

إن استخدم الشاعر صورة " القطا " المنهل المستسلم لذاته ، تلك " القطـــا " التى تبحث عن الماء رمز الحياة ، ولكنها لا تجدها ، مستسلمة للهلاك ، إن المـــوت لا شك آت، إن الدفع إلى الحياة المتمثل فى بحث القطا عن مورد المياه قد ضعف أو قل قد انتهى،كذا الشأن بالنسبة للإنسان حين تحوطه المخاطر وتنقطع حبال النجاة لا سبيل له إلا الاستلام المؤدى إلى النهاية شأن تلك القطا .

واتخذ منها فى موضع آخر خصوصية المخاطرة والإقدام فى البحث عن المياه ، كذا على الإنسان أن يخاطر للحصول على مراده :

أدْنَـــــى مَنَازِلِهَـــا لِطَالِبِهَـــا خِمْسُ المُؤوِّبِ للقَطَا الكُدْرِ (٢)

فالفرزدق يقول إنه لا سبيل لانتجاع دار حبيبته إلا إثر سير أيام خمسة ، عدوا كما تعدو القطا ، إن القطا تمثل هنا الصراع من أجل البقاء ، فهى تظل تعـــدو لكـــى تستبقى حياتها بحصولها على المياه ، وهو نفس الدلالة فى قوله :

يَظَلّ القَطَا من حَيثُ ماتَتْ رِياحُهُ يُعارِضُنى تَخشَى الهلاكَ قَوَارِبُهْ (٣)

أما " البوم " بصوتها المخيف المرعب ، فاستخدمها دلالة على الخراب (٤) أمـــا

---

١- ١ / ٤١٣ . نياط الماء : حدوده. يقول إنه لا ماء فيه أو أن ماءه ناءٍ ، بعضاً عن البعض الآخر ، والقطا تكـــلُّ وتتعب وتستسلم من دون إدراكه والوصول إليه والأدلاء يحارون فيه وتلتبس عليهم المعالم.

٢- ١ / ٤٣١ . المؤوب : السائر النهار كله . الكدر : القطا ذات اللون الأغبر . الخمس : ورود الماء فى اليـــوم الخامس. يقول إنه لا سبيل لانتجاع دار حبيبته إلا إثر سير أيام خمس عدواً كما تعدو القطا.

٣- ١ / ١٤٣ . قواربه : القطا المحومة على الماء . يقول إنه لم يكن يلق ثمة إلا القطا ، وهى تضرب بـــه الريـــاح وتموت عنه ، فيخاف القطا من الموت ظمأً.

٤- ٢ / ٤٤٨ .

الغراب فاشتهر بخصوصية الشؤم ، وسوء منظره ، وقد اتخذه صورة لرجل من الشام يسمى " عمر بن أبي سود ، وكان يلقب " غراب البين " لسواده (١) ، كما اتخذه فى صورة آخرى نتأملها :

– يُقاتلنَ عن أصْلاَبِ لاصِقَةِ الذُّرَى مِنَ الطّيْرِ غِرْباناً عَلَيهَا نَوازِلُهْ (٢)

– فَإنْ تَصْحَبينَا يا نَوَارُ تُنَاصِفِي صَلاتَكِ فى فَيْفٍ تكُرّ حَوَاجِلُهْ

إن الشاعر يصور نياقه قد أعدها طول السفر ، وقد تقرحت ، تدفع عنها الغربان التى تنزل ترتشف دمائها ، يقول عبد القادر الرباعى إن الشاعر الجاهلى اتخذ من طمع الطير فى سنام " العود " البارك من الابل لتصوير ضعف الانسان وطمع الآخرين فيه ، وعلى هذا تصبح الطير رمزا للمستفيدين من هذا السقوط لأنه السبيل الى معاشهم وحياتهم ، وهذا معنى عام قال به كثير من الشعراء (٣) .

ونحن نرى – والنص الشعرى تتميز طبيعته بوفرة الاحتمالات وديمومتها – أن الغراب لدى الفرزدق يمثل قوى التدمير و الهلاك ، يمثل العوائق تعوق دون الوصول الى الحياة السعيدة ، أو قل أنها تمثل حركية الصراع فى نفس الانسان، صراع الأمل واليأس، إن النياق المهزولة المجروحة هى فى الحقيقة ذات الانسان وهى تتصارع بين البقاء على الامل الذى يحدوها لتواجه وتتحدى ، وبين الوقوع فريسة لليأس ، ونفس الصورة ذكرها حين جعل " الاكام " تأكل دوابر خيله :

---

١– ٢ / ٢١٧ .

٢– ٢ / ٢١٢ . – يقول أنها تقرحت وكانت تدافع عنها الغربان التى تنزل عليها لترتشف دمها.

– يقول إنك إذا ما صحبتنا يا نوار ، فإنك تصلين فى الفيف أى الأرض اليابسة حيث تكر الغربان على المطايا الهالكة.

٣– عبد القادر الرباعى : الطير وعالمه فى الشعر الجاهلى ص١١٢ .

أَكَلَتْ دَوَابِرَهَا الإكَامُ فَمَشيُهَا ، مِمّا وَجِينَ ، كَمِشْيَةِ الأطْفَالِ (١)

ونفس الصورة يجعل فيها " عتاق الطير " النسور تفترس جنين الابل بعد ان أجهضها السير :

تَظَلّ عِتاَقُ الطّيْرِ تَنْفى هَجِينَهَا جُنُوحاً عَلى جُثمانِ آخَرَ نَاصِعِ (٢)

كما وجدنا " الجراد " مصدرا للتصوير متخذا هيئته الجماعية ، وللطير حين يجتمع فى طيرانه خصوصية القوة والرهبة ، فنرى الفرزدق يشبه الربائع بالجراد الهائج :

وَإذا الرّبَائِعُ جَاءَنى دفاعها مَوْجاً ، كأنّهُمُ الجَرَادُ المُرْسَلُ (٣)

ويعادل " الجراد " بهذه الهيئة القوة المدمرة ، وهى بذلك تمثل وسائل الأمان والبقاء ، يستعين بها الشاعر للخلاص من مواقف الأزمات ، كما اتخذ هيئة الجراد المائج ( الهائج ) لبنى قومه كثره وقوة (٤) واتخذها صورة للخيل طار عنها حميمها تعبيرا عن تحقيق النصر والوصول إلى المراد (٥).

كما اتخذ الفرزدق صورة " الكروان " ذلك الطائر الهزيل الذى يشبه الأذلاء(٦) ممن يعرض يتعرض له ويحاربه، وإنما يشير الى عمر بن عفراء الضبى الذى ذكره عند عبد الله بن سلم الباهلى بما يكره (٧) .

---

١- ٢ / ٣٣٥ . وجين : سرن حافيات من شدة العدو. يقول إن الآكام أكلت مؤخراتها وهى كانت تسير حافية وكأنها أطفال يتعثرون فى مشيتهم.

٢- ٢ / ٢٩ . عتاق الطير : النسور . تنفى : تبعد . يقول إن الجوارح تفترس الجنين والجنين الآخر الذى تميل وتجنح إليه.

٣- ٢ / ٣٢٠ وطالع الربائع الثلاثة فى النقائض ١ / ١٨٩ . يقول إنهم يفدون وكأنهم الموج أو الجراد الهائج.

٤- ٢ / ١٢٨

٥- ٢ / ٤٩٧

٦- ١ / ٨٣ . هريم : هو هريم بن الخطيم. يقول إنه كان يسوقهم أسرى نافرين كالنعام.

٧- ١ / ٨٣ .

ويتخذ الشاعر من " النعام " مصدرا للتصوير بصورة ملحوظة للانسان والحيوان، فمما اتخذه للانسان مستلهما خصوصية " الجبن والهروب " نراة فى تصويره بنى جعفر يحدوهم " هريم بن الخطيم " كأنهم رئال نعام نافر :

عَشيّةَ يَحدُوهمْ هُرَيْمُ ، كأَنَّهُمْ رِئَالُ نَعامٍ مُسْتَخَفٌّ نَفُورُهَا (١)

ويتخذ من النعام الصغير خصوصية " السرعة " لابله .

تَرَى الحادىَ العَجلانَ يُرْقِصُ خَلفهَا وَهْنّ كحَفّانِ النّعامِ الخَوَاضِعِ (٢)

إن " النعام " هنا يمثل رغبة الانسان فى الوصول الى الخير ، وسبقه إليه ، وسبقه الى الحياة والفرار الى البؤس والموت وخاصة إذا ما علمنا – كما قلنا سابقا – بأن الابل تمثل فعلا لاقتناص الرزق والسعى وراء أسباب البقاء ، و " اليعاقيب " وهو ذكر النعام طعام للنسور (٣) ممثلا بذلك حركية الصراع بين القوى والضعيف فى بيئة يسودها القوة ويموت فيها الضعيف وينكسر ، واتخذ بيض النعام لبكورة النساء من بنى قومه(٤) واتخذ من " ريش النعام " المبعثر دلالة على قفر المكان ووحشته (٥) ،إن ريش النعام من جهة أخرى يمثل أثار الظلم الذى يقترفه الانسان ، إنها إمارات الجريمة التى ترتكب ضد الأبرياء .

ونختم حديثنا عن " الطيور " بوصفها مصدرا للتصوير " بالحمام " وبالنظر فى

---

١- ١ / ٥٩٢ .

٢- ٢ / ٢٨ وطالع : ١ / ٣٨ ، ٣٢٥ ، ٤٣٢ ، ٣١٣ . حفان النعام : صغارها. يقول إنها تعدو مسرعة والحادى يركض دونها . وكأنه يرقص ، وبدت كأنها النعام الصغير العادى.

٣- الديوان ١ / ٤٧ .

٤- النقائض ٢ / ١٠٠٦ ، الديوان ٢ / ٥٩٤ .

٥- ٢ / ٥٣٥ .

الخصوصية التى التقتها الفرزدق من هذا النوع من الطيور ، نجده يتخذ خفته ورشاقته وقد اتخذها فى مدار تصوير حركة الخيل :

وَتَرَى مَرَاخِيَهَا يَثُوبُ لَحَاقُهَا ، وِرْدَ الحَمَامِ حَوَائِرَ الأَوْشَالِ (١)

ويشبه نعال الإبل فى حركتها " بالحمام يسقط ويطير " (٢) وهو مدى إصرار الانسان نحو تحقيق هدفه والوصول إليه ، إنها الحركة التى تضمن له الحياة ، ويستخدم الحمام المطير " للحصى " تثيره المطايا (٣) ، واتخذ " قلب الحمام " الضعيف لجندل بن عبيد الراعى شاعر بنى نميز إذدراء به (٤)

**( ج ) ذوات الاربع ماعدا الحيوانات المفترسة :**

ومن ذوات الاربع نجد تنويعاً لا يخرج عن إطار البيئة المعيشة للشاعر، ومن هذه الحيوانات التى ألفيناها أكثر دورانا فى الديوان " القروم " " الفحل من الابل " و"الناقة " ومرادفتها، فأما القرم ذلك الفحل الذى يمثل" القوة والعظمة المثالية، فقد ألفنا مقصورا على بغى قومه ومجدهم البطولى وفرسانهم المقاتلين، ومن ذلك قوله مخاطبا جريرا:

وَلَهُمْ عَليكَ إذا القُرُومُ تَخَاطَرَتْ خَمْطُ الفُحُولَةِ مَصْعَبٌ خَطّارُ (٥)

وَلَهُمْ عَليكَ إذا الفُحُولُ تَدافَعَتْ لُجَجٌ يَضُمّكَ مَوْجُهُنّ غِمَارُ

---

١- ٢ / ٣٣٦ . المراخى : هو السهل فى عدوه من الخيل إذا مر مراً ليناً سهلاً . الحوائر : جمع الحائر : الماء المستنقع . الأوشال : جمع الوشل : الماء القليل المنحدر من الجبل.

٢- ١ / ٣٢٦ .

٣- ١ / ٥٦١ .

٤- ٢ / ١٩٥ .

٥- الديوان ١ / ٦٠٢ . – الكروم : الفحول. تخاطرت : مشت كبراً. الخمط : التكبر. المصعب : الفحل لم يذلل. – يقول إنهم يعلونه كاللجة الغامرة.

ونراه يستخدم " الفحول " ببعض مرادفاتها مثل استخدامه " القراسيات " للفرسان من بنى قومه كما فى قوله :

وَلَنَا قُرَاسِيَةٌ تَظَلّ خَوَاضِعاً مِنْهُ ، مَخافَتَهُ ، القُرُومُ البُزّلُ (١)

فالشاعر يستخدم " القراسية " الفحل القوى الضخم ، لفرسانه قوة وثقة مقابل القروم والبزل كبيرة السن ، واستخدم الفرزدق " للقروم " وهو احساس الشاعر أو الانسان العربى فى العصور الأولى بأن القوة هى أساس الوجود وأساس السيادة ، إن وجود القروم يمثل فى معانيه الخلفية الاطمئنان والاستقراء والاستعلاء فهى القوة التى لا تهدر ولاتغلب ، وليست هذه المعانى ببعيدة إذا ما علمنا أن مثل هذه القروم موجودة لدى الانسان الجاهلى والعربى لها خصوصية تنفرد بها واهتمام مخصوص بها .

وينوع الفرزدق فى مرادفات " القروم" فبجانب ما استخدمه سابقا ، نراه يستخدم " الأصيد " رأسه هدار وهو " الفحل الرافع الرأس " للفرزدق وقومه (٢) و"القريع الشرمخ " ( الفحل القوى الطويل ) لفرسان قومه (٣) و " الهادرات " الفحول تهدر ، لرجال قومه (٤) و " الخناذذا " الفحل الكريم للخيل (٥) ويستخدم الفحل " المخطوم " عظيم ألواح العظام للحمار الوحشى يترقبه الصياد فى قوله :

---

١- ٢ / ٣١٩ . القراسية : الفحل القوى الضخم. البازل : ما نبت نابه من الإبل.

٢- ١ / ٥٨٣.

٣- ١ / ٢١٣.

٤- ١ / ٢٩٤ .

٥- ١ / ٦٠٩ .

نابى الفرَاشِ طَرِىُّ اللّحمِ مُطْعَمُهُ ، كَأَنّ أَلْوَاحَــهُ أَلْواحُ مَخْطُــومِ (١)

إن الشاعر يصف مشهدا للحمار الوحشى ، وقد أصبح عاجزا عن النوم خوفا ممن ينصب له فخا ، ولحمه الطرى يطمع فيه ذلك الصياد الــذى يــذكره فى البيــت السابق ، إن الشاعر حينما يعرض لهذا المشهد إنما يعرض لما يحيا عليه الانسان فى ذلك العصر المضطرب، إنه الترقيب والخوف من الطامعين ، إنه يعرض صنفا من البشر يتلذذ بنهش أعراض الآخرين والحديث عنهم بما يفسد عليهم حياتهم ويعرضها للخطــر ، إن الصياد هنا هو ذلك الانسان الحاقد الواشى الذى لا يعرف النوم ، يصهر فيما يعكــر صفو حياة الآخرين ، وهو يصفه فى البيت الثانى بقوله :

عارِى الأشاجعِ مَسعُورٌ أخو قَنَصٍ، فَمَــا يَنَامُ بَحيرٌ غَــيرَ تَهْويمِ (٢)

إنه يعرض حالة نتيجة كثير من الوشاية التى كثيرا ما أفسدت عليه طعم النــوم وقد وجدنا الفرزدق فى قصائد كثيرة يتعرض لتلك الوشايات ويتصل منها ، من ذلــك تعجبه من وشاية وصلت هشام بن عبد الملك بهجائه " نهر المبارك " :

– فَلا تَترُكُوا عُذْرِى المُضيَّ بَيَانُهُ وَلا تَجْعَلُونِى فى الرّكيّةِ كالــرّدى (٣)

---

١– ٢ / ٣٦١ . نابى الفراش : أى أنه كان عاجزاً عن النوم. يقول إنه عجز عن النوم ولحمه الطرى الطعم يطمع به الصياد ويردف بأنه عظيم ألواح العظام كالفحل المخطوم.

٢– الديوان ٢ / ٣٦٢ الأشاجع : عروق ظاهر الكف . المسعور : المخنق والمجنون والحريص على الأكل الكثير لا يشبع منه. التهويم : النوم الخفيف السريع وكأنه لانوم فيه. يصف الصياد بحيراً ويقول إنه شجاعاً عارى اليدين وإنه ماهر فى القنص والصيد ، وهو لشدة تربصه لا ينام إلا لماماً ، وكأنه يهوم تهويماً يسيراً.

٣– ١ / ٢٣٩. – الركية : البئر ، وهنا الحبس وكان فى ذلك العهد بعض السجون فى الآبار. الردى : المتــردى الميت. يقول له لا تتجاهل عذرى البين الذى يتألق بيانه وتلقى بى فى السجن ميتاً.

– المبارك:النهر الذى حفره خالد، يقول إن المبارك هو نهر الله بكرمه واندفاعه،وهو يثب وثباً ويصخب صخباً بالخير والخصب.

– وكَيْفَ أسَبُّ النّهْرَ لله بَعْدَمَا تَرَامَى بِدَفّــاعٍ مِنَ المــَاءِ مُزْبِــدِ
– وَرَاوٍ عَلىّ الشِّعْرَ مَا أنا قُلْتُهُ كمُعْتَرِضٍ للرّمْــحِ دُونَ الطّــرَائِدِ (١)

وفى الجانب الآخر نرى الفرزدق يستخدم صــورة ســلبية للفحــول ازدراء واستهجانا " لمحكان " المهجو :

– مَحكانُ شَرُّ فُحولِ الناسِ كُلِّهِمُ وَشــرُّ وَالِدَةٍ أُمُّ الفَــرَازِيمِ (٢)
– فَحْلانِ لَمْ يَلْقَ شَرٌّ مِنهُمَا وَلَداً مِمّنْ تَرَمّزَ بَيْنَ الهِنْدِ و الرّومِ

وأما " الناقة " فاستخدمها بلفظها ، واستخدم مرادفات عدة لها ، " فناقة ثمود " لجرير شرا ووبالا على قوله :

وَكَانَ لَهُــمْ كَبَكْــرِ ثَمــودَ لَمّــا رَغَا ظُهْراً فَدَمّرَهُــمْ دَمَارَا (٣)

كما استخدم " العيرقد فل حافره " لجرير أيضا :

لَقدْ عَلِمتْ عَيلانُ أنّ الذى رَسَتْ لَئِيمٌ وَأنّ العَيْرَ قَدْ فُلّ حَافِرُهْ (٤)

و " ناقته " انسان " يحاورها :

– أقُولُ لنَاقَتِــى – لَمّا تَرَامَــتْ بِنَــا بيدٌ مُسَــرْبَلَةُ الَقتَــامِ (٥)

---

١– ١ / ٢٢٦ . يقول إنهم يذكرون الشعر الذى قتله ويتهمون به ويطلبون منى أن أكف عنه ويجيب بأنهم فى ذلك يعترضون لرمح شعره وكأنهم يصطادون فيتعرضون للرمح وليس للطريدة. والرمح هنا كناية عن شعره المُدمى الفاتك بمن يقفون له أو يذمّونه.

٢– ٢ / ٣٦٣ ، ٣٦٤ – محكان : هو المهجو أم الفرازيم لعلهم قوم من الأقوام.

– ترمز : تحرك. يقول إنهم أسوأ الأولاد بين الروم والفرس.

٣– ١ / ٥٧٤ . يقول إنه جر إليهم الموت كناقة ثمود.

٤– ١ / ٥٢٥ . يقول إن جريراً الذى مالت إليه قيس عيلان هو لئيم ، وأنه فل حافره ولم يعد له قبل بسباقه.

٥– ٢ / ٥٣١ . – يقول إنه خاطب ناقته وهو يجتاز بها البيداء المظلمة السوداء.

– يقول إنه طلب منها أن تقيم على عدوها لتدرك هشاماً وهو ربيع يحيى وذلك لتنقذ أهله الذين خلفهم وراءه.

– أغِيثى ، مَنْ وَرَاءَكِ ، مِنْ رَبيعٍ أَمامَكِ مُرْسَلٍ بِيَدىْ هِشَـامِ

إن " الناقة " تمثل الشاعر العربى القديم ، كما قلنا – فعلا لاقتناص الرزق، إنها تمثل قوة يواجه بها الانسان مصاعب البحث عن أسباب الحياة وأسباب بقائه ، إنها رمز الحياة ، وضمور الناقة وفناؤها يعنى افتقاد الحركة ، وافتقاد الحركة سكون وذبول، إنها رمز الحياة ، إن الناقة قد بأكل مقدمتها الغربان – كما قلنا – وعتاق الطـير ن ومـع ذلك لا تتوقف ، هى حينئذ تمثل إرادة الإنسان وعزيمته وتحديده للوصـول الى هدفـه ومرادفات الناقة كثيرة متنوعة على عمق معرفة الفرزدق بهذا الحيوان الذى يمثل لديـه ولدى الإنسان القديم ركيزة الحياة الأولى ، فعرفوا صفاتها ومسمياتها منذ مولدها حـتى وفاتها ، وقد اتخذ الفرزدق من هذه الصفات مصادر لبناء لوحاته التشبيهية والاستعارية فنراة يستخدم " معضلة النتائج " لنوار حرب وشجارا (١) " وصغار الإبل"لقوم جرير ضعفا وقلة شأن (٢) ، و" الراقصات الداميات المناسـم " كنايـة عـن القسـوة (٣) "والصرى ثرة أخلافها غير رائم " للحرب الدامية لا ينتهى لها سعير تحتلبها قيس بـن عيلان على نفسها(٤)"والبعيرين " له ولحبيبته أصبيا بعر رغبة فى الابتعاد عن الناس (٥) و " المراح العاذب " رأس مال الانسان العربى القديم (٦) " ورشـف الهجـان الأدم "

---

١– ١ / ٥٨١ . ومعضلة النتائج التى تنتج فى مشقة وشدة .

٢– ١ / ٥٨٣ .

٣– الديوان ٢ / ٥٧١ .

٤– ٢ / ٥٧١ .

٥– ٢ / ١١٦ .

٦– ١ / ١٦٢ والمراح العازب : الابل تعاد إلى المنازل مساء والعازب : يبقى فى المراعى .

كرشف الحبيب رضاب حبيبته ([1]) ، و"البو "على رواثم آظار للأثافى حولها الرماد يخلفونها أثرا لهم ([2]) و " النجيبة المذكار " لنساء بنى قومه ([3]) و " الدبر " للشجار والهجاء بينه وبين بنى نهشل ([4]) ، و" المعبدة الجراب " الفرسان من بنى قومه يرتدون الدروع رعبا ووحشية ، واتخذ " كسع المخاض " لبنى كليب ذلة وهوانا ، ويستخد " البعير يضنيه الجرب الهالك لقصائده الهجائية :

فَلَولاَ ابنُ أسْماء قَلّدتُكُم قَلائِدَ ذِى عُرّةٍ مُنْضَجِ ([5])

فالشاعر يستعير " الجرب " وأثره فى البعير صورة منكرة لدن الإنسان القديم ينفر منها ، ومثل هذه البعران تطرد حتى الموت . إن استخدام الشاعر لصورة البعير أصابه " الجرب " هو معادل للإنسان من بنى البشر تخلى عن قيمه ولزم الحمق ، لا صلة له بالأسياد والرجال ، فيظل مطرودا لا شأن له ولا قيمة ، ولنتأمل هذه الصورة التى تكون فيها القلائد حول الأعناق خشنة مرعبة ، تؤذى النظر ، هذه القلائد قصائد تدور بين الناس فى كل مكان ، فانظر كيف تكون المصيبة أثرها بمن قلده الفرزدق مثل هذه القلائد،واتخذ الفرزدق صوت" الصريحية " لصوت القدور لا تحرم اللحم جاديا([6]) وزود الهاجرى رواسيا"لحجارة الموقد دلالة على كبر حجمه([7])،و" الكوم " تنعم

---

١- ٢ / ٢٧ والهجان : الابل الكريمة البيضاء ، الأدم : المستنقع حول الصخور .

٢- ١ / ٥٩٨ والبو : ولد الناقة مات وحشى تبنا تعطف عليه النياق المرضعات .

٣- ١ / ٦٠٨ والنجيبة المذكار : النوق تلد الذكور .

٤- ١ / ٦٠٨ والدبر : البعير أصابته القروح .

٥- ١ / ١٩٩ . ابن أسماء : ربما كان عبد الله بن الزبير. قلدتكم : ألبستكم العقود وهنا القصائد. العرة : الجرب. المنضج : الذى أضناه داؤه.

٦- ٢ / ٦٣٨ الصريحية : الابل المنسوبة .

٧- ٢ / ٦٣٨ ، والزود الهاجرى : الابل الضخمة .

الأضياف كناية عن الكر والتعود عليه([1])وأنين وتصويت أم الحوار المجلد لأصوات النار تحت القدور تعبيرا عن عظم هذه القدور وكبر حجمها ، وبالتالى عن الكـــرم والجـــود اللامحدودين ([2]) ، كما اتخذ صورة الإبل " الحراجيج " تجر حوافيها لذاته :

حَراجِيجُ بَينَ العَوْهَجّى وَدَاعــرٍ تَجُرُّ حَوَافِيهَا السّرِيحَ المُقَدَّدَا ([3])

إن الشاعر يصف الناقة فى قصيدة يمدح فيها يزيد بن عبد الملك ، ولكنـــه فى الحقيقة وصف لحالة الإملاق التى يعيشها ، أو قل حالة الاعيـــاء النفســـى والصـــراع الداخلى بين الأمل فى الوصول إلى النعيم والراحة، وبين اليـــأس والرضـــوخ لـــلآلام والمآسى،فالناقة التى تمثل لدى العربى القديم أقوى أسباب الوجود والبقاء،حينما تتعرض لمثل ما يصفها به الفرزدق ، يصبح الإنسان أقرب إلى الفناء منه إلى البقاء، و الفرزدق يستنجد بكبرياء دون أن يدنى نفسه،والبيت الذى بين أيدينا يشهد بذلك ، فمع وصفه لابله بهذه الصورة إلا أنها " عوهجية وداعرية"اى أنها ذات نسب وأصل ، إنه الفرزدق عينه فى كثير من هذه المواقف ، واستخدم " الموتى والخوص " تعبيرا عن نفس الغـــرض السابق ([4]) ، والأخطار حوله " كباب " ([5]) واستخدم " السوابى " للغمام يندفع منـــه الماء " منهمرا ([6]) ، كما استخدم الناقة تدر وتجلب لكف الممدوح عطاء وكرمـــا ([7])

---

١- ٢ / ١٨٦ .

٢- ١ / ٢٤٠ .

٣- ١ / ٢٤٣، الحراجيج :الضوامر.العوهجى والداعر: فحلان منسوبان، الحوافى: الأرجل الحافية،السريح:النعل المقدد: اليابس، يصف تلك الإبل ويقول إنها ضامرة وإن كانت أصيلة منسوبة إلى فحولها وإنها أنعلت الجلـــد وقد تمزق من شدة العدو

٤- ١ / ٥٥٣ الموتى والخوص : النياق المتبعة الغائرة الأحداق .

٥- ٢ / ٢١٣ والكباب : الابل تركب بعضها بعضا من كثرتها .

٦- ١ / ٥٢٩ والسوابى : انتفاخ يكون على انف الناقة يتفقئ عند ولادته .

٧- ٢ / ٢٠١ .

والسوانى " لبنى زيادة ذلة وهوانا ([1]) .

وبجانب مرادفات الناقة السابقة نجد " الغيد والطلاح " ([2]) و" الميْس " ([3]) "والنواهض "([4]) والشاحجات الرواسم "([5]) و " الشول " ([6]) و" النياق الزميلة"([7])و"التزائع " ([8])و" الخدل " ([9])و" الهبوع " ([10]) و" العوذ الحوار " ([11]) و"البرك "([12])،و" الصيداء الحرف"([13])،و"الغلب الدواسر"([14])،و" القوة"([15]) و " الصهباء " ([16]) .

وتأتى " الكلاب " فى الدرجة الثانية من اهتمام الفرزدق متخذا إياها مصدرا للتصوير وكان حظ الانسان ممثلا فى " جرير " ووالده وقومه الحظ الكبير، بل لانغالى إن قلنا إن ورود " الكلب " مصدرا للتصوير كان لجرير وقومه فى المقام الاول، واتخذ

---

١- ٢ / ٥٧٨ السوانى : نياق السقاء يحمل عليها الملء .
٢- ٢ / ٥٥٩ الملائات العنق والأطلاح: المتعبات المرهقات .
٣- ٢ / ٥٦٠ النياق المتمايلة .
٤- ٢ / ٥٦٠ الابل النشطة .
٥- ٢ / ٥٦٤ المصوتات والرواسم : العادية عدو الرسيم .
٦- ١ / ٥٨٩ الابل تطرد فحلها .
٧- ٢ / ٢٨ الابل لها سير معروف سريع .
٨- ٢ / ٢٨ الابل سبقت الى غير اهلها .
٩- ٢ / ٢٨ الابل السمينه الممتلئة .
١٠- ٢ / ٢٨ الابل تشد بعنقها فى السير من الكلال .
١١- ١ / ٦٠٢ ، النيلق المطفلة مرتضعة الصباح .
١٢- ٢ / ٦٣٧ ، النوق السمان .
١٣- ٢ / ٣٥٩ ، الصيداء : الرافعة الرأس ، الحرف : الهزيلة .
١٤- ٢ / ٣٥٨ ، الابل الضخمة الغليظة العنق .
١٥- ٢ / ٣٥٨ ، النقادة بيسر .
١٦- ٢ / ٣٥٨ ، الناقة لم تحمل .

من الكلب خصوصيات متنوعة ومن أسطع هذه الخصوصيات " العواء " لا فائدة لـه ولنتأمل قوله:

ما زِلْتُ أرْمى الكَلْبَ حتى تَرَكْتُهُ كَسيرَ جَناحٍ ما تَقَومُ جَبايُرُه (١)
الى أهْلِ المَضَايقِ مِـنْ كُلَـيْبٍ كِلابٍ تَحْتَ أخْيِبَةٍ صِغَـارِ (٢)
عَوَى فَأثَارَ أغْلَـبَ ضَيْغَمـياً ، فَوَيْلَ ابنِ المَـرَاغَةِ ما اسْتَثَارَا (٣)
فَلا وأبيكَ الكلْبِ ما مِنْ مَخافَةٍ الى الشّامِ أدّوْا خالِداً لَمْ يُسالِمِ (٤)

فهذه الصورة التى يصر الفرزدق على تصويرها لجرير ، فيها من الوضاعة ، وقلة الشأن والضعف ، ولنا أن نتصور هيئة "الكلب " أمام الأسد القوى غليظ الرقبة المرعب ، إنها صورة جرير أما الفرزدق .... لا تكافؤ ولا موازنة ، كما اتخذ الفرزدق " الكلـب " لغير جرير أمثال أصم باهلة (٥) ونافع بن سوادة (٦) ولغيرهما (٧) ولغير معين :

كِلاباَ نَبحنَ اللَيْثَ من كُلّ جَانبٍ فَعَادَ عَوَاءً بَعْدَ نَبْحٍ هَرِيرُهَا (٨)

وهكذا نراه كثيرا ما يجمع بين " الكلب والليث " حينما كان يستعير " الليث " لذاته ، كذا قوله :

---

١- ١ / ٥٣٢ . يهجو جريراً ويقول إنه كلب رماه بسهامه اى بشعره حتى خلفه محطماً لا سبيل إلى جبر عظامه.
٢- ١ / ٥٧١ . يقول إنهم صغار فى أخبية ومنازل صغيرة.
٣- ١ / ٥٧٤ . الأغلب : الأسد . الضيغمى : الأسد القوى.
٤- ٢ / ٥٧٦ .يقول إنه كان يقيم مكرماً رغم من رضى ومن غضب من العرب.
٥- ٢ / ٤٦١ .
٦- ١ / ٥٩٠ .
٧- ١ / ٥٩٠ ، ٢٩٨ ، ٢٠١ .
٨- ١ / ٥٩٠ . يتمثل بالأسد ومن دونه بالكلاب ولكنه ألَمَّ بها فجعلت تنبح مستغيثة ، بعد أن كانت تنبح عليه وتهرُّه.

وَهَرّتْ كِلابُ الجِنّ منى وَبصْبصَتْ بآذَانِهَا مِنْ ضَغْمِ ضِرْغَامَةٍ وَرْدِ (١)

وهذا التقابل يبين مدى الهوان والضعف الذى عليه المقابل الآخر ، ومدى الصغر مقابل القوة والعظمة، ويتخذ " الكلاب السلوقية " للخيول سرعة وانطلاقا :

قَوْمٌ لَهُمْ نَضَدٌ كَأنْ أجسادُهُمْ بالأعْوَجِيَةِ مِنْ سَلُوقَ ضَوَارِى (٢)

ومبيت الكلاب منازل قوم جرير :

وَتَرْبُقُ باللّؤمِ أعْنَاقِهَا بأُربَاقِ لُؤمِهِمُ الأتْلَدِ (٣)

إلى مَقْعَدٍ كَمَبيتِ الكِلا بِ قَصِيرٍ جَوَانِبُهُ مُبْلدِ

تأمل كيف تشير الصورة الى الذل والخزى وضعف الشأن ، والبعد عن أهل السيادة والفخار ، فهم يتوارون فى منازل كجحور الكلاب ، بعدا عن معاشر الطوال الاسياد،والكلاب تذبح وتأكل تعبيرا عن مدى الاملاق والقحط الذى حل ببنى أسد(٤) وصوت الكلاب منحبس لا يسمع تعبيرا عن البخل (٥) و " الكلب " يقاتل للاقتراب من النار لشدة البرودة والصقيع تعبيرا عن حلول الفقر والقحط (٦) ، وكل

---

١- ١/٢٩٩ . هرت : نبحت. الضغم : العض بملء الفم . الضرغامة : الأسد .

٢- ١ / ٥٨١ . النضد : الحسب الشريف. الأعوجية : الخيل المنسوبة لأعوج ، وهو فحل منسوب. السلوق : الكلاب السلوقية. يقرن خيلهم الأصيلة المنسوبة إلى أكرم الخيول ويقرنها فى عدوها بالكلاب السلوقية.

٣- ١ / ٢٩٧ ، تربق: توثق. الأتلد: القديم. يقول إنهم موثقون باللؤوم فى أعناقهم ولا فكام لهم عنه وهو قديم عريق فيهم.

– مبلد : الملازم للبلد. يقول إنهم موثقون إلى مجالسهم فى منازلهم التى هى كجحور الكلاب ولا يغادرون أمكنتهم ولا بلدانهم.

٤- ١ / ٤١٥ .

٥- ١ / ٣٣.

٦- ١ / ٥٣٦ .

قبيلة " كلاب " أقعت على أذنابها استسلاما ووهناً من تفوق الفرزدق وشعره القائل :

وَأَقْعَتْ عَلى الأذْنَابِ كُلُّ قَبِيلةٍ  عَلى مَضَضٍ وَذَلّتْ رِقَابُهَـا (١)

والحرب تهر كلابها تعبيرا عن إثارتها واشتعال أوارها (٢) وتأتى " الحمير " مصدرا للتصوير فى المرتبة الثالثة من حيث استلهام الفرزدق إياها فى بناء صوره ووجدناه يستخدمها لتصوير بنى البشر حينا ، وحينا لحيوانات أخرى ، ويخطى " جرير " وقومه بالنصيب الأوفر ، ومن ذلك قول الفرزدق :

وَإنّ ثِيَابَ الْمُلْكِ فى آلِ دَارِمٍ ،  هُمُ وَرِثُوهَا لا كُلَيْبُ التّوَاهِقِ (٣)

لَقُوا ابْنَىْ جِعَالٍ والجِحَاشُ كأنّهَا  لَهُمْ ثُكَنٌ والقَوْمُ مِيلُ العصَائِبِ (٤)

أو لنساء قوم جرير :

تَبْكى المَرَاغَةُ بالرَّغَامِ عَلى ابْنِهَا  والنّاهِقَاتُ يُنُحْنّ بالإعْوَالِ (٥)

عَطِيَةَ أوْ ذى بُـرْدَتَينِ – كَأنّهُ –  عطيّةُ زَوْجٍ للأتَانِ وَرَاكِبِ (٦)

زوجته أتان :

فَلَئِنْ بَكَيْتَ على الأتانِ،لقد بَكَى،  جَزَعاً ، غَداةَ فِرَاقِهَا الأعْيارُ (٧)

---

١– ٢ / ٦٢٦ . يقول إنه يمنع الحرب من أن تندلع.

٢– ٢ / ٦٢٤ .

٣– ٢ / ١٦٢ .النواهق : الحمير

٤– ١ / ١٦٠ . ابنا جعال : عطية والد جرير وأخوه. الثكن : الجماعات. يقول إنهم وجدوا والد جرير وأخاه وحولهما الجحاش وكأنها تقطن معهما. وكأنهما من جماعتهما وأهله مترنحون. مالت عصائبهم من الخمول.

٥– ٢ / ٣٣٠ . الإعوال : الحمير . يقول إنه أجهز عليه ، فبكت عليه أمه ونساء بنى كليب عليه وبدين وكأنهن ينهقن نهيقاً كالحمير.

٦– ١ / ١٦٣. يقول إن والد جرير ، عطية هو زوج للأتان وليس زوجاً لمرأة من الناس.

٧– الديوان ١ / ٦٠٣ . يقرنها بالأتان الذى يبكى عليها الفحول من الوحش.

ويستخدم " الحمير " كثيرا للتعبير عن قلة الشأن ، وان جريرا وقومه أهل " رعاة " بعيدون عن السيادة والبطولة ، متخلقون عن السيادة وركب البطولة :

يا ابنَ المَرَاغَةِ كَيْفَ تَطْلُبُ دارِماً وَأَبُوكَ بَينَ حِمَارَةٍ وَحِمَارِ (١)

مُتقاعِسينَ على النّوَاهِقِ بالضّحَى يَمْرُوئَهُنّ بِيَاسِ الأجْذَالِ (٢)

فَلْتُخْبِرَنّكَ أنّ عِزّةَ دارِمٍ سَبَقَتْكَ يَاابنَ مُسَوِّقِ الأعْيَارِ (٣)

إن " الحمير " فى مجتمع الخيل والفحول رمز للقوة والانتصار ليس لها أية دلالة سوى الخزى ، ويصبح امتلاك الحمير دلالة على قلة الشأن والبعد عن الأسياد والبطولات ، إنهم رعاع القوم وفضلتهم .

ويستخدم الفرزدق " الحمار الوحشى " مصدار لتصوير ناقته :

أوْ أخْدَرِيَّ فَلاةٍ ظَلّ مُرْتَبِئاً عَلى صَرِيمَةِ أمْرٍ غَيرِ مَقْسُومِ (٤)

فالشاعر يشبه ناقته " بالحمار الوحشى " الذى يقيم على مربأة عالية يتحرى ، ويعزم على أمر ولا ينفذه لأنه لم ينتهى فيه الى القرار . إن صورة الناقة هنا المصورة " بالحمار الوحشى " المتردد رمز للانسان المتردد الذى لا يقدم على تنفيذ الامور ، لأنه ليس أهلا لها ، فهو كمن وضع نفسه فى موقف ليس أهلا له ، والشاعر قد استخدم هذه

---

١- الديوان ١ / ٥٧٩ . دارم : هنا كناية عن قوم الفرزدق.

٢- ١ / ٢٣٧ . يقول إنهم كانوا يقيمون على النواهق أى الحمير فى الغداة الباكر ، وهم يمروئها ، أى الحمير مستدرين سرعتها بضربها بالأعواد أى الأجذال.

٣- ٢ / ٥٨١. مسوق الأعيار : من يبيع الحمير.

٤- ٢ / ٣٥٩ .الأخدرى : نوع من الحمير الوحشية. الفلاة : القفر . المرتبئ : المترصد فوق المرأة ، مكان الترصد. الصريمة : العزم . يقول إنها تشبه الحمار الوحشى الذى يقيم على مربأة عالية ، يتحرى ويعزم على امر ولا ينفذه لأنه لم ينته فيه قرار.

الصورة المعبرة لهجاء " مرة بن محكان أخا بنى ربيع بن الحارث " (١) .

ويتخذ " الحمير " صورة لجياد جرير وقومه :

يَتراهَنُونَ عَلى جيادِ حَمِيرِهِمْ مِنْ غَايَةِ الغَدَوان والصِّلْصَالِ (٢)

وهذه صورة سلبية للجياد رمز القوة والإقدام، إن الجياد هنا هزيلة لا عزيمة لها إنها تعادل لدى الإنسان العربى القديم ضعف الدافع الى الإقدام ، إنها – الجياد الحميرية الانكسار والذلة ، ويزيد الفرزدق المعنى المرسل نكاية – لجرير – حين يقرر بأن الحمير مأثورة فيهم عزيزة لديهم حينما يذكر الغدوان والصلصال ، وهم حماران فحلان، وهو فى موضع آخر يصر على معرفتهم بأصول الحمير وفصائلها حين يقول :

حِمارٌ لَهُمْ مِنْ بَنَاتِ الكُدَا دِ يُدَهمِجُ بالوَطْبِ والمِزْوَدِ (٣)

وما فى ذلك إشارة مرة الى مساعيهم الحقيرة،كما يستخدم " الخيول " مصدرا للتصوير، فى الكثير الأغلب لفرسان قومه ، ومن ذلك قوله متخذا الصلادم القرح لهم:

وَرَدّ عَلَيْكُمْ مُرْدَفَاتٍ نساءكُمْ بِنا يَوْمَ ذى بَيْضٍ صَلادمُ قَرَّحُ (٤)

" واللهاميم " وهى الجواد من الخيل لهم أيضا :

لَهَامِيمُ لا يَسطِيعُ أحمالَ مثلِهِمْ أنُوحٌ وَلا جاذٍ قَصيرُ القَوَائِمِ (٥)

---

١– ٢ / ٣٥٧ .

٢– ٢ / ٣٣٠ . يقول إن خيلهن هى الحمير وهم لا يقيمون سباق الفروسية على الخيل يل على الجيد الهزيلة التى يسمونها بأسماء لأنها مأثورة فيهم عزيزة لديهم.

٣– ١ / ٢٩٦ . الكداد : فحل الحمير . يدهمج : يمشى كأنه مقيد . الوطب : سقاء اللبن . المزود : ما يوضع فيه الزاد . يقول إن حمارهم يحمل أوطاب اللبن والمزواد ، كناية عن مساعيهم الحقيرة.

٤– الديوان ١/ ٢١٣. الصلدم : القوى : القرح : جمع القارح : ما بان نابه من ذوات الحوافر وما اليها. يقول إنهم حين استلبوا نساءهم وأردفوهن إثرهم فإن فرسان بنى قومه الأقوياء ردوهن إليهم.

٥– ٢ / ٥٧٤ الأنوح : الفرس إذا عدا فزفر ، الجاذى : المنتصب المستقيم . يقول إنهم أبطال كالخيل الأصيلة ولا يماثلهم من يعدون على الخيل المتهالكة قصيرة القوام.

إن الخيل – كما قلنا – تمثل لدى العربى القديم فعلا للوصول الى المراد سببا قويا من أسباب النصر وبث الرعب فى قلوب الآخرين بما لها من صفات وأصوات كما تعد علامة على السيادة والبطولة ، وعلى ذلك فعرفوا أنواعها وطبائعها ، والجواد منها ، إن إتجاه الفرزدق للخيل مصدرا للتصوير كان من وراء استلهام " القوة " والسرعة والاقدام ، ولاشك أن فى هذه الخصوصيات الطريق الى النصر والسيادة والبعد عن الهزيمة والتخلف ، لذا رأينا الفرذدق فى البيت الثانى يقيم مقارنة بين " اللهاميم " وبين " الأنواح الجاذ " من الخيل . إنها مقارنة فى الحقيقة بين القوى والضعيف أو بين السيادة والذلة ، أو بين السريع القوى والبطئ الضعيف إن لحظة النشاط التى يتميز بها الخيل استحوذت على الشاعر الجاهلى ، فصورها موحيا بأن الخيل فى تطلع دائم الى الانطلاق ...إنها إذا خرجت من مرقدها لا تريد أن تعود إليه لأن العودة معناها بالنسبة إليها الحبس عن الانطلاق ، وعن المشاركة فى الحروب وهذا كله تعبير عن حاجة الإنسان الجاهلى الى الانعتاق والتحرر من كل قيد ([1]) وإن كان الذى ساقه الباحث فيه ما يمكن قبوله إلا أنه ليس عين الحقيقة ، فانطلاق الخيل وسرعتها لم يكن هروبا من الحبس الذى استمد منه الباحث رغبة الجاهلى فى التحرر من كل قيد ، بل إن سرعة انطلاق الخيل والتخلص من قيودها كان معادلا لحاجة الإنسان العربى القديم للحركة وسرعة الانطلاق للحركة وسرعة الانطلاق نحو أسباب العيش والبقاء ، إن الاقدام نحو الآخر هو الركيزة الأساسية لإكتساب الجولة ، لذا كانت للمداهمة والمباغتة دور رئيسى فى تحقيق مراده وكسب ما آل إليه واندفع نحوه إن هذا كله يمثل رغباته وما يطمع فيه لأنه أساس وجوده وسيادته ، لا أن نرى فى

---

١– عبد القادر الرباعى : الطير وعالمه الحيوانى فى الشعر الجاهلى ، ص ١٠٩ .

**انطلاق الخيل تعبيرا عن حاجة الانسان الجاهلى – وبهذا التعميم – الى الانعتاق والتحرر من القيود . لذا يقول عاطف جودة نصر : إن التركيب المادى للحركة ضرورى ، ولكنه فى التخييل الشعرى يحيل على مستويات أخر ، يبدو المستوى المادى أصلا لها ، لأنه يحيل على حدوس وعيانات ، ومعلوم أن العيان أصل الصور وجوهر التخييل ... وطبيعى ألا يقف الشعراء عند هذا الرصيد وإلا أشبهوا المستغلين بميكانيكا القوى ، إنهم إذ يتخيلون حدوث الادراك وعيانات الاحساس بالحركة ، يصفونها بواسطة التضايف الاستعارى فى نسق متميز تنخل علاقته وأبنيته إلى معجم شعرى .. وهنا يقع التنوير وتتفتح لأبعاد هذه الصور وأمثالها بالكشف عن المستويات الفزيائية والنفسية والاستطيقية والرمزية ، تلك التى تدخل فى بنية الحركة بوصفها الحد النهائى لهذه الصور (١) كما يستخدم الفرزدق " الخناذيذ " لقومه (٢) ، وقصائده غير مشهرات (٣) و" المسومة العرابا " للأصالة فى النسب (٤) ، كما استخدم " المقربات الصلادم " كناية عن التعود عن الحرب والاقدام (٥) ، و " القود الضوامر " (٦) و" والشعث الشوازب " (٧) ويدقق الفرزدق فى بناء الصورة مستخدما صوت الخيول المغايرة لصوت غليان القدر :**

---

١– الخيال : مفهوماته ووظائفه ، ص ١٩٦ .

٢– ٢ / ٤٥٨ ، الخناذيذ : الفرس الصخم .

٣– ١ / ١٧٣ .

٤– الديوان ١ / ١٧٢ ، المسوما العرابا : الخيول المعلمة العربية الأصل .

٥– ٢ / ٥٧٦ ، ٣٣٣ .

٦– ٢ / ٣٣٤

٧– ٢ / ٣٣٤ ، الشعث الشوازب : المغبرة الشعر الضامرات يابسة الجلود .

رَكُودٍ ، كَأنّ الغَلّيِ فِيهَا مُغِيرَةً ، رَأتْ نَعَماً قَدْ جَنّهُ اللّيْلُ دانِيَا (١)

ويستخدم " المسومة الرعال " كناية عن شبوب الحرب واشتعالها (٢)، ويأتى "البقر الوحشى " فى الترتيب التالى للخيول من حيث كثرة دورانها فى الديوان ، ونراه كثيرا ما يستخدمها " للمرأة " مثل استخدامه " الآجال " لنساء قومه يحمونهن :

لا قَوْمَ أكْرَمُ من تَمِيمٍ إذْ غَدَتْ عُوذُ النّسَاء يُسَقْنّ كالآجَالِ (٣)

و " للبقر الوحشى " خصوصيات يختلف فى استعمالها الشعراء ، والفرزدق فى الصورة السابقة يجعل " الآجال " تعادل الكثرة المغلوبة على أمرها ، لا حول ولا قوة وهى طبيعة النساء خاصة فى ميدان القتال، وقد يستلهم " الجمال " لتصوير عشيقته :

وَلَوْ نَعْلَمُ العِلْمَ الّذى من أمامِنا لَكَرَّ بِنَا الحادى الرّكابَ فأسْرَعَا (٤)

لَقُلْتُ ارْجَعَنْهَا إنّ لى من وَرَائِهَا خَذُولَىْ صِوَارٍ بَينَ قُفٍّ وَأجْرَعَا

" والبقر الحور الحسان المدامع " للحسان من النساء (٥) ، وثوار من " ربرب تحنو إليها الجاذر " شفقة " :

كأنّ نَوَاراً تَرْتَعى رَمْلَ عَالِجٍ إلى رَبْرَبٍ تَحْنُو إلِيْهِجآذِرِ (٦)

---

١- ٢ / ٦٣٨ . المغيرة : أى الخيل . يقرن صوتها حين تغلى بصوت الخيل المغيرة.

٢- ٢ / ١٨٨ .

٣- ٢ / ٣٢٧ ، عود النساء : اللواتى معهن أولادهن. الآجال : جمع الأجل : قطيع البقر والظباء. يقول إنهم يحمون النساء فى يوم الشدة والروع حين ينفرن ومعهن أولادهن والأعداء يّهمون بسبيهن.

٤- ٢ / ٧٦ . – يقول إنها لو علمت من تنتجع لضاعف الحادى من عدوها.

– الخذولى البقرة الوحشية . الصوار : قطيع البقر الوحشية . قف واجرع : مكانان. يقول إنه ودَّ أن يطلب من الحادى المتعجل أن يرجع به إى ذنيك الموضعين حيث خلّف امرأتين جميلتين كبقرتين وحشيتين.

٥- ٢ / ٢٧ .

٦- ١ / ٥٢١ . الربرب : قطيع البقر الوحشى . الجآذر : جمع الجوذر : ابن البقرة الوحشية. يقرن نواراً بالبقرة الوحشية المنفردة عن القطيع من البقر الوحشية وأبناؤها يحنون إليها.

ويستخدم " عينى الجؤذر " لعينى الحبيبة (١) ويستخدم " العجل " صورة لوالد جرير (٢) ويتخذ خصوصية السرعة والقوة فى تشبيه الناقة بالبقرة الوحشية :

قطعتُ بِخرْقــاءَ اليَدَيْنِ كأنَّهــا إذا اضْطَربَ النِسْعانِ شَاةُ إرَانِ (٣)

واستخم للناقة أيضا " الفريدة السفعاء " (٤) ويستخدم " البقــرة الوحشــية الناطحة " لذاته ينطح من يتعرض له :

لَئنْ أنشَدَتْ بى أمُّ غَيلاَنَ أوْ رَوَتْ عَلــىّ ، لَتَرْتَدَّنّ مِنّى بِنَاطِــحِ (٥)

وتأتى " الظباء " بقلة للمرأة قلة غزليات الفرزدق ، ولم نجد الظبا : اتخــذت مصــدرا للتصوير لغير المرأة عند شاعرنا ، مثل قوله :

أناةٌ كَرِئْمِ الرّمْلِ نَوّامَةُ الضُّحَى بَطِئٌ عَلى لَوْثِ النَّطاقِ بُكُورُهَا (٦)

وهذه الصورة تقليدية فى بنائها ، فوصف النساء بالنعيم عن طريق التعــبير الكنــائى " نوامة الضحى " وقيام الخدم عليها تعبير شائع بين الشعراء، وكذا قوله :

وَقُلْتُ لعَمْرٍو إذْ مَرَوْنَ : أقاطِعٌ بِهَا أنْتَ آثارَ الظّبَاءِ السّوَانِحِ (٧)

---

١- ١ / ٥٤٤ .

٢- ٢ / ٣٣٦ .

٣- ٢ / ٩٣ ، خرقاء اليدين : الناقة المهزولة تضرب على غير هوى ، وشاة إران : البقرة الوحشية .

٤- ١ / ٣٢٣ ، البقرة الوحشية السوداء على احمرار .

٥- ١ / ٢١٦ . أم غيلان : بنت جرير. يقول إذا كانت ابنة جرير تروى ما نظمه فيه والدها ، فإنه سيتعرض لهــا ويدعها يسيل الدم منها كأنما تعرضت للناطح الشرس.

٦- ١ / ٥٨٤ . الأناة : الرزينة . الرئم : الغزال . اللوث : اللف . النطاق : الزنار . بكورها : قيامها. يصــف تلك المرأة ويقول أنها رزان وإنما تشبه الظبية ، تنام فى الصباح ولا تتعجل النهوض للخدمة لأن لديها خادمات يخدمنها ، فهى لا تتمنطق بالزنار إلا متأخرة بعد النوم الطويل.

٧- ١ / ٢١٥ . يخاطب صاحبه ويقول هل أنت مقتف آثار الظباء العابرات أى النساء المارّات ؟

واستخدم من مفردات " الظباء " " المها " (١) و" المرشفات الملائح " (٢) و " اليعفور " للأصك من الخيل (٣) ضعفا وتخلفا ، ويستخدم الظباء لأولاده بدَّلَتـــهُنَّ الليـــالى (٤) واتخذ " الظبى " أفلت من القيد " لذاته " تعبيرا عن الانطلاق والحرية :

فَأصْبَحْتُ مِثْلَ الظّبْيِ أفلتَ بعدما  منَ الحَبلِ كانَتْ أعلَقَتْهُ مَرَائِرُه (٥)

وتأتى " الماعز " و " الغنم " فى نهاية الحيوانات من ذوات الأربع ممن اتخذها الفـــرزدق مصدرا للتصوير، أما " الماعز " فقد استخدم تعبيرا عن قلة الشأن والبعد عن السيادة :

لَعَلّكَ فى حَدْرَاءَ لُمتَ على الذى  تَخَيرّتِ المِعْزَى عَلى كُلّ حالِبِ (٦)

فالشاعر يقول بأن والد جرير عطية تؤثره " المعزى " على كل حالب آخر، لمهاراته فى حلبها من دون سواه، ويردف بأنه لام أباه لأنه فضل المِعْزى على " حدراء " ولنتأمـــل قوله :

حَمَلُوا مُرَدَّفَةَ الرّحالِ ، وَلَمْ يكُنْ  حَمْلاً لكابيَةَ العَتُودُ الأزْنَمِ (٧)

---

١- ٢ / ١١٤ .

٢- ١ / ٢١٦ .

٣- ٢ / ٩٢٣ ، النقائض ، واليغفور : الظبى تعلوه حمرة للزومه الرمل ، والأصل من الخيل : هو اصطكاك ركبتى الفرس وهو عيب ،

٤- النقائض : ٢ / ١٠٠٥.

٥- ١ / ٤٥٤ . يقول إنه عاد طليقاً بمن من الله والممدوح الذى دأب على فك الأسرى وإجارة الجار.

٦- ١ / ١٦٣ . يقول إن والد جرير عطية تؤثره المعزى على كل حالب آخر لمهارته فى حلبها مـــن دون ســـواه ويردف بأنه لام أباه لأنه فضل المعزى على حدراء.

٧- ٢ / ٥٢٥ ، العتود : المعز . الأزنم : ما قطع من أذن الماعز وبقى معلقا. يقول إنه كان وهبه النياق المردفة أى الواسعة المنن وكابية ذاك لا يهب إلا المعزى المبتورة الأذن القليلة القدر ، وكان العرب يحتقرون من ليس يملك الإبل والخيل ويعتبرونه من الأذلاء والعبيد [ن الخيل خاصة والإبل عامة تنم عن الفروسية.

يقول الفرزدق بأنه كان قد وهب" كابيه بن حرقوص " النياق المردفة الواسعة المتن وكابيه ذاك لا يهب إلا المعزى المبتورة الأذان القليلة القدر ، وكان العرب يحتقرون من ليس يملك الابل والخيل ، ويعتبرونه من الأذلاء والعبيد، لأن الخيل خاصة والابل عامة تنم عن الفروسية.

وأما " الغنم " فكانت لها نفس الدلالة على قلة الشأن والبعد عن الأسياد الكبار (١) ومن ذلك قوله :

فَقَرّبْ إلى أشْيَاخِنَا إذْ دَعَوْتَهُمْ أَبَاكَ وَدَعْدِعْ بالجِدَاءِ التّوَائِمِ (٢)

لسُؤبَانِ أغْنَامٍ رَعَتْهُنّ أمُّهُ إلى أنْ عَلاهَا الشّيْبُ فَوْقَ الذّوَائِبِ (٣)

واستخدم الفرزدق " الحراج " بغبارها " لليل " يأتى تعبيرا عن المآسى والقلق ، وعدم الشعور بالراحة (٤) ، واستخدم " الفيل " وجوفه الواسع لجوف القدر دلالة على اتساعها وكبر حجمها . وبالتالى الكرم والجود (٥) . واستخدم " مستثيمات العلاجيم " فى مستنقع تعبيرا عن الاملاق وسوء المآل (٦)

---

١- ١ / ٥٢٤ ، ٥٧٦ .

٢- ٢ / ٥٦٧ . دعدع : نادى المعزى لتسير وهو يسير أمامها. يقول إنك تنافسنا بأبيك الذى يدعو الجداء ويسير أمامها ليرعاها. والتوائم إشارة إلى حسن رعايته لها وتدبيرها فتأتى توائم.

٣- ١ / ١٦٠ . السؤبان : الحسن القيام على المال وما إليه كالماشية. الذوائب : خصل الشعر. يقول إن الكلبى يطرب لوالدته التى تعنى بالأغنام وترعاهن. وقد أقامت على ذلك الأمر حتى ألم بها الشيب. وغشى ذوائب شعرها. ووجه الهجاء قلة القدر ودأب الوالدة على الرعاية عمرها كله.

٤- الديوان ٢ / ٦٣٥ ، والحراج : جماعة الغنم .

٥- ٢ / ٦٣٨ .

٦- ٢ / ٣٦٢ .

**(د) الحشرات والزواحف :**

**أما عن " الحشرات " والزواحف بوصفها مصدرا للتصوير فى ديوان الفرزدق اقتصر على ماضر منها وما قبح منظره، وكانت أكثر هذه الحشرات والزواحف مصدرا لتصوير الإنسان فى شخص " جرير وقومه "، ومن الحشرات " الجُعْل " وهو دويبه صغيرة حقيرة من ذلك قوله :**

**وَإنّ بَنى كُلَيْبٍ إذْ هَجَوْنِى لَكَالعجْلاَنِ إذْ يَغْشَينَ نَارَا (١)**

**إذا جُعَلُ الرَّغَامِ أَبُو جَرِيرٍ تَرَدّدَ دُونَ حُفْرَتِهِ فَحَارَا (٢)**

**وَنُسَيّة لِبَنى كُلَيْبٍ عِنْدَهُمْ مِثْلُ الخَنَافِسِ بَيْنَهُنّ وبَارُ (٣)**

**وَمَا غَرَ الوبَارَ بنَى كُلَيْبٍ بِغَيْثى حِينَ أَنْجَدَ واسْتَطَارَا (٤)**

**تَعَنّ فَلَسْتَ مُدْرِكَ مَا تَعَنّى إلَيْه بسَاعِدَىْ جُعَلِ الرَّغَامِ (٥)**

**وبذلك تعادل " الوبار والجعل " الحقارة والازدلاء وقلة الشأن ، وحتى تكون الصورة أكثر أثرا فى نفس المتلقى ( المهجو ) نراه يأتى بالمقابل ، وبالمقابل تتضح الدلالة والألوان ، فالجعلان تخشى النار ( الفرزدق ) رعبا وخوفا ، والفرزدق " غيث " يرعب الوبار موتا ، كما أن صورة والد جرير " بالجعل" الذى لزمته الخيرة دخولا وخروجا من حفرته صورة " كاريكاتورية " أشد وقعا وأقوى اثرا وتعبيرا، وكذا " الظرب " وهو**

---

١- الديوان ١ / ٥٧٥ . الجعل : دويبة.

٢- ١ / ٥٧٧ . يقول إن عطية والد جرير ، إذا أغار فى حفرته كالجعل ، وهو يتلطخ بقذارة الجعلان فإنه لا يحفل بذلك فى الليل والنهار.

٣- ١ / ٦٠٦ . الوبار : دويبة صغيرة.

٤- ١ / ٥٧٨ . الغيث : المكان المُمْرِع بالمطر. أنجد واستطار : طلع. يقول إنهم أرادوا أن يبتزوا منه خيره ومجده.

٥- ٢ / ٥٣٧ . الجعل : ضرب من القنفذ. يخاطب جريراً ويقول له ليس لك إلا أن تتكبد المشقات دون طائل فلا قبل لك أن تبلغ ما تبتغيه ولك ساعداً القنفذ الهزيلان.

دويبة صغيرة متنتنة الريح قميئة (١) وهو بحجم " السنور " قد اتخذه الفرزدق مصدرا لبناء صورة ، واقتصر أيضا على " جرير " وقومه ، ولغيره قليل (٢) ، و" القراد " وهو أيضا دويبة تتعلق بالبعير لقوم " جرير " ازدراء وسخرية (٣) ، و" اليربوع " لجرير سخرية وذلة (٤) ومن الحشرات أيضا " القمل " وهو دويبة مثل القراد تتعلق بالبعير لهزاله " لبنى كليب " تعبيرا عن قلة شأنهم ومعيشتهم عالة عل الآخرين :

مِنْ عِزِّهِمْ جَحَرَتْ كُلَيبٌ بَيتَهَا زَرْباً كَأَنّهُمْ لَدَيْهِ القُمّلُ (٥)

ومثل هذه الحشرت تعادل لدى الانسان الجاهل رمزا الى هؤلاء الصنف من البشر الازلاء الذين يعيشون عالة على غيرهم ، إنها صورة الطفيلى الذليل ، ووالد جرير يتقمل من القمل تعبيرا عن بعدهم عن النعيم ولزومهم الخشن والوسخ من الحياة(٦) كما استخدم الفرزدق " العنكبوت " تضرب على جرير ذله وصغارا (٧) و" الذباب " لجرير وقومه يقع على أشدق الاسود ( الفرزدق وقومه ) أمرا هينا لا اهتمام له ولا أثر لوجوده (٨) ، أما الزواحف فمنها " الحية " ولها خصوصية الرعب والذعر والموت ، ولكن الرذق استلهم أن الحية تعادل " الموت " وقد اتخذها مصدرا

---

١- ١ / ٧٥ .

٢- ١ / ٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢/ ٥٧٤ .

٣- ٢ / ٥٧٤ .

٤- ٢ / ٧٩ ، ١ / ٦٠١ .

٥- ٢ / ٣١٨ . يقول إن بيت كليب بالنسبة إى بيته بدا الحجر وبدا أبناء كليب وكأنهم القمل وهى دواب صغار كالقردان تركب البعير عند الهزال.

٦- ٢ / ٣٢٢ .

٧- ٢ / ٣١٨ .

٨- ١ / ١٦٩ .

لتصوير ذاته :

فَلا يَقْذِفَنْكَ الحَينُ فى ناب حَيّةٍ عَصا كُلَّ حَوَّاءٍ بِهِ السّمُّ مُنْقَعُ (١)

والحية للعدو تضرب وتحطم :

كُنّا إذا نَزَلَتْ بأرْضِكَ حَيــّةٌ صَمّاءُ تَخْرُجُ من صُدُوعِ جِبَالِ (٢)

يُخْشَى بَوَادِرُهَا شدَخَنْاَ رَأسَهَا بِمُشَذّخَــاتٍ للرّؤوسِ عَــوَالى

والحية هنا رمز للإنسان الظالم الجائر ، لا بد من مواجهته وتحطيمه ، كما اتخذ " الحية " للشجاع يواجه – الفرزدق – ويحطمه :

إلىّ ، ولَمْ أتْرُكْ عَلى الأرضِ حَيّةً وَلا نَابحاً إلاّ اسْتَسرّ عَقُورُهَا (٣)

لا شك أن هذا يكشف عن ذات الفرزدق المقدامة المغامرة ، تلك الذات التى أشار الى بيعتها وعلاقتها فى أكثر من موضع،كما اتخذ الحيات للأسنة والأزمــة تعلــق بــأنف البعير(٤) و " الأراقم " تتعلق بقوائم البعير تدلغها فنجد العدو فرارا منها :

كَأنّ أرَاقِماً عَلِقَتْ يَدَاهَا مُعَلَّقَةً إلى عَمَــدِ الرّخَــامِ (٥)

كثيرا ما يعمد الشعراء الى مثل هذه الصور مع اختلاف ما يزعج هذه الناقة فى

---

١– الديوان ٢ / ٤٧ .الحَيْن : الموت. الحية : هنا الرجل المهلك. الحواء : من يُبْرَئ من ســم الحيــة. المنقــع : الشديد.

٢– ٢ / ٣٣٣ . يقول إنه إذا انبرى لهم عدو رهيب كالحية فإنهم كانوا ينبرون عنه ويسحقون رأســه برمــاحهم القوية.

٣– ١ / ٥٩٠ . الحسية : هنا الشجاع ن الشديد الأذى . استسر : اختفى وتوارى. يقول مفاخراً إنــه لم يــدع أحداً يتصدى له من الذين ألفوا الشجاعة والأذى إلا تعرض له وأفحمه وأسكته.

٤– ١ / ٤٣٢ .

٥– ٢ / ٥٣٣ .الأراقم : الأفاعى . عمد الرخام : قوائمها. يقول إنها كانت تعدو متعجلة وكأن الأفاعى كانــت معلقة بقوائمها وهى تلدغها والناقة تجد العدو لتفر وتتخلص منها.

رحلتها ، وإذا كما قلنا إن " الناقة " لدى الإنسان القديم تمثل فعلا لإنتقاص الرزق ووسيلة من وسائل البحث عن أسباب البقاء ، فلا شك أن " الحية " هنا فى الحقيقة تمثل كل فعل يحول بين هذا الإنسان وبين الحصول والوصول الى أسباب وجوده ومظاهر راحته ، إنها تمثل ذلك اللإنسان الحاقد ، الإنسان الشيطان يسعى الى تحطيم الغير والسعى الى الناس لبث الضرر وإزالة الخير بينهم .

كما يمكننا القول– والتعبير الشعرى ثرى بالتأويل– بأن "الحية " هنا تمثل الحافز النفسى الذى يقوى الارادة نحو المواجهة والتحدى ، كما اتخذ " الأراقم " لعابها يصيبه ، تعبيرا عن مدى الرعب والخوف الذى دخله خوفا من " زياد بن ابيه (١) واتخذ " الحيات والعقارب " تسير على قدمه تعبيرا عن شدة إيذاء جرير له حقدا على أنه من " ضبه "، والفرزدق إنما يصنع ذلك لينفيه عن أصله وعن صلته بالأسياد والعظماء (٢)، وبتخذ " الأفعوان الأراقم " لشعره الهاجى :

وأبيكَ ما حَمَلوا المُكلَّ ولا اتَقّوْا  نَابَيِن ضَمَّهُا إلَيْهِ الأرْقَمُ (٣)

مَنْ يَجْرَحَا فكأنّما يُرْمَى بِهِ  من حيثُ يَرْتَفعُ الشَّبوبُ الأعصَمُ

وهنا يبن لنا أن الشعر المهجو به دائما ما يكون له من الأثر ، ما قد يفوق أثر الحيات والأراقم ، لذا وجدنا الأمراء وغيرهم يتحاشون ألسنة الشعراء ، وربما

---

١– ٢ / ٤٩٣ ، ١ / ٢٢٥ .

٢– ١ / ٨١ .

٣– ٢ / ٥٢٥ . – يقسم بأنهم حين يحملونه على متن بعير لا يحملون المرء الجبان وهم لم يدركو عنفه وإنهم حرىّ أن يهجوهم بنابيه وهما نابا أفعوان أرقم.

– يقول إنه إذا ألمَّ بامرئ بنابيه وأنفذهما فيه ، فإنه يهلك كمن سقط من جبل عالٍ يقيم فيه الثور الوحشى الشاب ويعتصم.

يتوددون إليهم ، وربما أودى هذا الشعر صاحبه المهالك ، كما اتخذ الفرزدق " دمـــاء الأساود " معادلا للأحقاد والخصومات :

فلَمْ يَبْقَ بَينَ الحيّ سَعدِ بن مالِكٍ وَلا نَهْشَلٍ إلاّ دِمَاءَ الأساوِدِ (١)

**(٣) الإنسان :**

والإنسان بوصفه مصدرا للتصوير يختلف عن الطبيعة الجامدة أو الحيوان حيث لأن اسلتهام الشاعر لها كان بوصفها وحدة متكاملة ، رأى فيها مـــثلاً وخصوصـــيات اسطتعنا من خلالها الوقوف على المثل والقيم التى تحكم الشاعر والإنسان العربى القديم فى فترة زمنية معلومة ، أما اتجاه الشاعر إلى الإنسان بوصفه مصدرا كـــان إلى صـــفاته وأحواله وآلاته وأدواته .

**أ) الصفات والأحوال :**

ودراسة الصفات والأحوال التى استلهمها الفرزدق مصدرا للتصوير مســـاعدا على فهم رؤية الشاعر للإنسان بمداخله وبواطنه ، كما يساعدنا على رؤية الشاعر تجاه ظواهر الحسن والقبح فى الذات البشرية ، وهذا – ولا شك – يدعونا لأن تقوم دراسة وصفية للمثل والجوانب المشرقة فى الذات البشرية من ناحية و الجوانب المظلمة فيهـــا من ناحية أخرى وذلك فى فترة زمنية معينة من فترات وجودها ، ولقد ساعد العصـــر الذى عاش فيه الفرزدق بتقلباته وبتنوع المثل ورؤيته لطبيعة الذات البشرية .

والمتأمل فى ديوان الشاعر يلمح – دون جهد – مدى ميـــل الفـــرزدق تجـــاه أعراض وصفات وأعضاء الإنسان ، يبين من خلال ذلك – كما قلنا – رؤيته الخاصـــة تجاه هذا العالم الملئ بالأسرار ، إنه كتاب مفتوح تختلف رؤى المبدعين فى قرائته وتأمله .

---

١– الديوان ١ / ٢٥٨ . الأساود : الحيات. يقول إنه ليس بينهم إلا حقد كالسّم.

ومن الإنسان وقف الفرزدق على الآتى :

*** جانب النفور :**

اتخذ الفرزدق من مظاهر النفور التى يتسم بها بعد البشر مصدرا للتصوير، وقد تنوعت هذه المظاهر بين سمات خلقية وبين ما يصيب الإنسان ويعد أمرً مكروهاً ينفر منه ، من هذه السمات والأحوال :

**١- الشيخوخة :**

والشيخوخة من الأعراض التى تصيب الإنسان، و وينفر منها لإصابته بالضعف وخور القوة ، إنها تمثل فى جانب من جوانب الانتهاء والعكس ، والضمور ، والبعد عن الحياة ومعانيها .

لذا وجدنا الفرزدق يعرض بها فى كثير من المواقف مثل قوله :

لعمرى لقد رققتنى قبل رقتى وأشعلت فى الشيب قبل زمانى (١)

ويقيم الموازنة بين الشباب والشيب من خلال صورة طريفة حين يقول :

إنّ الشّبابَ لَرَابِحُ مَنْ بَاعَهُ والشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِهِ تِجَارُ (٢)

لتعادل الشيخوخة حينئذ " الخسارة واللافائدة " و" الشيب " يطرد الشباب ويجعله يولى الدبر :

إنْ يُظْعِنِ الشَيْبُ الشّبَاب فقد تُرَى لَهُ لِمَةٌ لَمْ يُرْمَ عَنْهَا غُرَابُهَا (٣)

---

١- الديوان ٢ / ٥٩١ .

٢- ١ / ٦٠٠ . يقول إن تجارة الشيب بائرة بخلاف الشباب.

٣- ١ / ٨٦ . يقول إنه إذا كان المشيب جعل الشباب يظعن أى يرتحل. فقد طالما كانت للشباب لمة سوداء كالغراب.

وينفر هنا وقد صرح بذلك :

١- وأحْدَثُ عَهْدٍ وُدّكَ بالْغَوَانِى إذَا مَا رَأْسُ طَالبِهـــنَّ شَـــابَا (١)

٢- فَلا أسْطِيعُ رَدَّ الشّيب عَنّى وَلاَ أرْجُو مَعَ الكِبَرِ الشّبَابَا

٣- فَلَيْتَ الشّيْبَ يَوْمَ غَدَا عَلَيْنَا إلى يَوْمِ القِيَامَةِ كَانَ غَـــابَا

ويقول فى موضع آخر :

١- رأيْتُ العَذَارَى قَدْ تَكَرّهْنَ مجْلسى وَقُلنَ: تَوَلّى عَنْكَ كُلّ شَابِ (٢)

٢- يَنُـــرْنَ إذا هَازَلْتُهُـــنّ ، ورُبّمَـــا أرَاهُـــنّ فى الإثْآرِ غَـــيرَ نَوَابى

٣- عَتَبْنَ على فَقْدِ الشّبابِ الذى مَضَى فَقلْتُ لَهُنّ : لاتَ حِينَ عتابِ

وهذا لايعنى تغنيه بالشيب بما يكب الإنسان حكمة وخبرة، حين يقول :

١- وَفى الشّيْبِ لَذّاتُ وَقُـــرّةُ أعْـــيُنٍ وَمِنْ قَبْلِهِ عَيْشٌ تَعَلّلَ جادِبُهْ (٣)

٢- إذا نازَلَ الشّيْبُ الشّبابَ فأصْلَتَا بسَيْفَيهِمَا ، فالشّيْبُ لابدّ غَالِبُـــهْ

---

١- ١ / ١٣٧- ١- يقول إن الغوانى قطعنه حين شاب وكان عهده بهمن حديثاً. ٢- يقول إنه يطلب الشـــباب ولا يلقاه . وإن الشيب يقتحم عليه ولا قبل له بدفعه .-٣- يتمنى لو نزح عنه الشيب أبد الدهر.

٢ - ١ / ٧٤ . ١- يقول إنه أصيب بالشيب وإن الفتيات العذارى لم يعدن يكلن إليه ويطقن مجلسه.

- ينرن : ينفرن : الآثار : الرنو خلسة حينا بعد حين . غير نوابى : غير متجافيات. يقول إنه حـــين يغـــازلن ، فإنهن ينفرن منه لشيبه ولكنهن ، مع ذلك ، يبلن أن يخالسهن النظر والرنّو.

- يقول إنهن يعتبن عليه ويملن عنه لتولى شبابه فيجيب بأنه لا جدوى من ذلك العتاب كله.

٣ - ١ / ٨٤ ، ٨٥ . ١- تعلل : أظهر العلل والحجج. جادبه : عايبه. يقول إن الهرم يريح ويدع العين تقر مـــن الشهوات ومن الصبوات ، وأما الشباب الذى يسبقه فإن المرء يتعلل ويفتعل الحجج ليعيبه ويجد له مثالب.

٢- أصلت السيف : جرده. يقول إذا ما تبارز الشباب والهرم فغن الهرم يغلب الشباب ويجهز عليه.

٣- يقول إن الشباب هو أفضل مهزوم. وإن الشيب هو شر من يهزم وينتصر حين تقتحم كتائب الشيب وتلتمـــع أمام الشباب.

٣- فَيَا خَيْرَ مَهْـزُمٍ و يَا شَرّ هَـازِمٍ إذا الشّيْبُ راقَتْ للشّبَابِ كَتائِبُهْ

**(٢) الموت :**

تناول الفرزدق الموت على صورتين، **الأولى** : القتل والإعدام وهو حين ئذ رعب وهـو وفقدان لمتع الحياة ، و**الثانية** : اتخذه فى صور حكمية مبينا حكمته وفرضيته .

**أما الأولى :** فتراه يجعل الموت وقافا، يترصد فى كل مكان خوفا من زياد بن أبيه، ذلـك حين يخاطب " قينة " قائلا :

فَقُلْتُ : ذَرِينى مِنْ زِيادٍ ، فإنّنى أرَى المَوْتَ وَقّافاً عَلى كلّ مَرْصَدِ (١)

ويتخذ الموت بذاته مخاطبا جريرا :

فإنى أنَا المَوْتُ الّذى هُوَ ذاهِبٌ بِنَفْسِكَ فانظُرْ كَيْفَ أنتَ مُحَاوِلُهْ (٢)

والموت يخافه الفرزدق مقبلا ليأخذه :

وَقَدْ خِفتُ حتى لوْ أرَى المَوْتَ مقبِلاً لَيَأْخُذَنِى،والمَوْتُ يُكْـرَهُ زَائِرُهْ (٣)

أما ما اتخذه فى صور حكمية ، مثل قوله :

- فَصَبْراً تَميمٌ ، إنّما المَوْتُ مَنْهَـلٌ يَصـيرُ إلَيْهِ صَـابِرٌ وجَـزُوعُ (٤)
- فَهَلْ أحَدٌ يا ابنَ المَرَاغَةِ هَـارِبٌ مِنَ المَوْتِ ، إنّ المَوْتَ لابدّ نائلُهْ (٥)

---

١- ١ / ٢٦١ . يقول إنه يعترف بأن زياداً يدع الموت يترصده فى كل مكان.

٢- ٢ / ٣٤١ .يقول إنه سيقتله ليتدبر أمره.

٣- ١ / ٤١٧ . يقول إنى أخاف حتى لو أن الموت أقبل عليه والموت زائر مكروه لكان عليه أيسر من الحجـاج حين يدلهم ويغضى متفكراً بالعقاب.

٤- ٢ / ٥٥ . يقول إن الموت يساوى بين الناس ، الجبان والشجاع ، والصابر.

٥- ٢ / ٣٤١ . يقول إنه لا قبل له بالتوالى والهروب منه ، فهو الموت أى الفرزدق ولا قبل لجرير بالفرار منه.

**(٣) الناس :**

**واتخذ الفرزدق من الناس مصدرا متنوعة لتصويره ، فاتخذ منها جانب الإعجاب وهو ما تمثل فى الممدوح وغيره من المثل وخلق عربى أصيل ةقد تحدثنا عنه فى الصفحات السافة ، أما جانب النفور ، فتمثل فيما يتصف به بعض البشر من حسد وحقد ، وغير ذلك من المومومات ، أو يتمثل فيما يلحق البشر من مقدرات ينفر منها الإنسان كالفقر والذل واليأس، واتخذ " العبيد " كثيرا مصدرا للتصوير ، دالا به على مدى الذل الذى يلحق بالمتلقى " المهجو " مثل قوله :**

وَمِثْلُكَ مُقْرِفُ الطّرَفَينِ عَبْدٌ ، صُفِعْتَ علَى النّواظِرِ والبَنَانِ (١)
وَإنّ سِبَابيكُمْ لَجَهْلٌ ، وأنْتُمْ تُبَاعُونَ فى الأسواقِ بَيْعَ الجلايبِ (٢)
ترَكَنْا جَريراً وَهوَ فى السّوقِ حابسٌ عَطيّةَ، هَلْ يَلقَى بِهِ مَنْ يُبَادِلُهْ (٣)
وَهَلْ كُنْتُمُ إلاّ عَبيداً نَفَيْتُمُ مُقَلَّدَةً أعْنَاقُهَا بالخَوَاتِمِ (٤)
فَإنّا وايّاهُمْ كَعَبْدٍ وَرَبِّهِ إذا فَرّ منْهُ رَدّهُ بِرُغُومِ (٥)
فَمَا مِنْهُمُ إلاّ يُقَادُ بأنْفِهِ إلى مَلِكٍ من خِندفٍ ، بالخَزَائِمِ (٦)

---

١- ٢ / ٦١٩ ، والضمير عائد على " نهشل بن حرى النهشلى " . يقول إنه عبد دنئ ، هشم وجهه.

٢- ١ / ١١٥ . الجلايب : العبيد والإماء. يقول إنه يسبّهم من صغر عقله وحمقه ، وهم ليسوا حريين بأن يحفل بهم حتى فى باب الشتم وإنهم يباعون فى الأسواق كالعبيد.

٣- ٢ / ٣٤٤ .يقول إنه يريد أن يبيع والده عبداً بعبد آخر.

٤- ٢ / ٤٦٢ ، والضمير : أصم باهلة وقومه .يقول إنهم عبيد طردوا ، وفى أعناقهم الأأرسنة والقيود.

٥- ٢ / ٥٢٢ . يقول إن من يتحافون ضدهم متغررون وقد مال بهم الحمقى ، فإنهم يكونون بالنسبة إليهم كالأسياد الذين فر من دونهم عبيدهم ، وهم يرجعونهم إلى ما كانوا إليه مرغمين مكرهين.

٦- ٢ / ٥٧٢ ، الضمير عائد على قيس . يقول إنهم كانوا يساقون كأنهم كالعبيد بحلقات أنوفهم إلى ملوك بنى خندف.

أما ما أتخذه الفرزدق من الأخلاق المذمومة اتخاذه الشياطين للمارقين المنافقين من الناس:

وَخَرّتْ شَياطِينُ البِلادِ كأنّهَا مَخافَةَ أُخْرَى ، فى الأزِمّةِ خُضّعُ (١)

وبنو كليب شرار الناس :

أَلاَ إنّ اللّئَامَ بَنى كُلَيْبٍ شِرارُ النّاسِ مِنْ حَضَرٍ وَبَادِ (٢)

وخالد بن سعيد من قريش يموت حسدا :

لَهُ من قُريشٍ طَيّبُوهَا وَقَبْصُهَا وَإنْ عَضّ كَفّىْ أُمّهِ كُلُّ حَاسِدِ (٣)

ويتخذ الخيانة للسيف :

إنْ يكُ سَيْفٌ خانَ أوْ قَدَرٌ أبَى وتَأخيرُ نَفْسٍ حَتفُهَا غَيْرُ شَاهِدِ (٤)

والخارجون عن الأمويين لهم قلوب منافقين :

قُلُوبُ مُنافِقِينَ طَغَوْا وَشَبّوا بِكُلّ ثَنِيّةٍ بالأرْض ، نَارَا (٥)

وعمر بن مسلم الجاهلى ذو الغش :

فجاهَرَنَا ذو الغشّ عَمْرُو بنُ مُسلمٍ وأوْقَدَ نَاراً صَاحِبُ البَكَرَاتِ (٦)

---

١- ٢ / ٧٠ .

٢- ١ / ٢٤٢. يقول إن الكلبيين هم أسوأ الناس بادين فى البادية أو فى الحضر.

٣- ١ / ٢٥٩ . قبصها : نشاطها. يقول إنه منحدر من القرشيين ، وله منهم طيبهم ونهودهم للعلى ، وإن كان من دونه يموتون حسداً.

٤- ١ / ٢٦٧ .يقول إن السيف خانه وإن القدر أبى أن يقتل ذلك الأسير وموته لم يحن حينه بعد.

٥- ١ / ٣٢٧. يصف الفتن التى أثيرت على الأمويين ويقول لقد أثارها عليهم المنافقون الباغون الظالمون والذين أوقدوا نار الفتنة فى كل ثنية من مطارح الأرض.

٦- الديوان : ١ / ١٩٤ . عمرو بن مسلم : هو عمرو بن مسلم الباهلى ، وقد أعان على قتل عمر بن يزيد .

والمظالم تموت :

مَـــاتَ الَمظَالِـــمُ حِينَ كُنْتَ لَهَـــا  حَكَماً وَجِئْتَ لَنَا عَلى فَقْـــرِ (١)

والظلم تجذ عراه :

رأْيُت الظّلْمَ لَمـــّا قُمْتَ جُـــذّتْ  عُرَاُه بِشفـــْرّتَىْ ذَكَـــرٍ هُذّامِ (٢)

والقضاء الجائر " الممدوح " يعدله (٣) والظلم " للحجاج " بن يوسف " (٤) والغـــدر أعظم سبة (٥) وقوم جرير " لفاء " أى بلا قيمة، والفتنة يشب نارها (٦) والفتنة عمياء لا تبقى ولا تذر (٧) ، والجهل يقتل (٨) و " اللؤم " من الجوانب المنفرة والمذمومـــة فى الانسان إن حل به ، وهذا اللفظ قد قمنا بإحصائه فى الديوان فوجدناه مـــن الألفـــاظ المحورية فى ابداع الشاعر خاصة فى نقائضه (٩) وسنقتصر هنا على أمثلة توضح مـــدى نفور الشاعر من هذه الشيمة الأخلاقية ، وكيف بنى منها صورا رائعة ، فنراه – مـــثلا – يجعل من اللؤم " مربقا " على أعناق قوم جرير :

وَتـــــَرْبُقُ باللّـــــؤمِ أعْنَاقَـــــهَا  بأرْبَاقِ لُؤمِهِـــــمُ الأثْلَـــــدِ (١٠)

---

١– ١ / ٤٣٩، والضمير عائد على : سليمان بن عبد الملك، يقول إنه قتل الظلم وأنقذهم من الفقر الذى كـــان يخنى عليهم.

٢– ٢ / ٥٣٧ .الهذام : السيف القاطع . يقول إنه قطع جبال الظلم.

٣– ٢ / ٢١٤ .

٤– ٢ / ٢١٤ .

٥– ١ / ٤١ .

٦– ٢ / ٤٥٤ .

٧– ١ / ٤٥ .

٨– ٢ / ١١٨ .

٩– أشرنا الى ذلك فى الفصل الثانى من الباب الأول من خلال حديثنا عن التعابير .

١٠– ١ / ٢٩٧، تريق:توثق. الأتلد : القديم. يقول إنهم موثقون باللؤم فى أعناقهم، ولا فكاك لهم عنه، وهو قديم عريق فيهم.

وجرير الأم من مشى وقد مرغته أمه فى اللؤم :

يا ابنَ المَرَاغَةِ أنْتَ ألأمُ مَن مَشَـــى وَأذَلُّ مَـــنْ لِـــبَنَانهِ أظْفَـــارُ (١)

– إنّ المَراغَةَ مَرّغَـــــتْ يرْبُوعَـــهَا فى اللّؤمِ حَيْثُ تجاهَدَ المِضْمَارُ

وقوم جرير عليهم فراء اللؤم (٢) ، كما أرضع بثدى اللؤم مخازيا (٣) ، وكذلك اللؤم ملعوطا بأعناق طيئ (٤)، أما ما يخص من أعراض ينفر منها ، واتخذ منـــها الفـــرزدق مصدرا فى بناء صورة " الهم " وهو ينفر منه الإنسان – بصفة عامة – ونرى الشـــاعر يعبر من خلال بناء الصورة عن هذا المعنى الذى عاشه فى فترة أسدل الهـــم والبـــؤس أستاره ، وهو ما تعبر عنه هذه الصورة المؤثرة :

تُسَائِلُنِى مَا بَالُ جَنْبِـــكَ جَافِـــياً ، أهَمٌّ جَفـــا أمْ جَفنُ عَينكَ أرْمَدُ (٥)

– فَإنّ ارْتِدادَ الهّمّ عَجْزٌ عَلى الفَتى عَلَيْهِ كَمـــا رُدّ البَعـــــيرُ المُقَيَّدُ

وَلا خَيرَ فى هَـــمٍّ إذا لَمْ يَكُـــنْ لَهُ زَمَاعٌ وَحَبْلٌ للصرِيمةِ مُحْصَدُ (٦)

فإنْ يَكُ قَيْدى رَدّ هَمـــّى فَرُبّمـــَا تَرَامَى بِهِ رَامى الهُمُومِ الأبَاعِدِ (٧)

---

١– ١ / ٦٠١ . – ابن المراغة : جرير . يقول إنه أذل الناس.

– يقول إنهم تعفروا باللؤم فى مضمار الفخر.

٢– ١ / ١٦٨ .

٣– ١ / ١٧١ .

٤– ٢ / ٦٠٨ .

٥– ١ / ٢٥٢ .– الجافى : من يجفوه النوم ولا يدر له. الجفن الأرمد : من أصيب بداء الرمد فى عينه.

– يقول إنه مؤرق من عياله الكثيرة الذين ليس لهم شبر ارض يترل فيه الغيث.

٦– الديوان ١ / ٢٥٣ . الزماع : المضاء فى الأمر. الصريمة : العزيمة. المحصد : المفتولز يقول إنه ليس من الخـــير الاستسلام للهم بل ينبغى أن يقابل بالعزم والعزيمة ولها حبل موثق أكيد.

٧– ١ / ٢٢٥ . يقول إن قيده زاد همه ولكنه كان طالما ابتدع به الهوم على الذين يهجوهم وإن كانوا نائين عنه.

نوَاهضَ يَحمِلنَ الهُمــومَ التى جَفَتْ بِنَا عَن حشايا المُحصناتِ الكرَائِمِ (١)

و " الجوع " من الأعراض التى اتخذها معبرة عن قلق الإنسان العــربى القــديم والإنسان بصفة عامة ، تجاه قوته ، التى تعينه على الحركة والبقاء . فنرى الجوع يقتل :

وَكَمْ قاتلٍ للجُوعِ قَد كانَ منهمُ ، وَمــنْ حَيّةٍ قَدْ كانَ سُمــاً لُعَابُهــا (٢)

" والجوع " يقيم دالا على الاملاق :

وَهُمْ حَيثُ حَلّ الجوعُ بَينَ تِهَامةٍ وَخَبْيَرَ والوَادِى الذى الجوعُ حاضِرُهْ (٣)

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ عَبسٌ تُقَاتِلُ مَسَــهَا منَ الجُــوعِ ضُــرٌّ لا يَغَمِّضُ ساهرُهْ(٤)

" والمراض السلال " للنساء الحبيبات قد حلت علــيهم أســباب النعــيم (٥)

و " المخاوف " أخ له تعبيرا عن ملازمتها له (٦) ، " والذل " دار ينزل فيها تعبيرا عــن اقتران الذل بهم :

النّازِلِــــينَ بِدارِ الذُّلّ إنْ نَزَلُــوا والألأمينَ بأسْمَاعٍ وأبْصَــارِ (٧)

و" الدعوة الى الأنقاد " كاليأس لا غاية من ورائها (٨) والعمى اتخذه الفرزدق مصدرا صور به الظلم والجور (٩) والفقر والامحال يطرد تعبيرا عن النعيم والرخاء :

---

١- ٢ / ٥٦، يقول إن تلك الإبل كانت تحمل همومه وهى التى جفت به وجعلته ينأى عن قرب نسائه العفيفات الكريمات.

٢- ٢ / ٦٢٤ . يقول إنهم كانوت يضيفون ويقاتلون.

٣- ١ / ٤١٤ . يقول إن مضر من دونهم تقيم فى تهامة وخيبر ووادى القرى الذى يقيم فيه الجوع والمحل أبداً.

٤- ١ / ٤١٥ . يقول إن عبساً تنال روقها بالغزو ، ولولا ذلك لأملقت من الجوع وسهرت له الليل كله.

٥- ٢ / ١١٤ .

٦- ٢ / ٤٩٣ .

٧- ١ / ٥٣٩ .يقول إنهم يلحق بهم الذل فى كل مكان ، وإنهم أصحاب اللؤم أمام أسماع الناس وأبصارهم.

٨- ٢ / ٦٣٦ .

٩- ١ / ٤٣٨ .

فقَالَتْ : أَلَيْسَ ابنُ الوَلِيدِ الذى لَهُ  يَمينٌ بِهَا الإمْحَالُ والَفقرُ يُطرَدُ (١)

واتخذ الشؤم (٢) والسرار لحديث النساء المنعمات من بنى قومه (٣)

*** جانب الاعجاب :**

وجوانب الاعجاب فى الإنسان عديدة ، ذكرنا جانبا منها فى الصفحات السابقة وها نحن نتحدث عن جوانب أغفلناها ، منها :

**(١) الشباب :**

ويعد الشباب مصر إعجاب للإنسان – بصفة عامة – يود ألا ينصرم ، وهو أزهى مراحل الحياة ، وأحبها الى الإنسان ، لذا رأينا الفرزدق يتغنى به قائلا :

فَلَمْ أرَ كالشّبَابَ مَتَاَع دُنْيَا ؛  ولَمْ أرَ مِثْلَ كِسْوَتِهِ ثِيَابَا (٤)

– وَلَوْ أنَّ الشّبَابَ يُذَابُ يَوْماً  بِهِ حَجَرٌ مِنَ الجَبَلَينِ ذَابَا

إن الشباب يعادل " القوة والبقاء " ، يعادل العز والتفوق والسيادة ، وكذا قوله :

إنّ الشّبابَ لَرَابِحٌ مَنْ بَاعَهُ  والشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِيهِ تِجَارُ (٥)

فإن الفرزدق يعجب بالشباب هنا ، فإنه فى مواقف أخرى يفضل عليه المشيب ويرى فى الشباب لهوا، وقهورا وعدم خبرة (٦)

---

١– ١ / ٢٥٢ ، ٢ / ٣٥٤ . يقول إنها طلبت منه بأن ينتجع ابن الوليد الذى يطرد الفقر والإمحال.

٢– ١ / ٣٠٤ .

٣– ١ / ٥٩٩ ، السرار الحديث الناعم الخافت .

٤– ١ / ١٣٧ . – يقول إن الشباب هو أفضل العهود وإن ثوبه هو ثوب حسن.

– يقول إنه من حميته وقدرته كان حريّاً أن يذيب الحجارة.

٥– الديوان ١ / ٦٠٠ . يقول إن تجارة السيب بائرة بخلاف الشباب.

٦– ١ / ٨٤ .

**(٣) الفتوة :**

**والفتوة فى حياة الإنسان معنى محبب ورغبة مديدة ، فبالفتوة يحيا الإنسان عزيز الجانب مهاب، إنها فى حياة العربى القديم رمز للسيادة والبطولة،رمز للقوة والجود،فنرى الفرزدق كثيرا ما يمدح بهذه الصفة ، ومن ذلك قوله مخاطبا ناقته :**

**– عَلَيْكِ فَتى النّاسِ الذى إنْ بَلَغْتِهِ فَمَـا بَعْـدَهُ فى نَائِلٍ مُتَلَـدَّدُ (١)**

**– فَتىً كَانَتْ يَدَاهُ بِكُلّ عُـرْفٍ ، إذا جَمَدَ الأكُفُّ ، تَدَفَّقَـانِ (٢)**

**ونراه يكرر اللفظ تكرارا يكشف عن مدى ما تحمله هذه الكلمة مـن معـان عديدة ، كما فى رثائه محمد ابن العاصى بن سعيد بن أميه :**

**١– فَتىً كَانَ لا يُبْلى الإزَارَ وَسَيْفُهُ بِهِ للمَوَالِى فى التّرَابِ انْتِفَامُهَا (٣)**

**٢– فَتىً لَمْ يكُنْ يُدْعى فَتىً ليس مثلَهُ إذا الرّيحُ ساقَ الشّوْلَ شّلاً جَهامُهَا**

**٣– فَتىً كَشِهَابِ اللّيْلِ يَرْفَعُ نَارَهُ ، إذا النّارُ أخْبَاهَـا لسَـارٍ ضِرَامُهَـا**

---

**١– ١ / ٢٥٢ .المتلدد : المتطلع ، وأصلها فى العنق. يقول لها إنك حين تبلغين ابن الوليد ، فإنك تكتفين ولا ترنين لمن دونه.**

**٢– ٢ / ٦١٠ . يقول إنه كان كثير الإحسان والعطاء حين تجمد الأكف الأخرى عن العطاء.**

**٣– ٢ / ٣٧٢ . ١– يقول إنه لم يكن قعيداً ، فيبلى ثوبه من ارتدائه قياماً وقعوداً وإنما كان دائم التجـوال علـى متون الخيل للقتال ، وإذا قتل من يستجير به ودفن فى التراب ، فإنه لا يحجم عن الثأر له بل إنه ينـتقم لمـن يوالونه إثر موتهم.**

**٢– الشؤل : النياق الجافة اللبن ، وهنا السحاب المتراكب. شلا : طردا. جهامها : سحابها الذىلا هرق ماؤه مـع الريح. يقول إنه الفتى الذى لم يكن أحد يدعى فتى إلا كان مماثلاً له من دون سواه وذلك أنه كان أشد الناس بذلاً فى أيام الضيق والصقيع حين يقبل الشتاء بالريح التى تطرد الغيوم المتراكبة فينهمر ماؤها.**

**٣– يقول إنه إذا كان الناس يضرمون نارهم فى مكان خفى كى لا يراها السارون ليلاً ، فإنه كان يضرم ناره علـى مرتفع عالٍ ينتجعه السائرون ليلاً.**

**(٣) الحلم:**

**والحلم من الخلق الذى يتغنى به الفرزدق ، ما دحا ومفتخرا ، وما أحسن ما يتحلى بـــه الإنسان من عقل راجح وضبط النفس ، وها هو بفتخر قائلا :**

**وَجَهْلٍ بِحلْـــمٍ قَـــدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ وَما كانَ لَوْلا حِلْمُنَا يَتَزَحْلَفُ (١)**

**– رَجَحنا بِهِمْ استَثابوا حُلُومَهمْ بِنَا بَعْدَمَا كادَ القَنا يَتَقَصَـــفُ**

**وَإنى لَيَنْهَانى عَنِ الجَهْـــل فيكُـــمُ إذا كِدتُ،خَلاّتٌ مِنَ الحلم أرْبَعُ (٢)**

**حَـــيَاءٌ وَبُقْـــيَا واتّقـــاءٌ ، وَإنّنى كَرِيمٌ فَأُعطى مَا أشَـــاءُ و أمْنَعُ**

**وحلوم قومه تزن الحبال (٣) وبأحلام قومه ينتهى الجهال، وهم بذلك حكماء الناس(٤)**

**وأما عن أعضاء الإنسان واتخاذها مصدرا للتصوير ، فتساهم بدور ملحوظ بين المصادر التى استقاها بصفة عامة ، فمن العيون والأيدى واللسان والقلب نـــراه بـــينى لوحاته ويثير فى الملتقى إيحاءات أثرت رسالة النص الى الحياة والوجود، فيتخذ الفرزدق " قلب الأيهم " لقلبه بعد فراق الأحبة :**

**كَيْفَ السّلامَةُ بَعْدَمَا تَيّمْتِنى وَتَركْتِ قَلبى مثلَ قَلْبِ الأيْهَم (٥)**

---

١– ٢ / ١٢٤ . – يتزحلف : يتباعد. يقول إنهم يسكنون الأجهل بأحلامهم.

– يقول إنهم اتخذوهم بالأناة والروية حتى تيقظوا من جهلهم وثابوا على رشدهم ، بعد أن أوشك القتـــال ان يندلع وتتقصف فيه الرماح.

٢– ٢ / ٤٤ ، ٤٥ . – الخلات : الخصال.

– يقول إنه يمنعه عن هجائهم خصال أربع : الحياء ، والبقيا أى بقية وفاء ، واتقاء الشـــر ، وكرمـــه بحيـــث يتصرف كما يشاء منحاً ومنعاً.

٣– ٢ /٣٣٢ .

٤– ١ / ٢٧٩ .

٥– الديوان ٢ / ٤٢٩ . الأيهم : المصاب بمس فى عقله. يقول من اين السلامة وقد خلفته وكأنه صريع بعقله ؟

" والقلب الفاتك " بأسا وقوة لبنى المهلب (١) وقلوب بنى كليب " أصغار " دلالة على جبنهم وخوفهم وذلتهم (٢) ، والقلب يروى بحب المحبوبة (٣) .

و " العين " تفيض بالدلالات ويستلهم منها الفرزدق ما يساعد رسالته المطروحة من خلال الصورة أن تكون أكثر وقعا وأوضح بيانا ، فيجعل ماء العين يتفجر بعد فراق الأحبة تعبيرا عن ألم الفراق وآثاره :

تَفَجّرَ مَاءُ العَينِ كُلَّ عَشِيّةٍ وَللشّوْقِ ساعاتٌ تَهِيجُ ذُكُورُهَا (٤)

والدمع – كذلك – ينسكب على الأحبة (٥) و " العيون " تنام عن الأوتار كناية ضعفهم وجبنهم (٦) ، وطف العين رسول بينه وبين حبيبته (٧) ، و" الأبصار " مفقأة من أثر شعره الهجائى ذله وهوانا (٨) و " الأنف " كثيرا ما اتخذه الفرزدق مصدرا لتصويره ، والتعبيرعن الذلة حين يجدع ، وهو ما نراه كثيرا فى نقائضه ،مثل قوله :

---

١- ٢ / ١٦٨ .

٢- ١ / ٦٠٦ .

٣- ٢ / ٧٦ .

٤- ١ / ٥٨٥ . يقول إن المساء يثير فيه الذكرى وللذكرى ساعات تستثار بها.

٥- ٢ / ٦٢٤ .

٦- ١ / ٥٨١ .

٧- ١ / ٢١٥ .

٨- ١ / ٥٨٢ .

– فانْ تَكُ قَيْسٌ فى قَتَيْبَةَ أُغضِبَتْ فَلا عَطَسَتْ إلاّ بأجْدَعَ رَاغِمِ (١)

– وَمَا كانَ إلاّ باهِلياً مُجَدَّعـــاً، طَغَى فسَقَيناهُ بكأسِ ابنِ حازِمِ

والفرد من قوم جرير يقاد بأنفه كالعبيد (٢) ، والكفان بيضاوان للممدوح (٣) وقوم الفرزدق أنفون تعبيرا عن كبريائهم وإبائهم (٤) ، و" اليدان " يد حيا للناس والأخرى ظفر وانتصار (٥) ، " ولسانه " بما يطرحه من شعر قاس كالسهم أو الرمح يترك أثرا على الوجه من شدة أثره (٦) ، و " الوجوه " بيضاء تعبيرا عن سيادتهم ونقائهم وبعدهم عن المخازى (٧) ، ومن هيئات الإنسان يتخذ الفرزدق " كشية الأطفال " المترنحة لإبله تسير حافية أعياها السفر (٨) ، ويتخذ " أم عيسى " مشبها بها يزيد بن عبد الملك (٩) ، " والرضع " بعجزهم وبلاهتهم للكلبين من قوم جرير (١٠)

---

١– ٢ / ٥٦٣ . – يقول إن بنى قيس غضبوا لقتل قتيبة ، وإنهم أبداص مجحدعو الأنوف مذلون.
– يقول إنه مجدوع الأنف وقد نال ما نال بشر بن خازم الأسدى.

٢– ٢ / ٥٧٢ .

٣– ٢ / ٥٥٨ .

٤– ٢ / ٣٢٩ .

٥– ١ / ٥٥٤ .

٦– ١ / ٥٨٢ .

٧– ٢ / ٣٣٣ .

٨– ٢ / ٣٣٥ .

٩– ١ / ٢٤٥ .

١٠– ٢ / ٧٣ .

**(ب) الآلات والأدوات :**

**تقوم الدراسة على ما يخص الإنسان من حيث كونه من خصوصياته ومن صناعته ، واتخاذ هذه الأدوات والآلات مصدرا للتصوير وما تحله من معان خلفية يمثل لدى كل شاعر – على حدة – معجما خاصا، كما أنها تكشف عن المثل الجمالية التى يرتئيها المبدع فى فترة زمنية معينة ، خاصة وأن هذه الأدوات تمثل لدى الشاعر والإنسان العربى القديم قيمة كبرى ، فأخذوا يتغنون بها ، ويصورونها ويتخذونها برموزها لتصوير ووصف موصوفاتهم ، مما يدل على مكانتها عندهم، وما تحمله من معان يروى منها المبدعون على اختلاف مشاربهم .**

**والآلات منها ما يتصل بعالم الحرب ، ومنها ما يتصل بالحياة المنزلية ، ومنها ما يتصل بالمعادن والأشياء الثمينة ، والسؤال الذى يطرح نفسه ، لماذا يتجه المبدع الى بناء صورة معتمدة على مثل هذه الأشياء المادية الصلبة ؟ ما هى الغاية الجمالية من وراء بحث المبدع عن هذه الأشياء واستقرائها وتأملها وادخالها فى لوحاته الفنية ؟**

**إن إجابتنا عن هذا التساؤل مرهون بإزالة الأغلفة تلك التى تمنعنا من استبطان رؤية الشاعر وكيفية إدراكه الواقع ، وما ينشأ من علاقات وأبنية ، هى فى الحقيقة معرفة موجهة بتلك الملكة التى بدونها لا يتكون ولا يولد هذا الابداع ، إنها " ملكة الجبال " التى بها يصبح المعنى الموضوى الذى تنطوى عليه صور هذا المعجم الفنى منحلا كما يقول عاطف جودة نصر إلى نزعة تحمل الطبيعى على الصناعى الجامد ، وقد يؤول**

إلى كشف شعرى عن ماهية خاصة بعالم لين ترف فيه من الرخاوة الباردة والبريق المصطنع أكثر مما فيه من دفء الحياة وتوهج الطبيعة ، إنه عالم تحتفظ فيه المعادن النفسية والأحجار الثمينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وعقيق ، وأدوات الزينة من عطور وندى وعنبر ، ومداهن موشاة وأحقاف مبطنة بقيمة ، ردها بعض الدارسين إلى معانى الترف والطبقية والتعويض عن الواقع ، وهى معان غير مرفوضة نحب أن نضيف إليها معنى ، إننا بإزاء هذه الصور نجد أنفسنا فى صميم عالم شعرى يحمل المتحرك على الساكن ، ويغلب المصنوع على الطبيعى تغليب ما يتيسر امتلاكه على ما يتعذر اقتناؤه ، ذلك أن الحى فى سياق الطبيعى منفلت مستع الروغان ، لما فيه من صيرورة وتغير ، أما الجواهد المشعة من معادن واحجار فتبدى نفسها على نحو ملموم ذى مظهر لكيك ومتضام ، إن هذا النوع من الصور الخيالية يتفتح عن رغبة فى تحويل الحى إل طبيعة أدواتيه ، وشفف بامساك المتحرك بحيث ينقلب بواسطة التخييل إلى وضع يفرغه من مضمونه ، ويرده إلى بنيه شديدة التماسك والصلابة لا تسمح بالكشف عن الحياة فى نموها وتدهورها. (١)

١- الخيال : مفهوماته ووظائفه ، ص ٢١٠ وما بعدها .



orelkanar.com

**وتتنوع الآلات والأدوات على النحو التالى :**

**١) الآلات الحربية :**

**وأول ما يطالعنا " السيف " من بين هذه الآلات ، واتخذه كثيرا فى وصف الإنسان ورمزا للقوة والانتهاء فى الأمور وتعبيرا عن قوة الإرادة والإقدام ،" فالعضب " يصمم فى معاوية وقومه (١) والجنيد بن عبد الرحمن المرى ممدوح الفرزدق حسام :**

**وَمَا غَضِبَتْ للهِ أيْدِى قَبِيلَةٍ عَلى مُشْرِكٍ إلا الجُنَيْدُ حُسَامُهَا (٢)**

**و " الحجاج بن يوسف " سيف تجذبه الجماجم والرقابا :**

**– تَعَلّمْ إنّمـــا الحَجَـــاجُ سَيْفٌ ، تَجُذّ بِهِ الجَمَاجِمَ والرّقَابَا (٣)**

**– هُوَ السّيْفُ الذى نَصَرَ ابنَ أرْوَى بِهِ مَرْوَانُ عُثمانَ المُصَابَا**

---

**١– الديوان ١ / ٩٠ . صمم : نزل إلى الصميم . العضب : السيف القاطع . المضرب : هنا حد السيف.**

**٢– الديوان ٢ / ٤٩٢ . يقول إنه يدافع عن الدين.**

**٣– ١ / ١٣٨ . – يخاطب الخليفة ويمتدح واليه الحجاج ، ويقول إنه سيف تقطع به رقاب الملحدين والشذاذ والمشاغبين. – ابن أروى : هو عثمان وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة.**



openkandl.com

والممدوح بلال بن أهوز كالسيف فى انقضاضه :

وَإنّكَ فى الأخرَى إذا الحَرْبُ شَمّرَتْ

لكالسيف ما يُنخَى له السَيْفُ يُقطَعُ (١)

وقد يدقق فيتخذ من نصل السيف مصدرا للتصوير ،فمعاوية بن ابى سفيان كنصل السيف يهز للندى (٢) وهو أيضا طويل نجاده تعبيرا عن طول هامته عزا وفخارا (٣) .

وقد يزداد اعجاب الفرزدق بالسيوف فنراه يكرهها رأسيا معادلا بها والقوة والمضئ

١- بِقَوْمٍ، أبو العاصى أبُوهُمْ، سيوفُهُمْ

مَعاقلُ إذْ صَارَ القِتالُ الى الضّرْب (٤)

٢- رَأيْتُ بَنى مَرْوَان تَفْسَحُ عَنْهُمُ سُيوفُهُمُ ضيقَ المَقامِ من الكَرْبِ

٣- وَتَعْرِفُ بالأبْطالِ وَقْعَ سُيُوفِهِمْ وآثارَهَا مِنْ مُندِباتٍ وَمن خَدْبِ

وهى تفسح المكان الضيق ، وهى تعرف من آثار ما تتركه من ضرب وندب ، وهى كالمعاقل يحتمى بها، إن هذه المعانى التى يلصقها الشاعر بالسيوف يجعلنا نتأمل خصوصية هذه الآدلة لدى الإنسان العربى القديم ، إنها تمثل لديه – فى عالم تحكمه القوة – الفرج والخروج من الكرب ، إنها تمثل السيادة والقوة ، إنها فى نهاية الأمر تعادل الاطمئنان فى البقاء والحياة ، فالإنسان فى هذه الفترة الزمنية ، بلا سيف معدوم ذليل، والسيف

---

١- ٢ / ٥١ . يقول إنك فى الحرب تنقض كالسيف ن وما يلم به السيف وينحنى له ، فإنه يقطع ويبير.

٢- ١ / ٩٢ .

٣- ١ / ٩٢ .

٤- ١ / ١٣٢ . ١- يمتدحه بأبى العاص ويقول إن سيوفهم هى كالحصون فى الحماية والتمكين للأمان.

٢- الكرب : الحزن. يقول إنهم حين تلم بهم المكاره يتصدون لها بسيوفهم.

٣- المندبات : ما بقى من آثار الجروح . الخدب : قطع اللحم . يقول إن سيوفهم تعرف فى الناس من الندوب التى تخلفها فيهم ومن اللحم المقتطع منهم.

إسلام لمن كفرا (١) والمخازيم الأشواك بعض النباتات (٢) والحسان المهند علاج يشفى به (٣) ، وأعناق الابل كالسيوف المشرفية (٤) ، والصوام وما تخلفه من آثار لشعره المهاجى ، وما يتركه من مخازى وآلام :

كَأَنَ مَوَاقِعَ الآثارِ مِنْهَا مَوَاقِعُ مِنْ صَوَارِمَ ذاتِ أُثْرِ (٥)

وأوم العشاق سيف قاطع تعبيرا عن أثر البين بين الأحبة (٦) ويستخدم الفرزدق " الرماح " استخداما واسعا فى الديوان ، إما بلفظها أو بمرادفاتها ، " فالعوالى " قرى الأعداء يسيل منها السم كما يسيل الدم :

وكنَّا إذَا ما اسْتَكرَهَ الضَيْفُ بالقِرَى أَثْتهُ العَوالِى وَهْىَ بالسُّمِ تَرْعَفُ (٧)

والموت رماح تسوقها الأكف تسيل دما (٨) ، " والأسل الجرار كناية عن الحرب والتقتيل (٩) " والأسنة الصلب " لخدود الابل (١٠) ، والرماح غواشم تضرب بلا هداية (١١) ، " والردينيات " فى لمعناها وتوقدها كالمصباح فى تركيبها المحكم (١٢)

---

١- ١ / ٥٥٧ .

٢- ٢ / ٣٦٠ والمخازيم : السيوف القاطعة .

٣- ١ / ٢٤٣ .

٤- ١ / ٢٤٣ ، ٢ / ٥١ .

٥- ١ / ٥٤٩ . الصوارم : السيوف. ذات أثر : أى أنها تخلف جراحاً وندوباً

٦- ٢ / ٦٤ والأوم : الظمأ

٧- ٢ / ١٢٣. استكره : أى أن نقربه كرهاً أى أن نحاربه.

٨- الديون ٢ / ٣١٩ .

٩- ١ / ٥٧٢ وهى الرماح المصابة بحر الظمأ للدماء .

١٠- ٢ / ٣٣٥ .

١١- ٢ / ٥٦٩ .

١٢- ٢ / ٥٦٩ .

وعبد الله بن أبى عمرة الشيبانى رمح اللواء :

وأَنْتَ امْرُؤٌ للصُّلْبِ مِنْ مُرّةَ التى لَهَا مِن بَنى شَيْبَانَ رُمْحُ لِوائِهَا (١)

والأسنة رماح تقضى بين المارقين المتمردين :

لَيَنْظُرْنَ ما تَقضى الأسِنّةُ بَيْنَهـــمْ وكُلُّ حُسامٍ غِمدُهُ قَدْ تَسَعْسَعَا (٢)

والنيازك يفقأ بها عينى"مالك بن مسمع(٣) ، واتخذ الرماح المتكسرة لأولاده(٤) و " السهام " من بين الأدوات الحربية التى يتخذها الفرزدق مصدرا للتصوير ، فسهم الدهر أصوب سهم رام :

رَمَتْنِـــى بالّثمَانـــــينَ اللّيَـــالى وَسَهْمُ الدّهْرِ أصْوَبُ سَهْمِ رَامى (٥)

والمنون لها سهام صائبة :

حَوادِثُ مِنْ رِيْبِ المَنونِ أصَبْنَنى فَصَارَ عَلى الأخْيَارِ مِنّا سِهَامُهَا (٦)

والسهام لشعره الهاجى :

رَجَوْا أنْ يَرُدّوا عَنْ جَرِير بدرْعه نَوَافِذَ مَا أرْمى ، ومَا أنَا قَائِلُه (٧)

وعيون الحبيبة لها سهام نافذات(٨)وبجانب السيوف والرماح والسهام استخدام

---

١- ١ / ١٩ . الصّلب : النسل. مرة : هم بنى شيبان قوم الشاعر الممدوح. يقول إنه من بنى مرة وهو الأقوى بين الشيبانيين وكأنهم هم الرماح.

٢- ٢ / ٣٨ . تسعسع : رث وفنى. الأسنة : الرماح.

٣- ٢ / ١٦٩ .

٤- ٢ / ٦٢٤.

٥- ٢ / ٥٣١ . يقول إن الدهر جعله يطعن فى السن ويضعف وقد بلغ الثمانين وسهم الدهر يصيب ولا ينبو قط.

٦- ٢ / ٤٥١ . يقول إنه بكى وتأرق مما ألم بخيار الناس ، ومن موت الذى أصابتهم سهامه.

٧- ٢ / ٣٤٣ . النوافذ : السهام وهنا الهجاء.

٨- ٢ / ١٨٣ .

"القنا " ، " النبل " ، " الدروع " (١) .

**(ب) المعادن والأشياء الثمينة :**

ومن الأشياء الثمينة " الجمان " اللؤلؤ ، واستخدمها للدموع تنهمر على خديه :

إذا ذَكَرَتْهُ العَيْنُ يَوْماً تَحَدّرَتْ عَلى الخَدّ أمْثَالَ الجُمانِ المُفَّردِ (٢)

ويستخدم القلائد لشعره :

لَقَدْ قَلّـــدتُ جلفَ بَنى كُلَيْبٍ قَلائِدَ فى السّوالِفِ بَاقِيَـــاتِ (٣)

قَلائدَ لَيْسَ من ذَهَبٍ وَلكِنْ مَوَاسِمَ مِنْ جَهَنّمَ مُنضِـــجاتِ

والذهب لقصائده :

كأنّهَا الذّهَبُ العِقْيَانُ حَبرَهَا لسانُ أشعَرِ أهلِ الأرْضِ شَيطانَا (٤)

واتجاه الفرزدق لمثل هذه الصور التى يتخذ فيها هذه الأشياء الثمينة ، إنما هـــو حاجـــة الإنسان ورغبته فى خلود بعض مراداته،والرغبة فى اقتنائها،واسقاط القيمة عليها،فشعره قلائد باقيات ، كما يبقى ولا ينمحى وسم " المسيم " ، والـــدموع " درر " فى لمعناهـــا وقيمتها بقيمة ما تزرف عليه (٥)

---

١– طالع المسرد فى الملحق .

٢– ١ / ٢٣١ ، ١ / ٥٥٩ . الجمان : اللؤلؤ. يقول إن دموعه تنهمر على خديه كاللؤلؤ.

٣– ١ / ١٨١ . – الجلف : الرجل الغليظ وهنا جرير. يقول إنه نظم فى جرير قصائد دمغته دمغاً على صـــفحتى وجهه.

– المواسم : جمع الميسم : ما يوسم به وهى حديدة تُحْدث مثل الكى وتخلف الندوب . يقول إنما عقود ليست من الذهب بل من الشعر الذى يسم من يطلق عليه ويخلف فيه وسماً لا يمحى.

٤– ٢ / ٦٠٠ ، ١ /١٩٩ . . يقرنها بالذهب وقد نظمها شاعر شيطانه الذى يوحى له وهو أشعر أهـــل الأرض وهو إنما يمتدح نفسه بشعره.

٥– الديوان ١ / ٣١٨ .

ومن المعادن ، استخدامه " الدينار " لوجه الحبيبة جمالا ودورانا :

تَسُوفُ خُزَامَى المِيثِ كلَّ عَشيّةٍ ، بِأزْهَرَ كَالدّينارِ حُوٍّ مَكَاحِلُهْ (١)

وأولاده " مال " لا يبيعه (٢)

**(ج) جو البيت :**

ومن البيت استلهم الفرزدق مصادر للتصوير ، وأول ما يطالعنا استخدامه " البيت " المحكم البناء والدعائم الراسخة لمجد قومه وتاريخهم كما فى قصيدته المشهورة :

١- إنّ الّذى سَمَكَ السّمَاءَ بَنى لَنَا بَيْتاً ، دَعَائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ (٣)

٢- بَيْتاً بَنَاهُ لنَا المَليكُ وَمَا بَنى حَكَمُ السّمَاء فانّهُ لا يُنْقَلُ

٣- بَيْتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِه ، وَمُجاشِعٌ وأبُو الفَوَارسِ نَهْشَلُ

٤- يَلِجُونَ بَيتَ مُجاشعٍ،وَإذا احتبوْا بَرَزُوا كَأنّهُمُ الجِبَالُ المُثّلُ

وقوله هاجيا :

تَرَى كُلّ بَيْتٍ تَابِعاً لِبُيُوتِنَا

إذَا ضُرِبَتْ بالأبْطَحَينِ يَوْماً ضِرَابُهَا (٤)

---

١- ٢ / ١٩٩ . تسوف : تشتم . الميث : الأرض السهلة اللينة. أزهر كالدينار : الوجه. الحو : السود. المكاحل : العيون. يقول إنها تشتم الخزامى بوجهها المنير الأسود العينين.

٢- ٢ / ٦٢٤ .

٣- ٢ / ٣١٨ . ١- يقول إن الله ابتنى بيتاً هو الأرفع والأشمخ.

٢ - يقول إن الله بناه وهو لا ينقض.

٣- زرارة : هو جاجب بن زرارة. مجاشع ونهشل : من أجداد الفرزدق.

٤- المثل : الشاخصة.

٤- ١ / ١٠٩ ، ٢ / ٣٥٧ . الأبطحين : أبطح مكة وأبطح معنى. يقول إن كل بيت هو دون بيتهم. فالناس تابعون لهم ، وأن لهم القباب العالية فى الأبطحين.

ولنا أن نتصور بيتا بناه الله ووهبه للآل الفرزدق ، إنه بيت لا يقاربه ولا يشابهه آخر إنه يقول الشاعر فى البيت الثانى لا ينقل ولا يهدم ، وعلى ذلك يكوت هذا المجد الذى يتغنى به الشاعر ذا جذور ممتدة لا يتزعزع ، وتكرار اللفظ " البيت " بهذه الصورة دال على مدى تغنى الشاعر وتفاخره بالتاريخ وهذا المجد ، مقابل بيت قليل الشأن لجرير وقومه ، وقد لا حظنا أن استخدامه " للبيت " فى لفظه العام كان مقصورا على المجد والسيادة فى إطار مفاخرتع وعشيرته ، كما قد يستخدمه فى إطار مدحه للممدوح (١)

ويستخدم " القبة " للمجد أيضا لا تطال ولا تبز (٢) و " الأطناب " وكربة العماد لجرير وقومه استهزاء واحتقار (٣) ومن الثياب يستخدم " المسند " للصبح زركشة وجمالا :

نَزَلَتْ بمُلْقِية الجِرَانِ وهَاجِدٍ ، والصّبْحُ مُنْصَدعٌ كَلَوْنِ المُسْنَدِ (٤)

والذل كالثياب يرتديها بنو كليب :

كُلَيْبُ لِئامُ النّاسِ لا يُنكِرُونَهُ عليهِمْ ثِيابُ الذّلَ من كلّ مَقعَدٍ (٥)

ولنا أن نتخيل ك هذا الخزى والعار الذى يحل على من يلبس ثيابا من الذل مفصل عليه تفصيلا ، إنه فعل الخيال الابداعى الذى يجمع بين الاشياء لا قبل بالتقائها واجتماعها إلا فى ميدان النص الشعرى ، إن الشاعر يريد أن يجسم الذل فيحل المنفلت المتخيل الى الصلب الجامد المجسم رغبة فى البقاء والدوام والمثول أمام الأعين ، كما اتخذ

---

١- ١ / ٤٤٥ ، ٢ / ٤٦ ، ١٢٦ ،، ٣٤٠ ، ١ / ٩١ ، ١ / ٥٤٦ ، ٥٣٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٨٧ ، ٢- ١ / ٢٥٥ .

٣- ١ / ٢٤٢ الأطناب المكربة : أى ذات الأعمدة القصيرة .

٤- الديوان ١ / ٢٣٤ المسند ، ملقية الجران : ملقية عنها على الارض إعياء ، المهاجد .

٥- ١ / ٢٧٩. يهجو الكليبيين ويقول إنهم لؤماء وهم يرتدون الذل كالثياب.

الفرزدق الثوب للؤم تسربله جرير فى بطن أمه ([1]) ، كما اتخذ " الطيلسان " المسجد للصبح فى بداية تنفسه ([2]) كما اتخذه لليل ([3]) ، والرويزى لليل أيضا ([4]) ، وثياب الملك فى آل دارم يتوارثونه ([5]) ، ثياب القيسيين تصيح ويعلو صياحها كالتسبيح من لؤم جلودهم :

إذا لَبِسَتْ قَيْسٌ ثِياباً سَمِعْتَهَا تُسَبِّحُ مِنْ لُؤمِ الجُلُودِ ثِيابُهَا ([6])

والى جانب ما سبق نراه يستخدم " الخواتيم " لآذان الإبل تبدو فى الماء ([7]) "والبيذق " لجرير ([8]) " والدمى " للبيض من النساء ([9]) و " الكحل " لبقايا الرماد حول"القدور" ([10]) ، وسير الليل كحل للأعين دلالة على السهر ومقاومة النعاس ([11]) ويتخدم " القدور " للحرب ([12]) ، وهى تغضب فتستعر وتغلى ([13]) ، كما يتخذ من

---

١- ٢ / ٣٤٠ .
٢- ١ / ٢٣٠ .
٣- ١ / ١٩٨ .
٤- ١ / ٥٢٢ .
٥- ٢ / ١٦٢ .
٦- ١ / ١٠٩ . يقول إن ثياب القيسيين تصيح ويعلو صياحها كالتسبيح من لؤم جلود القيسيين الذين يرتدونها.
٧- ٢ / ٣٦٣ .
٨- ٢ / ١٦٣ ، البيذق : لعبة من الحجارة .
٩- ٢ / ١٠٠٤ .النقائض
١٠- ١ / ٢٩٣ .
١١- ٢ / ٢٧٥ .
١٢- ١ / ٣٤ .
١٣- ٦٣٨ .

البيت " الشراجع " لنياقة الهزيلة التى بدت كالميت على سريره (١) ، وقوم جرير يباعون فى الأسواق بيع الجلابيب (٢) " والغراء " كناية عن النعيم والرفاهية (٣)

وأخيرا تأتى " الورائح " ويستلهم منها الفرزدق لبناء صور فنية ، وكان " حظ المسك " أوفر فى الاستخدام عن غيره ، فنراه يتخذ المسك لنفس الحبيبة وهى صور تقليدية يقول الفرزدق راسما إياها بالكلمات :

لَهَا نَفَسٌ بَعدَ الكرَى من رُقادِهَا كَأنّ فُغَامَ المِسْكِ باللّيْل شامِلُهْ (٤)

ورائحة الحبيبة ذكى مسوف (٥) ، وريح جلود بنى دارم – قوم الفرزدق كالمسك فى حين تكون ريح البهاليين خبيثة :

– لأُرشُفَ رِيحاً لَمْ تَكُنْ بَاهليَّةً وَلَكِنّهَا رِيحُ الكِرَامِ الأطَايِب (٦)

– بَنُو دارِمٍ كالمِسْكِ ريحُ جُلُودِهِمْ إذا خَبُثَتْ رِيحُ العَبيدِ الأشَايِبِ

والصبهاء كالمسك ريحها (٧) ، والذكرى " عنبر " بحث بينه وبين طيف سكينه زوجته (٨) ، والطيب يزداد طيبا فى حبيبته (٩) ، وأولاده ريحانة قلبه :

---

١– ٢/ ٢٨ .الشراجع : سرير الميت .

٢– ١ / ١١٥.

٣– ٢ / ١٩٩.

٤– ٢/ ١٩٩ . الفغام : الطيب. يقول إن نفسها يبقى كالطيب وإن نامت وقامت.

٥– ٢ / ١٦٦ ، الذكى المسوف : المسك المشمم .

٦– ١/ ١١٤. – يقول إنها تشتم منه ريح الكرام الطيبة من دون ريح الباهليين النتنة.

– يكرر المعنى ويقول إن جلود الدارميين قوم الفرزدق هى طيبة كالمسك ، وأما ريح الباهليين ، فإنها خبيثة مثل ريح العبيد الهرميين.

٧– الديوان ٢ / ٦٣٩ .

٨– ٢ / ٤٤٥ .

٩– ٢/ ١٨٤ .

وَلكنّهم رَيْحَانُ قَلبى ورَحمَةٌ  مِنَ اللهِ أعطاهَا مَليكُ العَواقِبِ (١)

**المصادر الثقافية :**

يؤكد أستاذنا الدكتور / محمد مصطفى هدارة على الدور الذى تلعبه شخصية المنشئ فى عملية الابداع فى العمل الفنى ، بل إن عناصر هذا الابداع تخضع لهذه الشخصية المبدعة خضوعا تاما (٢) ، وعلى ذلك تصبح عملية الابداع الفنى " ليست فى الواقع عملية مفاجئة بالنسبة للشاعر ، بل إنه يكون مستعدا لها نفسيا بطريقة شعورية أو لا شعورية ، وأن المادة التى يجرى الألهام بها قلمه هى نتاج قراءته القديمة وتأملاته (٣) . وهو يؤكد تواصل الابداع بمعناه العام ، وأنه لم يولد عمل " ابداعى دون أن يكون له روافد وينابيع تساعد على مولده ووجوده ، وعلى ذلك تصبح هذه المؤثرات التى تسقط فى محيط المبدع لها أثر واضح فى تشكيله ، ويكون فهم العمل الابداعى وقراءته قراءة مبدعة رهنا بوقوفنا واحاطتنا بحياة الشاعر نفسه بكل ما يتصل بها، وهذا ليس أمرا مطلوبا لذاته ، إنما هى وسائل تعينه على فهم النص فهما سليما (٤)

وعلى ذلك تعد المصادر الثقافية أمرا مهما فى الوقوف على المثل التى يتغياها الشاعر فى استلهامه للأعلام والتاريخ بأحداثه ، وخاصة فى النقائض التى يسهم الوقوف على مقرؤ الشاعر بسهم كبير فى فهم هذا الديوان العظيم ، فهى عبارة " عن ديوان

---

١– ١ / ٥٠. العواقب : جمع العاقبة : الآخرة. إنه يؤثر أبناءه وكأنهم ريحانة قلبه وزهرته الطيبة وإن الله منّ عليه بهم ، وهو يملك الأمور.

٢– محمد مصطفى هدارة : مشكلة السرقات فى النقد الأدبى – مطبعة لجنة البيان العربى – القاهرة ١٩٦٤ م . ص ٢٩٥ .

٣– د.بدوي طبانه :مقالات فى النقد الأدبى – دار القلم ١٩٦٤ م ، ص٤٢ .

٤– نفسه ، ص ٢٩.

الأيام العرب ووقائعهم وأخبارهم فى الجاهلية والاسلام ، وهى مليئة بإشارات تاريخية يصعب فهم القصيدة دون دراسة تفصيلية لهذه الاشارات (١) ، لذا وجدنا أبا عبيدة يقدم لنا شرحا وافيا مستفيضا لهذه المصادر التى استقاها كل من الفرزدق وجرير .

**وتتمثل المصادر الثقافية التى استلهم منها الفرزدق فى مصدرين أساسين :**

**الأولى : التاريخ فى أيام العرب ووقائعهم .**

**الثانية : الدين**

**ومصدر ثالث لم يتمثل المصدران السابقان ، وهو الأدب " شعرا ونثرا " بإعلامها**

**أم الأول : الدين :**

إن أصداء الجاهلية فى شعر الفرزدق ، وما ألفيناه فى نقائضه – خاصة من استهتار بالقيم ، لا ينفى أنه شاعر إسلامى يفيض إنتاجه الشعرى بصوت الإسلام وتعاليه وآدابه ، وهذا ما لاحظه شوقى ضيف حين يقول " فالشعر لأموى كتب فى ظلال نفسية جديدة آمنت بربها ، واستشعرت حياة تقية صالحة ، فيها نسك وعبادة وفيها تقوى وزهد ، وليس معنى ذلك أن كل الشعراء ناسكين زاهدين ، وإنما معناه أن الحياة الروحية الجديدة ، لم تنفصل عن حياتهم الفنية ، بل أثرت فى كثير من جوانبها وطورتها ، وظهر هذا التطور فى صور مختلفة ، ويكفى أن تتصفح ديوان شاعر الفرزدق الذى اشتهر بفسقه واستهتاره لتعرف أنه لم ينفصل من الإسلام وأنه تأثر به " (٢) .

ويرى بروكلمان رأيا مناقضا للرأى السابق حين يقول " وأسفاره لا تدل حقا على طيشه ونزقه فحسب ، بل كذلك على ضعف دينه واستخفافه بالمقدسات ولا

---

١– محمد مصطفى هدارة : الشعر العربى فى القرن الأول الهجرى – دار العلوم العربية ، بيروت – لبنان ص ١٩٦

٢– التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، ص ٦٢ .

يستثنى من ذلك ما احتفظ به من الوفاء لعلى وآل بيته " ، ويفسر محمد كريم أحمد ثنائية الجهل والإلام فى ديوان الفرزدق بأنه الصراع بين عنصرى الخير والشر الكامنين والذين اتضحا فى شعره خير وضوح (١) ، والحقيقة أبعد من ذلك تماما ، وليست لها صلة بهذا الصراع إنما الأمر بالنسبة لهذا الجانب المنفر فى ديوان الشاعر لم يكن تجاهلا منه بالإسلام وبتعاليمه ، وإنما كان يتفاضى على ذلك فى سبيل الرد على خصومه ، ولم تكن هذه الصور فى الحقيقة إلا مساجلات يتسامر بها القوم ، كما يقول عبد القادر القط " والناظر فى أمر هذه الصور الفاحشة يدرك أن المتناقضين ولم يتلقون شعرهم لم يكن يأخذون الأمر ما اخذ الجد وإلا كان أقل كافيا لإراقة الدماء ، بل كان الأنر يبدو كأنه " مباراة شعبية " (٢) . وليست دراستنا قائمة على تتبع مظاهر التأثر بالإسلام وإنما ما استلهمه الشاعر واتخذه مصدرا للتصوير مضفيا على المنقول إليه خصائص وسمات المصدر المأخوذ ، مما يزيد إيحاء الصورة وتأثيرها .

**ويمكننا الوقوف على المصادر التى استقاها الفرزدق من جو الدين من خلال :**

**أ- إعلام القصص الدينى .**

**ب- الأحداث الدينية .**

أما عن أعلام القصص القرآنى ، فه كثيرة ومتنوعة ، وقد استغلها الفرزدق لتأكيد ونماء دلالته المطروحة وتوثيقها من ناحية أخرى ، ومن هذه الأعلام " يونس " عليه السلام ، وقد أتخذه بمعاناته ، ثم التفريج عنه لعمر بن هبيرة ، قد فرج عنه بعد أن

---

١- تاريخ الأدب العربى ، نقله الى العربية : عبد الحليم النجار ، ط٤ ، دار المعارف ١ / ٢١٠ وما بعدها ١٩٧٧ .

٢- شعر الفرزدق بين أصدقاء الجاهلية وصوت الإسلام – مطبعة الأمانة – القاهرة – ١٩٨٨ م ، ص ١٢٦ .

سجنه خالد بن عبد الله القسرى ، يقول الفرزدق :

دعوت الذى ناداه يونس بعدما ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا (١)

ويتخذ " نوحا " عليه السلام ونجاته ، تعريضا لذاته حين فر هاربا من البصر من بطش زياد بن أبيه الى المدينه وعليها سعيد بن العاص :

١- حَلَفْتُ بِمَنْ أتَى كَنَفَىْ حِـرَاءٍ وَمَنْ وَافَـى بِحُجّتِه إلا لا (٢)
٢- وَمَنْ سَمَكَ السّماءَ لَهُ فَقَامَتْ وَسَخّر لابنِ دَاودَ الشَّمَالاَ
٣- وَمَنْ نَجّى مِنَ الغَمَرَاتِ نُوحاً وأرْسَى فى مَوَاضِعِهَا الجِبَالاَ
٤- لَئنْ عَافَيْتَنى ونَظَرْتَ حِلْمـى لأعْتَتِنَنْ إنِ الحَـدَثَانُ آلا

إن الشاعر يقسم لسعيد بن العاص إن منحه الأمان والإطمئنان لن يفعل إلا مايراه ، ويتخذ الشاعر فى سبيل ذلك علمين من أعلام القصص القرآنى ، وأولهما : داوود عليه السلام الذى سخر له كل شئ ، فملك القوة ، ولايخفى ما للشاعر من أمانى ورغبة فى امتلاط مصادر القوة ، أما الآخر : فهو نوح عليه السلام ونجاته من الفرق ، وهو تعريض بحالته ، ومراده فى النجاه والفوز بالاطمئنان والبقاء .

كما يتخذ من " سلميان " و " داوود " خصوصية القوة والسلطان والهيمنة ليزيد بن عبد الملك :

بَنَيْتَ الذى أحْيَا سُلَيمَانَ وابنَهُ وَدَاوُدَ والجِنّ الذى كانَ سَخّرَا (٣)

---

١- فى الشعر الإسلامى والأموى – مكتبة الشباب – القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٣٥٢ .

٢- الديوان ٢ / ١٨٧ ، ١٨٨ . ١- حراء : جبل فى مكة. الألأل. جمع الإل : جب الرمل.

٢- أى أن الله الذى سمك السماء وسخر ريح الشمال لسليمان بن داود.

٣- يقسم بالله من نجى نوحاً فى سفينته.

٤- اعتتن : دفع دفعا شديداً . آل : رجع.

٣- ١ / ٥٦٣ . يشير فى " بنيت " الى الجسر الذى ابتناه . يقول إنه بلغ ما بلغ النبى داود وابنه سليمان الذى كان قد سخر الجن.

ويتخذ " لقمان " بقوة صوته – هكذا يقول – ينادى جريرا فلم يسمع من تأثير مساورة الفرزدق وسرعة إنقضاضه عليه (١) كما يتخذ السامرى بسؤ مآله لجرير (٢) كما يتخذ لقمان ( لقمان بن عاد ) يعجز عن مساورة أمواج بحره المزيدة " لجرير " (٣) ويتخذ من أعلام القصص القرآنى " ابن نوح " حينما عصى أباه وتوهم أن الجبل يعصمه من الوت ، يتخذ هذه الصورة من الحجاج ابن يوسف الثقفى (٤) الذى تمرد على سليمان بن عبد الملك وتوهم أنه قادر على النجاه :

– فَلَمّا عَتَا الجحّادُ حِينَ طَغَى بِهِ غِنًى قالَ : إنى مُرْتَقٍ فى السَلالِمِ (٥)

– فَكَانَ كَما قالَ ابنُ نُوحٍ سَأرْتَقِى إلى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ المَاءِ عاصِمِ

ويتخذ سيدنا محمد ( صلى الله عليه وسلم ) بما أجره على البشرية من أثر حميد وارتقاء بالإنسانية ، بعد فسادها وانحطاطها ، ويتخذ ذلك لسليمان بن عبد الله بما حل على يديه من أمن ورحمة :

– جُعِلْتَ لأهْلِ الأرْضِ أمْناً ورَحمةً وَبُرءاً لآثارِ القُرُوحِ الكَوَالِمِ (٦)

– كمَا بَعَثَ اللهُ النَبِىَّ مُحَمَداً عَلى فَتْرَةٍ ، والنّاسُ مِثْلُ البَهائِمِ

---

١– ٢ / ٤٨ .

٢– ١ / ٥٨٢ .

٣– ١ / ١٧٠ .

٤– النقائض ١ / ٣٤٨ .

٥– الديوان ٢ / ٥٦١ . – يقول إنه أثرى وتوهم أنه قادر أن يخلع الخليفة ويقوم مقامه.

– يقول إنه كان يريد أن يرتقى إلى مكان يعصمه كما ارتقى نوح سفينة الماء.

٦– ٢/ ٥٦٠ . – يقول إنه أبرأ الناس من جراحهم ونكباتهم.

– يقول إنه أرسل للمسلمين لينقذهم من الفتن والجراح ، كما أرسل النبى لينقذ الناس وكانوا مثل البهائم.

فيلاحظ على استلهام الفرزدق لاعلا القصص القرآنى أن الشاعر أهتم أهتماما كثيرا بالقصص القرآنى ، كما استطاع توظيف هذه الاعلام بما تحمه من معان ودلالات فى ابداعية النص، وثراء دلالته مما وفر له تاثيرا نفسيا مثلما تحمل هذه الاعلام دلالات تحظى باهتمام وتأثير كبيرين .

**(ب) الأحداث الدينية :**

بجانب الأعلام اتخذ الفرزدق ما هو من قبيل الحقائق أو الأحداث الدينية المشتركة وليست خاصة بدين معين ، وما هو خاص بدين دون آخر .

فأما ما هو عام بين الأديان " النار " فنراه يتخذ أهل النار لجرير هاجيا إياه :

– فإنّكَ مِنْ هِجَاءِ بَنِى نُمَيرٍ كَأهل النّارِ إذْ وَجَدُوا العَذابَا (١)

– رَجَوْا من حَرّها أنْ يَسْتَرِيحُوا وَقَدْ كَان الصّديدُ لَهُمْ شَرابَا

و" أهل النار " صورة مرعبة زاجرة للآثمين (٢) " والنار " تلتقى على إبليس بزقومها وضرامها (٣)" والنار " مثوى الحجاج ورفاقه (٤) " والنار " للضغائن (٥) وذكرى الحبيب كعذاب جهنم (٦) .

ومن المشترك بين الأديان ، ووفر للشاعر إمكانية التصوير " إبليس " ويرى بعض المؤرخين أن هجاء الفرزدق لإبليس وخطابه إياه لم يسبق إليه ، وأنه يعد باكورة

---

١– الديوان ١ / ١٧٠ . – يقول إنه سيلقى من هجاء النميريين عذاب النار كما فى الكتب.

– الصديد : الدم المتقيّح والماء الحار. يقول إنهم يحاولون أن ينجوا ، ولكن شرابهم هو الصديد ولا مهرب لهم منه.

٢– ٢ / ٦٦ .

٣– ٢ / ٤٠٧ وما بعدها .

٤– ٢ / ١٩٣ .

٥– ١ / ٣١٧ .

٦– ١ / ٣٠٤ .

فن الزهد فى الشعر الإسلامى(١) ، فنراه يقيم معه حوارا ويسميه " أبو الجن " إبليس :

أَطَعْتُكَ يا إبليسُ سَبْعِينَ حِجَةً فَلَمَا انْتَهَى شَيْبِى وتَمَ تَمَامِى (٢)

يُبَشِّرُنِى أنْ لَنْ أمُــوتَ وأنَّهُ سَيُخْلِــدُنى فى جَنّــةٍ وسَــــلاَمِ

ويتخذ الشيطان " لذاته " يبدع شعرا لا نظير له :

كأنّهَا الذّهَبُ العِقْيَانُ حَبرَهَا لسانُ أشعَرِ أهلِ الأرْضِ شَيطانَا (٣)

ويتخذ الشيطان لذاته يبدع الخارج على الحجاج (٤)

كما يتخذ " الجن " فى صور تعبر عن مرادات يسوقها الموقــف ، " فــالجن " تسجد رعبا من كتائب عبد الله القسرى :

وأرعَنَ جَرّارٍ ، إذَا مَا تَطَلّقَتْ كَتَائِبُهُ خَرّتْ لَهُ الجِنُّ سُجَدَا (٥)

والفرزدق وقومه كأنهم " الجن " حين الغضب :

وابنُ المَرَاغَةِ قَدْ تَحوّلَ رَاهباً ، مُتَبَرْنساً لِتَمَسْكُنٍ وَسُــؤالِ (٦)

"والصليب " كناية عن مروق وزندقة خالد بن عبد الله القســرى (٧) وديــن

---

١- بطرس البستانى : أدباء العرب ، دار مارون عبود – بيروت ، ص ٣٥٥ .

٢- ٢ / ٤٠٧ . – الحجة : السنة

– يقول إنه كان يوهمه بأنه غير مائت وأنه سينال فى هذه الدنيا الأمان والسلامة الدائمة.

٣- ٢ / ٦٠٠ يقرنها بالذهب وقد نظمها شاعر شيطانه الذى يوحىله وهو أشعر أهل الأرض وهو إنمــا يمتــدح نفسه بشعره.

٤- ٢ / ٣٨ .

٥- ١ / ٢٤٦ . يقول إنه يقود جيشاً حين تنطلق كتائبه ، فإنه يرعب الجن ويدعهم يسجدون له.

٦- ٢ / ٣٣٧ . المتبرنس : المرتدى الكاسى.

٧- اليوان ١ / ٢٧٣ .

اليهود ديانة " بلحارث بن كعب " كناية عن أنهم من أسوأ الناس (١) وبغض آل البيت كفر وإلحاد (٢) والكفر للسيوف (٣) والشرك لأيام الجاهلية (٤) ومما رجع الى الدين الإسلامى فكثير متنوع ، فالبيت والحل والحرم يعرفون زين العابدين .

هَذا الّذى تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطأتَهُ  والبَيْتُ يَعْرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ (٥)

وركن الحطيم ( حجر الكعبة ) يمسك زين العابدين لا يدعه ينأى عنه :

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ راحَتِهِ  رُكْنُ الحَطيمِ إذا ما جَاء يَسْتَلِمُ (٦)

وسليمان بن عبد الملك " قلبه " يجتمع الناس حولها :

وأنْتُمْ لِهَذا الدِّينِ كالقبْلَةِ التى  بها إنْ يَضِلَّ النّاسُ يَهدى ضَلالُهَا (٧)

ومما رجع الى الدين الإسلامى، وتكرر استخدامه صورة " المنبر " فاتخذه للخلافة تورث:

رَبِيبُ مُلُوكٍ فى مَوَارِيثَ لَمْ يَزَلْ  بِهَا مَلِكٌ إنْ ماتَ أوْرَثَ مِنْبَرا (٨)

---

١- ٢ / ٦١٨ .

٢- ٢ / ٣٥٥ .

٣- ٢ / ٥٦٧ .

٤- ١ /٤٤٥ .

٥- ٢ / ٣٥٣ . البطحاء : أرض بمكة وفيها أفضل قريش. البيت : الكعبة . الحرم : ما حول مكة ، وهو يحرم فيه قتل الطير واللاذين. الحل : ما جاوز الحرم.

٦- ٢ / ٣٥٤ .يقول إنه حين يستلم ركن الحطيم حاجاً والحطيم حجر الكعبة فإن ذلك الحجر يهم بأن يمسكه ولا يدعه ينأى عنه لأنه يعلم أنه من سلالة النبى ، وأنه يستروح به رائحة النبى.

٧- ٢ / ١٩٤ .

٨- ١ / ٥٦٢ . يقول إن خليفة يفد إثر خليفة.

وصورة " المنبر للبلاغة والفصاحة (١) كما اتخذ صورة تقبيل " الحجر الأسود " فى مكة للتراب يقبل فوق جسمان " عمر بن عبد العزيز " :

يُقَبّلُـــونَ تُرَاباً فَوْقَ أعْظُمِـــهِ كَما يُقَبَّلُ فى المَحجوجةِ الحَجَرُ (٢)

والى جانب ماتسبق وجدنا " الحطيم وزمزم " (٣) ، ومسجد الله الحرمان (٤) ، وليلـــة القدر (٥) ، والفرقان (٦) ، والفرقان والسنن (٧)

ومما أتصل بالأخلاق والمعانى الدينية وبنى عليها صورا ، " الحمد " يشترى :

ومَا زَال يَشْرِى الحَمْدَ بالمالِ والتُّقَى وذَلكَ مِمّا أرْبَحَ الَبْيعَ صاحِبُهْ (٨)

والكرم يشترى (٩) والحق واليقين والهدى لرســـالة الـــدين الإســـلامى (١٠)

ورسول الله رحمة مهداه :

إنّ الرّسُولَ قَضَاهُ اللهُ رَحْمَتَـــــهُ للنَّاسِ، والنّاسُ فى ظَلْمَاءَ دَيجُورِ (١١)

---

١- ١ / ٢٧١ ، ٣١٧ .

٢- ١ / ٣١٨ ، ٢ / ٣٣٠ . المحجوجة : مكة. الحجر : الحجر الأسود. يقول إنهم يقبلون ترابه كما يقبل الحجر الأسود فى مكة.

٣- ٢ / ٦٠٨ .

٤- ١ / ٥٩٣ .

١٥ / ٤٤١ .

٦- ٢ / ٢٢٠ .

٧- ٢/ ٦٠٤ .

٨- ١ / ١٠٧ ، ١٥٧ . يقول إن ابن برثن يشترى بماله الحمد والتقى ، وتلك تجارة رابحة. فهو يهبـــه للتـــو ولا يتأجل عليه وكان يدفع الديات عن أصحابها.

٩- ١ / ٥٤٥ .

١٠- ١ / ٥٢٥ .

١١- ١ / ٣٦٤ . يقول إن الله أرسل النبى رحمة للناس حين كان الناس فى عماوة كالليل المطبق.

" وسليمان بن عبد الملك " أمن ورحمة ([1]) وحسن الخلق والشيم زينة " زين العابدين " ([2]) و" العدل " سليمان بن عبد الملك ([3]) .

**أما الثانى ( التاريخ )**

إن اتجاه الشعراء إلى التاريخ يستلهمون منه مصادر لبناء لوحاتهم الفنية ، ينبنى على أمرين لا غنى لأحدهما عن الآخر :

**أما الأول :**

هو انتقاء الشاعر لشخصيات وأحداث يختارها اختيار يوجهه فى ذلك الموقف المعيش.

**وأما الآخر :** فهو مدى توظيفه هذه الشخصيات وهذه الأحداث بما تحمله من معادن ودلالات تثرى دلالة النص وتضفى عليها الوقار والتأثير .

ثم إن اتجاه الشاعر إلى التاريخ يحى هذه المواقف ، ليحصل فى النهاية مقابلة بين الماضى وبين الحاضر ، وهى مقابلة توليد معانى جديدة ، وإبداع فنى أخَّاذ ، هو رهن ذكاء الشاعر ومقدرته فى استبطان الأحداث، والربط بينها وبين المواقف المعيشة .

**وكان اعتماد الشاعر على التاريخ من خلال :**

**أ- أيام العرب فى الجاهلية .**

**ب- تاريخ الأمم البائدة .**

**ج- التاريخ الإسلامى .**

**أما عن أيام العرب فى الجاهلية** فأكثر ما انبى عليها من صور ألفيناها فى النقائض فى إطار مفاخرته على جرير ، وقد تناول أبو عبيدة معمر هذه الأيام بالشرح

---

١- ٢ / ٥٦٠ .

٢- ٢ / ٣٥٤ .

٣- ٢ / ١٩٤ .

والتفنيد فى كتاب " النقائض " (١) ويتضح من خلالها كم كان الفرزدق ملما بهذه الأيام، وقد له الجاحظ بذلك (٢) ، وقد ساعده ذلك فى دفع حجج جرير وجدع أنفه، ومن هذه الأيام على سبيل المثال يوم الأميل فى قوله :

وَهُمُ الذِينَ عَلى الأمِيلِ تَداركُوا نَعَماً يُشَلُّ الى الرّئيسِ وَيُعْكَلُ (٣)

وهو يوم " فك الأميل " لبنى ضبة على بنى شيبان (٤) ، وأشار الى يوم " بزاخة" وفيه أغار محرق الغسانى وأخوه فى إياد وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بنى ضبة بن أد " ببزاخة " فاستاقوا النعم ، فأتى الصريخ بنى ضبة فادركوا واقتتلوا قتالا شديدا (٥) وأشار كذلك الى يوم أعيار أو يوم " النقيقة " وفيه قتل عمارة بن زياد العبسى (٦) ، وذكر الفرزدق – بجانب ما سبق– أياما مثل يوم قتل وكيع بن حسان بن قيس بن لأبى مسعود أحد بنى غدانة بن يربوع قتيبة بن مسلم الباهلى (٧) ويوم " ابن ذى سيدان " وهو طريف بن سيدان قتله زويهر بن الحارث بن حرار يوم " غول " (٨) ويوم " فيق الريح بمذحج ، وكان لبنى نمير فيه بلاء حسن فى معركة طرفها الآخر بنو عامر وحلفاؤهم (٩) ويوم " إراب " وهو يوم أغار فيه الهزيل بن هبيرة

---

١– نشر دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان ( د. ت ) .

٢– البيان والتبين ١ / ٢٥٦ .

٣– الديوان ٢ / ٣٢٢ . الأميل . لبنى ضبة. يعكل : يجمع . النعم : الإبل والماشية.

٤– النقائض ١ / ١٩٠ .

٥– ١ / ١٩٢ .

٦– ١ / ١٩٣ .

٧– ١ / ٣٤٩ ، ١ / ٣٧٩ ، ١ / ٣٨٣ .

٨– الديوان ١ / ٣٨٧ .

٩– ١ / ٤٦٩ .

التغلبى على بنى رباح بن يربوع فقبل فيهم قتالا ذريعا وأصاب تعما كثيرا (١) ويوم الشعيبة وهو يوم الكلاب (٢)ويوم الشقيقة (٣) ويوم الشباك (٤) ويوم " النسار " (٥) ويوم " هراميت " (٦) .

**( ب ) تاريخ الأمم البائدة :**

والفرزدق كان ملما – أيضا – بتاريخ الأمم البائدة ، ومطلعها عليها اطلاعا ساعده على اسقاط أحداث ساعدت على إثراء الدلالة وعمقها ، وتنومع مآخذ الشاعر يدلنا على أنه يركز حدث دون آخر ، إلا أننا لاحظنا أنه وقف على أحداث ناسبت الموقف المعيش .

فنراه يتخذ من ناقة صالح ( عليه السلام ) وما حدث لقومه من هلاك لقتلهم إياها لرسل الخليفة قد قست قلوبهم :

١– فَغَدَتْ علَيْنَا فى مَنَازِلنَا رُسُلُ العَذَابِ برَغْوَةِ البَكْرِ (٧)

٢– أشْقَى ثَمُودَ حِينَ وَلّهَهُ عَنْ أُمّهِ المَشْؤومُ بالعَقْرِ

---

١– ١ / ٤٧٣ .

٢– ١ / ٢٩٢ .

٣– ١ / ٢٣٣ .

٤– ٢ / ٩١٨ .

٥– ٢ / ٧٩٠ .

٦– ٢ / ٩١٦ .

٧– ١ / ٤٣٥ . ١– رغوة البكر : أى بكر ناقة صالح إذا رغا على قوم ثمود فأهلكوا.

٢– أشقى ثود : هو الذى عقر الناقة. العقر : الذبح. يقول إنه نزل الشقاء فى بنى ثمود من عقر الناقة وكان مشؤوماً.

٣– الموثف : أى القدر المموضوعة على الأثافى ، أى الموقد. يقول إنه لما رغا عليهم ماتوا وهمدوا وكأنهم رماد تحت القدر فى موقدها.

٣- لَمّا رَغَا هَمَدُوا كَأَنّهُمُ هَــابى رَمَادٍ مُؤَثَّفِ القِدــْرِ

كما يتخذ الناقة أيضا حلت على القوم هلاكا ودمارا " لجرير " يجــر لقومــه المــوت والمخازى (١) ، ويتخذ حادث الفيل وما حل على أصحابه من هزيمة ونكــال حــين أقدموا على هدم الكعبة ، فالشاعر يستلهم هذا النصر العظيم ليسقطه على " ســلميان بن عبد الملك " :

- جُنُوداً تَسُوقُ الفِيلَ حَتى أعَادَهَا هَباءً وَكانوا مُطْرَخِمّى الطَّرَاخِمِ (٢)
- نُصِرْتَ كَنَصْرِ البْيتِ إذْ ساقَ فيلَه إلَيه عَظيمُ المُشركينَ الأعاجِــمِ

والفرزدق حين يتخذ هذه الحادثة مصدرا لتصوير انتصار " سليمان بن عبــد الملــك " على المارق الحجاج بن يوسف (٣) إنما يخلع على معانيه دلالات جديدة نتيجــة هــذا التحاور بين الحدث الذى يتناوله الشاعر وبين ما يختاره من أحداث تاريخيــة ، وبهــذا الصنيع يخلع الفرزدق على نصر سليمان بن عبد الملك مشروعية وقدسية مثلما يكــون نصر الله للكعبة ، ويكون العفل من لدن آخر دنسا مثلما كان فعل أصحاب الفيل، إن الشاعر يوفر لدلالته الحجج والبراهين التى ستقطب المتلقى استقطابا يحيى النصر فى ذهنه ويحيى الحدث التاريخى فى نفس الوقت، ويتخذ من " يأجوج ومأجوج وسدهم " صورة لجسر خالد بن عبد الله القسرى (٤) ويذكر عاد (٥) ، ويومى " قيس " يوم ذى نجــب

---

١- ١ / ٥٧٤ .

٢- ٢ / ٥٦١ . – المطرخمون : المتكبرون. يقول إن أصحاب الفيل هموا بالكعبة ، ولكن الله أبادهم فعادوا هبــاءً منثوراً وكانوا عتاة متكبرين.

– يقول إنك نصرت كما انصر البيت الحرام حين هاجمه صاحب الفيل وهو كبير الملحدين الأعاجم.

٣- النقائض ١ / ٣٤٨ .

٤- الديوان ١ / ٥٦٣ .

٥- ١ / ٥٦٣ .

ويوم " الوتدات " بأيام عاد وثمود المنحسة المهلكة (١) واعتصام عاد بالبيوت ذات الأحجار القوية لأبى الأشبال " اسد بن عبد الله " يعتصم بالجبال قوة ورهبة ومنعة (٢)

**( ج ) التاريخ الإسلامى :**

ومما انبنى على التاريخ الإسلامى ، وليس هذا بغريب فالشاعر عايش بعضا من هذه الأحداث، فيذكر أيام بدر (٣) وسيف سليمان بن عبد الملك به ضرب الله الذين تحزبوا يوم بدر :

بِهِ ضَرَبَ اللهُ الّذينَ تَحَزَّبُوا  بِبَدْرٍ عَلى أعْنَاقِهِمْ والمَعَاصِمِ (٤)

فتأمل نبل الغاية والهدف الذى يسعى إليها الممدوح ، ولم نحصل على هذه الدلالة الجديدة إلا من خلال هذا الاسقاط الذى صنعه الشاعر، وقَتَلَةُ عثمانَ " رضى الله عنه " بجرم فعلهم وسؤ ما أقدموا عليه ، لم ينالوا غايتهم ولم يفلحوا فى النجاة من جريرتهم :

إنّ الذينَ عَلى ابنِ عَفّانٍ بَغَوْا  لَمْ يَحْقُنُوهَا فى السّقاءِ الأوْفَرِ (٥)

ويذكر موقعة الجمل وبلاء قومه فيها :

وَعَشِيّةَ الجَمَلِ المُجَلَّلِ ضَارَبُوا  ضَرْباً شُؤونُ فَرَاشِهِ تَتَزَيّلُ (٦)

---

١- ٢ / ٥٦٤ .

٢- ٢ / ٦٠١، وطالع ٢ / ٣٦ .

٣- ١ / ٥٦٧ .

٤- ٢ / ٥٦٥. يقول إن سيفهم الذى قاتلوا به قتيبة كان قد قاتل مع النبى فى موقعة بدر ، ونفذت به إرادة الله فى المشركين.

٥- ١ / ٥٤٧ . يذكر مقتل عثمان بن عفان ويقول إن الذين بغو بقتله لم يملأوا اللبن فى الوعاء الأوسع أى إنهم لم ينالوا غايتهم ولم يفلحوا فى النجاة من جريرتهم.

٦- ٢ / ٣٢٢. سقول إنهم حاربوا فى موقعة الجمل ومن ألأموا به طارت شؤون عظامه وزالت.

**ثالثا : الأدب العربى :**

**يتمثل استلهام الفرزدق للأدب العربى فى بلك الأعلام التى اهتم بها ، ورددها متمثلا من كل مثلاً يضفيها على الموقف الذى ينشده ، وكان اضطلاعه على شعر السابقين معينة الذى استقى منه ، فالجاحظ يصفه بأنه رواية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم (١) ، ويصفه ابن قتيبة بأنه خير رولية لإمرئ القيس (٢) أما ابن رشيق فيقول إن الاخبارين يرون أنه رواية لشعر الخطيئة (٣) ، وهذا يدل على مدى اطلاعه على دوواوين الشعراء السابقين عليه ، فنرى الفرزدق بأبى عمر بن العلاء ، ذلك الرجل العالم بكلام العرب وبغريبه ، ولا تختفى دلالة الإعجاب بمثل هذه الشخصية من شغف الشاعر بالسيادة فى ميدان الابدا الشعرى ، وتمثله لمثل هذه الشخصيات ، فنراه يقول :**

**وما زالتُ أَفْتَحُ أبواباً وأغْلِقُهَا حتَى أتيتُ أبا عمرو بن عَصَار (٤)**

**وفى قصدية التى يفتخر بها والتى مطلعها :**

**إنّ الّذى سَمَكَ السّمَاءَ بَنى لَنَا بَيْتاً ، دَعَائِمُهُ أعَزُّ وأْطـــوَلُ (٥)**

**يطلعنا على أعلام الشعر والفحول منه ، مما يشير إلى فحوله الفرزدق وسعه اطلاعه :**

---

١- البيان والتبين ١ / ٢٥٦ .

٢- الشعر والشعراء ، تح / أحمد محمد شاكر – دار أحياء الكتب – الحلبى ، القاهرة ١٢٦٤ هـ ١ / ١ .

٣- العمدة فى صناعة الشعر ونقده ، تح / محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٧٢ م ، ١ / ١٩٧ .

٤- السير فى : أخبار البصريين ، تح / كرنكو، بيروت ١٩٣٦ م ، ص ٢٨ .

٥- الديوان ٢ / ٣١٨ . يقول إن الله ابتنى لهم بيتاً هو الأرفع والأشمخ.

١- وَهَبَ القَصَائِدَ لى النّوَابغُ إذْ مَضَوْا  وأَبُو يَزيدَ وذَو القُرُوحِ وَجَرْوَلُ (١)
٢- والفَحْلُ عَلْقَمَةُ الذى كانَتْ لَهُ  حُلَلُ المُلُوكِ كَلامُهُ لا يُنْحَــلُ
٣- وأخُو بَنى قَيْسٍ، وَهُــنّ قَتَلْنَهُ،  وَمُهَلْهِلُ الشّعــراء ذاكَ الأوّلُ
٤- والأعْشَيانِ، كِلاَهُمَا، وَمُرَقِّشٌ،  وأُخو قُضَاعَــةَ قَوْلُــهُ يُتَمَثَــلُ

---

١- طالع الديوان فى الوقت على تعريف هذه الأعلام ٢ / ٣٢٣ ، ٣٢٤

١- النوابغ:النابغة الذبيانى والنابغة الجعدى.أبو يزيد:المخبل السعدى.ذو القرح:امرؤ القيس. جرول : الحطيئة.

٢- علقمة : هو علقمة الفحل الذى قامت بينه وبين امرئ القيس منافرة وشهدت زوجة امرئ القيس له على زوجها فطلقها امرؤ القيس. يقول إنه كان منعماً يرتدى الثياب الفاخرة ، وإنه كان صاحب الشعر الذى لا ينحل ولايقلد.

٣- أخو بنى قيس : طرفة بن العبد. وقد قتله عمرو بن هند بشعر قال فيه. الملهل : هو المهلهل ربيعــة أخــو كليب وائل.

٤- الأعشيان : أعشى قيس وأعشى باهلة. المرقش : هو المرقش الأكبر وقد مات عشيقا. أخــو قضــاعة : الطمحان القينى.

٥- أخو بنى أسد : هو عبيد الأبرصض وكان له شعر وهو الذى عما على قتل والد امرئ القيس. أبو الفرج دؤاد : هو جارية بن عمران.

٦- ابن الفريعة : هو حسان بن ثابت . ابن زهير : هو كعب وقد مدح الرسول بمدحة مأثورة.

٧- الجعفرى : لبيد بن ربيعة. بشر : هو بشر بن خازم.

٨- أوس : هو أوس بن حجر وكان على رأس المذهب الزهيرى وعليه تخرج زهير وابنــه كعــب والنابغــة والحطيئة من بعد. يقول إنه ورث منهم شعراً يقطر كالسم الممزوج بالحنظل كناية عن مرارته وقتله من يهجى به.

٩- الحارثى : أراد به النجاشى. صدعا : قسماً.ىيقول يحطم كما يحطم الصخرة المعول.

١٠- الصفا : الصخرة.

١١- يقول إن هؤلاء يقرون له بالتقدم فى الشعر وكأنهم كتبوه له بكتاب وهو يقــارع بــه كالجنــادل أى الصخور.

١٢- المساور : هو ابن هند بن قيس بن زهير العبسى. أخو هزوان : الراعى.

٥- وَأخُو بَنِى أسَدٍ عَبيدٌ، إذْ مَضَى، وأبُــو دُؤادٍ قَــوْلُــهُ يُتَنَحّــلُ
٦- وابْنَا أبِى سُلْــمَى زُهَيْرٌ وابْنُهُ، وابنُ الفُرَيعَةِ حينَ جَــدّ المِقْوَلُ
٧- وَالجعفَرِىُّ ، وَكَانَ بشْرٌ قَبْلَهُ ، لى من قَصَائِدِهِ الكتابُ المُجْمَلُ
٨- وَلَقدْ وَرِثْتُ لآلِ أوْسٍ مَنْطِقاً كالسّمّ خَلّطَ جانِبَيْهِ الحَنْظَــلُ
٩- والحَارِثىُّ، أخُو الحِماسِ،وَرِثْتُهُ صَدْعاً،كما صَدَع الصَّفاةَ المِعْوَلُ
١٠- يَصْدَعنَ ضَاحيَةَ الصَّفا عن مَتنِهَا، وَلَهُنّ مِنْ جَبَلَىْ عَمــايَةَ أثْقَــلُ
١١- دَفَعُوا إلىَ كِتَــابَهُنَّ وَصِيّــةً، فَــوَرِثْتُهُــنّ كأنّهُــنّ الجَنْــدَلُ
١٢- فِيهِنَّ شَارَكَنى المُسَاوِرُ بَعْدَهُمْ ، وأخُو هَوَازِنَ والشّآمِــى الأخطَلُ

واستقراء الأبيات السابقة يرسم نموذجا لشخصية الشاعر ، وتفتح مســارب للولوج فى كيانه الفنى ، فكل شاعر من الشعراء الذين ذكرهم يمثل علما بارزا ومؤثرا فى حياة الفن الشعرى ، وعلى ذلك يمكن تفسير هذا النســيج القــوى ، المتمثــل فى التراكيب المحكمة البناء المعجمية اللغة ، الغريبة أحيانا ، وفسر كذلك مقولة يونس بن حبيب المشهورة : لولا لغة الفرزدق لضاع ثلث لغة العرب ، كما ثراه يذكر شخصية ذى يزن البطل الملحمى المشهور :

قَرَيْنَاهُمُ المَأثُورَةَ البِيضَ قَبْلَهَا يُثّجُ العُرُوقَ الأزْانِىُّ المُثَقَّفُ (١)

إن دراسة مصادر التصوير لدى شاعر " ما " تساعد الناقد كثيرا علــى فهــم طبيعة الصورة الفنية ورسالتها عبر رسالة الفن الشعرى بصفة عامة ، والوقوف علــى خصوصيات هذه المصادر التجريبة ومعانيها الخلفية يقف بنا على مرامى النص الحقيقية

١- ٢ / ١٢٢ . المأثورة : السيوف. الأزانى : الرمح نسبة إلى ذى يزن فى اليمن : المصقول : يقول إنهم يُثــرون الضيوف باللحم السكين والعبيط ويقرن الأعداء السيوف والرماح اليمنية المثقفة أى أنهم يبيدونهم.

**ويساعدنا على ألا ننخدع بظاهر وسطحية التعبير الذى يجعل مرامى النص تتلاشى أمام الناقد ، كما أن التأمل فى خصوصيات هذه المصادر يكشف لنا فى جانب أخر طبيعة الإنسان العربى فى فترة ما وعلاقاته التى تحكم هذا العالم الثرى الذى لا يستقطب تفسيرا بعينه .**

**والوقوف على المصادر الثقافية يكشف لنا عن كيان المبدع والمثل التى يتغياها ويرى أن لها أثارا تثرى النص مما يسمه بالديمومة ، تلك التى تربط الماضى بالحاضر ليصبح النص الشعرى إبداعا لا تحده حدود الزمن ، وتلك ميراث الفن الخالد .**

***



openkandl.com